الصحيح
من سيرة الإمام علي
عليه السلام
(المرتضى من سيرة المرتضى)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

المركز الإسلامي للدراسات

الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الثالث عشر

المركز الإسلامي للدراسات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل التاسع:

أسئلة ملك الروم..

رسالة لملك الروم وجوابها:

وروي: أن ملك الروم كتب إلى عمر بن الخطاب بأسئلة لم يجد جوابها إلا عند علي «عليه السلام».. فتولى «عليه السلام» الإجابة عنها..
فقد قال العاصمي ما ملخصه:

روي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جدّه قال: لما وليّ عمر بن الخطاب الخلافة كان رجل من أصحابه يقال له: الحارث بن سنان الأسدي^(١)، جرى بينه وبين رجل من الأنصار كلام ومنازعة، فلطمه الأنصاري على حرّ وجهه، فقدمه الحارث إلى عمر.

فقال عمر: تريد قصاص الجاهليّة، أم قصاص الإسلام!؟

قال الحارث: بل قصاص الجاهلية!

وكان في الجاهليّة من لطم حرّ وجه قطعت يده.

قال عمر: يا حارث، لا قطع إلا في السرقة، قم فالطمه كما لطمك، فإن

(١) قال المعلق: ما وجدت للحارث بن سنان الأسدي ترجمة فيما بأيدينا من كتب الرجال

الله تعالى يقول: ﴿وَالْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ﴾ (١).

فغضب الحارث من ذلك، وانطلق إلى قيصر ملك الروم، فتنصّر، فأعجب قيصر دخوله في النصرانية، وكان الحارث أول من ارتدّ، فأما أهل الردّة فكانوا لا يتنصّرون، ولا يتهوّدون، ولا يتمجّسون. إنّها قالوا: نصلي ونصوم، ولا نوذي الزكاة (٢)، فأما أول من تنصّر في الإسلام فإنّه الحارث بن سنان.

فجمع قيصر بطارقه وأمرهم بالسجود له، وأخذ للحارث سريراً مشبكاً بالذهب، وأجرى عليه كلّ شهر ألف دينار، وكان عند قيصر ثلاث مائة رجل من أسارى المسلمين، فعرض عليهم الحارث النصرانية، ورغبهم فيها، وزهدهم في الإسلام، وقال لهم قيصر: من تنصّر منكم فأفعل به (٣) (راجع الهامش).

يستعينون الله تعالى، فإن استعنتم به على الخير فما بالكم تسرعون إلى الشرّ وتطلبون الملك، وتقاتلون على الدنيا، وتزهدون في الترهّب والتعبّد؟! وإن كنتم تستعينون به على الشرّ فقد ظفرتم به.

وأخبرونا عن قولكم: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [هل] الصراط المستقيم غير الذي أنتم عليه حتى تسألوه؟! أم شككتم في دينكم؟! أم كذبتم نبيكم?!.

(١) الآية ١٩٤ من سورة البقرة.

(٢) أي إلى أبي بكر، بل نصرها في فقرائنا.

(٣) قال المعلق: وبعده في أصلي نقص ورق كامل وهو ص ٣٠١ - ٣٠٢.

وأخبرونا عن قولكم: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [هل] أنعم الله على أمة أفضل مما أنعم عليكم؟

وقد قال في الإنجيل: «أتم نعمتي عليهم» يعني: أمة أحمد الذي بشرنا به عيسى.

وأخبرونا عن قولكم: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ أفأنتم المغضوب عليكم؟! أم تتوقعون الغضب من الله؟!

وأخبرونا عن قولكم: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أفأنتم الضلال؟! أم شككتم فيما جاء به محمد؟! فهذه كلمات ما قرأناها في التوراة، ولا في الزبور، ولا في الإنجيل.

ووجدنا في التوراة: أن الله إزاراً، ورداءاً، فأخبرونا ما إزاره وما رداؤه؟! وعلى ما مقامه؟!

وأخبرونا عن ماء ليس من أرض ولا من سماء؟!

وأخبرونا عن رسول لا من الجنّ، ولا من الإنس، ولا من الملائكة؟!

وأخبرونا عن شيء يتنفس ولا روح فيه؟!

وأخبرونا عما أوحى الله إليه، لا من الجنّ، ولا من الإنس، ولا من الملائكة؟!

وأخبرونا عن عصا موسى «عليه السلام» ما كانت؟! وما اسمها؟! وكم طولها؟!

وأخبرونا عن جارية بكر في الدنيا لأخوين [و] في الآخرة لواحد، وفي

رقيتها لؤلؤ يقده خلق (كذا)؟!!

وأخبرونا عن قبر سار بصاحبه؟!!

وأخبرونا من الواحد إلى العشرين متصلة، ومن العشرين إلى المائة
متفرقة؟!!

ثم طوى الكتاب ودفعه إلى بطريق من بطارقه، فبعثه [إلى المدينة]،
فقدم البطريق المدينة..

إلى أن تذكر الرواية: أن البطريق لقي عمر وأعطاه الكتاب.

فلما كان غداة يومه دخل عليه علي بن أبي طالب «عليه السلام»
وجماعة من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»، فقرأ عليهم الكتاب،
فبكوا بأجمعهم لحارث بن سنان، ثم دفع الكتاب إلى علي بن أبي طالب
«عليه السلام»، فقرأه وضحك، ثم قال: مر بدواة وقرطاس وقلم،
فأحضرها فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر النصرانية.

أما بعد..

فأما ما ذكرت من أمر الحارث بن سنان، فإنه من يضل الله فلا هادي
له، وما كان دخوله في الإسلام إلا طمعاً في الأموال، فلما لم ينل ما طمع،
مال إلى الذي نال منها ما طمع، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ
يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى

وَجْهَهُ ﴿١﴾.

وأما ما سألت عن قول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فإنَّ اسمه شفاء من كلِّ داء، وعون على كلِّ دواء.

وأما ﴿الرَّحْمَنِ﴾ فهو اسم لم يتسمَّ به أحد سوى الرحمن؟!!

وأما ﴿الرَّحِيمِ﴾ فـ [هو] رحيم لمن عصاه، ثمَّ تاب وآمن وعمل صالحاً.

وأما قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فثناء أثنى الله تعالى على نفسه بها أنعم على عباده.

وأما قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فإنه يملك نواصي الخلق يوم القيامة، فكلُّ من كان في الدنيا شاكاً به، أو مشركاً أدخله النار، وكلُّ من كان في الدنيا موقناً به مطيعاً له أدخله الجنة برحمته.

وأما قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فنحن نعبده ولا نشرك به شيئاً، وكلُّ من كان من دوننا إذا عبده يشركون معه شيئاً.

وأما قولك: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فنستعين بالله على الشيطان أن لا يضلَّننا كما أضلكم، وتحسبون أنكم على شيء.

وأما قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فذلك الطريق الواضح إلى الجنة، من عمل في الدنيا عملاً صالحاً فإنه يسلك هذا الطريق، فنحن نسأله توفيق العمل الصالح، فهو الذي نسأله سلوك طريق الجنة.

وأما قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فتلك النعم التي أنعم الله على من كان قبلنا من النبيين والصديقين، فنسأل ربنا أن ينعم علينا كما أنعم عليهم.

وأما قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، فأولئك اليهود بدلوا نعمة الله كفراً، فغضب الله عليهم، وجعل منهم القردة والخنازير. فنسأل ربنا أن لا يغضب علينا كما غضب عليهم.

وأما قوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فأنتم معشر النصارى تركتم دين عيسى، واتخذتموه وأمه إلهين اثنين، فنسأل ربنا أن لا يُضِلَّنَا كما أضلكم.

وأما قولكم في رب العالمين «ما إزاره وما رداؤه»؟! فقد ذكره نبينا «صلى الله عليه وآله» فقال: [قال الله] عز وجل: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري»، فهو كما قال جل جلاله.

وما قلت من مقامه، فمقامه على القدرة.

وأما سؤالك عن الماء الذي ليس من الأرض ولا من السماء: فهو الماء الذي أخذه سليمان بن داود «عليه السلام» من عرق الخيل.

وأما سؤالك عن رسول لا [كان] من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة: فذلك الغراب الذي بعثه الله يبحث في الأرض، ليواري قابيل سوأة أخيه.

وأما سؤالك عن شيء يتنفس ولا روح فيه: فذلك الصبح، قال تعالى:

﴿الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾^(١).

وأما سؤالك عن شيء أوحى الله إليه، لا من الجنّ، ولا من الإنس، ولا من الملائكة: فذلك النحل، قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾^(٢).

وأما سؤالك عن عصا موسى ممّ كانت؟! وما اسمها: فاسمها زائدة، لأنّها [كانت] إذا دخل فيها الروح زادت، وإذا خرج منه الروح نقصت، وكانت من عوسج، وكانت عشرة أذرع، وكانت من الجنة أنزلها جبرئيل على شعيب صلوات الله عليهما.

وأما سؤالك عن جارية بكر في الدنيا لأخوين، وفي الآخرة لواحد [منهما] وفي رقبتهما لؤلؤ، فمن سر لم يقده خلق (كذا): فتلك النخلة في الدنيا لي ولك [و] في الآخرة للمسلمين.

وأما سؤالك عن قبر سار بصاحبه: فذلك يونس بن متى سار به الحوت وهو في بطنه.

وأما سؤالك عن الواحد إلى العشرين متّصلة، فالواحد: هو الله جلّ جلاله، والإثنان آدم وحواء.

وأما الثلاثة: فجبرئيل، وميكائيل، وإسرافيل. فهم رؤوس الملائكة.

وأما الأربعة: فالتوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان.

(١) الآية ١٨ من سورة التكوير.

(٢) الآية ٦٨ من سورة النحل.

وأما الخمسة: فخمس صلوات [في كل يوم وليلة].
وأما الستة: فتخليق الله السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام.
وأما السبعة: فسبع سماوات.
وأما الثمانية: [فهو قوله تعالى]: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً﴾ (١).
وأما التسعة: فتسع آيات موسى، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ (٢).
وأما العشرة: فـ [صيام عشرة أيام على من تمتع بالعمرة إلى الحج ولم يجد الهدي]. قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (٣).
وأما الأحد عشر: فقول الله [تعالى]: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ (٤).
وأما الإثنا عشر: فقول الله [تعالى]: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ (٥).

(١) الآية ١٧ من سورة الحاقة.

(٢) الآية ١٠ من سورة الإسراء.

(٣) الآية ١٩٦ من سورة البقرة.

(٤) الآية ٤ من سورة يوسف.

(٥) الآية ٣٦ من سورة التوبة.

وأما الثلاثة عشر: فقول يوسف لأبيه: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(١).

وأما الأربعة عشر: فأربعة عشر قنديلاً من نور معلقة بالعرش مكتوبة
في التوراة، ليس في القرآن، ولا في الزبور، ولا في الإنجيل.

وأما الخمسة عشر: فأنزل الله تعالى على داود ليلة خمس عشرة من
[شهر رمضان].

وأما الستة عشر: فستة عشر صفًا من الملائكة، ذكرهم الله تعالى في
القرآن مجملًا [في] قوله: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ
بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾^(٢).

وذكره في التوراة مفسراً، وهم ستة عشر صفًا.

أما السبعة عشر: فسبعة عشر إسمًا من الأسماء المكتوبات وضعها الله
على جهنم، ولولا ذلك لزفت جهنم زفرة تحرق ما بين السماء والأرض.

وأما الثمانية عشر: فثمانية عشر حجاباً من نور، ولولا ذلك لذاب ما
بين السماء والأرض من نور رب العزة.

وأما التسعة عشر: فتسعة عشر ملكاً رؤوس الملائكة الزبانية، تحت كل
واحد منهم ملائكة بعدد رمل عاليج، وبعدد قطر المطر، وبعدد ورق
الأشجار، وبعدد أيام الدنيا، ملائكة غلاظ شداد، قال الله تعالى: ﴿عَلَيْهَا

(١) الآية ٤ من سورة يوسف.

(٢) الآية ٧ من سورة غافر.

تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿١﴾.

وأما العشرون: فأنزل الله تعالى الإنجيل على عيسى «عليه السلام»
بعشرين ليلة مضي من رمضان.

وأما الثلاثون: فقوله عز وجل: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ (٢).

وأما الأربعون: [فقوله تعالى]: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (٣).

وأما الخمسون: فدية المرأة خمسون من الإبل.

وأما الستون: فإطعام ستين مسكيناً.

وأما السبعون: فقوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ (٤).

وأما الثمانون: فحدّ القاذف.

وأما التسعون: فنسوة داود «عليه السلام».

وأما المائة: فحدّ الزاني إذا كان بكراً.

ثم طوى الكتاب، وناوله البطريق، ومّرّ على وجهه حتى قدم على
القيصر، ودفع إليه الكتاب، ففكّه وقرأه، وعمد إلى الأسارى، فأطلقهم
وأجارهم. ثم قال للحارث بن سنان: إن رجعت عن دينك وإلى بلدك، لم

(١) الآية ٣٠ من سورة المدثر.

(٢) الآية ١٤٢ من سورة الأعراف.

(٣) الآية ١٤٢ من سورة الأعراف.

(٤) الآية ١٥٥ من سورة الأعراف.

أنقص من عطائك شيئاً.

فقال الحارث: لو قتلتنى بالسيف، وأحرقتنى بالنار لم أرجع إلى بلدي، ولم أفارق النصرانية^(١).

ذكر ابن المسيب: أن سبب قول عمر: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن: أن ملك الروم كتب إلى عمر يسأله عن مسائل، فعرضها على الصحابة، فلم يجد عندهم جواباً، فعرضها على أمير المؤمنين «عليه السلام»، فأجاب عنها في أسرع وقت، بأحسن جواب.

رسالة قيصر:

قال ابن المسيب: كتب ملك الروم إلى عمر:

من قيصر ملك بني الأصفر إلى عمر خليفة المؤمنين - المسلمين -
أما بعد..

فإني مسائلك عن مسائل فأخبرني عنها:

ما شيء لم يخلقه الله؟!

وما شيء لم يعلمه الله؟!

وما شيء ليس عند الله؟!

وما شيء كله فم؟!

وما شيء كله رجل؟!

(١) العسل المصطفى في تهذيب زين الفتى ج ١ ص ٢٧٨ - ٢٣٩.

وما شيء كله عين؟!
وما شيء كله جناح؟!
وعن رجل لا عشيرة له؟!
وعن أربعة لم تحمل بهم رحم؟!
وعن شيء يتنفس وليس فيه روح؟!
وعن صوت الناقوس ماذا يقول؟!
وعن ظاعن ظعن مرة واحدة؟!
وعن شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام، لا يقطعها، ما مثلها في الدنيا؟!
وعن مكان لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة؟!
وعن شجرة نبتت من غير ماء؟!
وعن أهل الجنة، فإنهم يأكلون ويشربون، ولا يتغوطون ولا يبولون، ما مثلهم في الدنيا؟!
وعن موايد الجنة، فإن عليها القصاص في كل قصعة ألوان لا يخلط بعضها ببعض، ما مثلها في الدنيا؟!
وعن جارية تخرج من تفاحة في الجنة، ولا ينقص منها شيء؟!
وعن جارية تكون في الدنيا لرجلين وهي في الآخرة لواحد؟!
وعن مفاتيح الجنة ما هي؟!

جواب أمير المؤمنين عليه السلام:

فقرأ علي «عليه السلام» الكتاب، وكتب في الحال خلفه.

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد..

فقد وقفت على كتابك أيها الملك، وأنا أجيبك بعون الله وقوته، وبركته، وبركة نبينا محمد «صلى الله عليه وآله».

أما الشيء الذي لم يخلقه الله تعالى: فالقرآن لأنه كلامه وصفته، وكذا كتب الله المنزلة، والحق سبحانه قديم، وكذا صفاته.

وأما الذي لا يعلمه الله فقولكم: له ولد وصاحبة وشريك. ما اتخذ الله من ولد، وما كان معه من إله، لم يلد ولم يولد.

وأما الذي ليس عند الله: فالظلم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١).

وأما الذي كله فم: فالنار تأكل ما يلقي فيها.

وأما الذي كله رجل: فالماء.

وأما الذي كله عين: فالشمس.

وأما الذي كله جناح: فالرياح.

وأما الذي لا عشيرة له: فآدم «عليه السلام».

وأما الذين لم يحمل بهم رحم: فعصى موسى، وكبش إبراهيم، وآدم،

(١) الآية ٤٦ من سورة فصلت.

وحواء.

وأما الذي يتنفس من غير روح: فالصبح لقوله تعالى: ﴿الصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (١).

وأما الناقوس: فإنه يقول: طقاً طقاً، حقاً حقاً، مهلاً مهلاً. عدلاً عدلاً، صدقاً صدقاً، إن الدنيا قد غرتنا واستهوتنا، تمضي الدنيا قرناً قرناً، ما من يوم يمضي عنا، إلا أوهى منا ركناً، إن الموت قد أخبرنا أننا نرحل فاستوطننا.

وأما الظاعن: فطور سيناء لما عصت بنو إسرائيل، وكان بينه وبين الأرض المقدسة أيام، فقلع الله منه قطعة، وجعل لها جناحين من نور، فنتقه عليهم، فذلك قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ (٢).

وقال لبني إسرائيل: إن لم تؤمنوا (٣) وإلا أوقعته عليكم. فلما تابوا رده إلى مكانه.

وأما المكان الذي لم تطلع عليه الشمس إلا مرة واحدة: فأرض البحر لما فلقه الله لموسى «عليه السلام»، وقام الماء أمثال الجبال، ويبست الأرض بطلوع الشمس عليها، ثم عاد ماء البحر إلى مكانه.

وأما الشجرة التي يسير الراكب في ظلها مائة عام: فشجرة طوبى.

(١) الآية ١٨ من سورة التكوير.

(٢) الآية ١٧١ من سورة الأعراف.

(٣) لعل الصحيح: إن لم تؤمنوا أوقعته عليكم.

وهي سدرة المنتهى في السماء السابعة، إليها ينتهي أعمال بني آدم، وهي من أشجار الجنة، ليس في الجنة قصر ولا بيت إلا وفيه غصن من أغصانها، ومثلها في الدنيا الشمس، أصلها واحد، ووضوءها في كل مكان.

وأما الشجرة التي نبتت من غير ماء: فشجرة يونس. وكان ذلك معجزة له لقوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾^(١).

وأما غذاء أهل الجنة: فمثلهم في الدنيا الجنين في بطن أمه، فإنه يغتذي من سرتة، ولا يبول ولا يتغوط.

وأما الألوان في القصة الواحدة: فمثلها في الدنيا البيضة، فيها لوان أبيض وأصفر، ولا يختلطان.

وأما الجارية التي تخرج من التفاحة: فمثلها في الدنيا الدودة، تخرج من التفاحة ولا تتغير.

وأما الجارية التي تكون بين اثنين: فالنخلة التي تكون في الدنيا لمؤمن مثلي ولكافر مثلك، وهي لي في الآخرة دونك، لأنها في الجنة، وأنت لا تدخلها.

وأما مفاتيح الجنة: فلا إله إلا الله، محمد رسول الله^(٢).

(١) الآية ١٤٦ من سورة الصافات.

(٢) الغدير ج ٦ ص ٢٤٧ - ٢٤٩ عن تذكرة الخواص ص ٨٧ وزين الفتى في شرح سورة هل أتى للحافظ العاصمي.

رسالة ثانية لقيصر:

قال ابن المسيب: فلما قرأ قيصر الكتاب قال: ما خرج هذا الكلام إلا من بيت النبوة.

ثم سأل عن المجيب فقيل له: هذا جواب ابن عم محمد «صلى الله عليه وآله»، فكتب إليه:
سلام عليك.
أما بعد..

فقد وقفت على جوابك، وعلمت أنك من أهل بيت النبوة، و معدن الرسالة، وأنت موصوف بالشجاعة والعلم، وأوثر أن تكشف لي عن مذهبكم، والروح التي ذكرها الله في كتابكم في قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (١).

جواب أمير المؤمنين عليه السلام:

فكتب إليه أمير المؤمنين:

أما بعد..

فالروح نكتة لطيفة، ولمعة شريفة، من صنعة باريها، وقدرة منشئها. وأخرجها من خزائن ملكه، وأسكنها في ملكه، فهي عنده لك سبب، وله

(١) الآية ٨٥ من سورة الإسراء.

عندك وديعة، فإذا أخذت مالك عنده أخذ ماله عندك، والسلام^(١).
ونقول:

هناك نقاط عديدة يحسن التوقف عندها، نقتصر منها على ما يلي:

حكم الله أم حكم الجاهلية:

ذكرت الرواية: أن عمر سأل الحارث بن سنان: تريد قصاص الجاهلية أم قصاص الإسلام؟

ونحن لم نجد سبباً لهذا السؤال العمري، والحال أننا لم نجده سأل مثل هذا السؤال في أي من القضايا التي ترفع فيها الآخرون إليه.. إلا إن كان يرى أن الحارث ن سنان كان من المنافقين أو كان لا يزال على شركه.. مع أن لا شيء يدل على الأول، كما أن الرواية نفسها تصرح بعدم الثاني، فإنه كان مسلماً وقد كانت هذه القضية سبب إرتداده.

لو غير علي عليه السلام يجيب:

ربما يستظهر من رواية ابن المسيب: أن عمر قد سأل الصحابة عن مسائل ملك الروم قبل أن يسأل علياً عنها، ولعله كان يأمل أن يجد عند أحد منهم جواباً، لكي يتلافى سؤال علي «عليه السلام»، الذي لم يزل نوره يتألق في سماء العلم الذي حياه الله تعالى به دون كل أحد..

(١) العسل المصنفى في تهذيب زين الفتى ج ١ ص ٢٨٧ و ٢٩٥ تذكرة الخواص ج ١

ص ٣٥٣-٣٥٩ والغدير ج ٦ ص ٢٤٧-٢٤٩ عنها.

ولكنه لم يجد عند أحد منهم ما يشفي الغليل، فاضطر إلى ما هو بالنسبة إليه من أبغض الحلال.

تفسير دق الناقوس:

ورد في تفسير دق الناقوس روايات أكثر تفصيلاً في ذلك. ولا مانع من صحة كلا الأمرين، فذكر شرطاً من معاني دقاته لملك الروم، وذكر شرطاً أتم وأوفى لغيره، فلاحظ ما يلي:

١ - روى الصدوق «رحمه الله» بسنده إلى الحارث الأعور قال:

بينما أنا أسير مع أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب «عليه السلام» في الحيرة، إذا نحن بديراني يضرب الناقوس. قال:

فقال علي بن أبي طالب «عليه السلام»: يا حارث، أتدري ما يقول الناقوس؟

قلت: الله ورسوله وابن عم رسوله أعلم.

قال: إنه يضرب مثل الدنيا وخرابها، ويقول: لا إله إلا الله حقاً حقاً. صدقاً صدقاً، إن الدنيا قد غرتنا وشغلتنا، واستهوتنا واستقوتنا. يا ابن الدنيا. مهلاً مهلاً. يا ابن الدنيا. دقاً دقاً. يا ابن الدنيا. جمعاً جمعاً. تفنى الدنيا قرناً قرناً. ما من يوم يمضي عنا. إلا أوهى منا ركنا. قد ضيعنا داراً تبقى. واستوطننا داراً تفنى. لسنا ندري ما فرطنا. فيها إلا لو قد متنا.

قال الحارث: يا أمير المؤمنين، النصارى يعلمون بذلك؟!!

قال: لو علموا ذلك لما اتخذوا المسيح إلهاً من دون الله.

قال: فذهبت إلى الديراني فقلت له: بحق المسيح عليك، لما ضربت بالناقوس على الجهة التي تضربها.

قال: فأخذ يضرب، وأنا أقول حرفاً حرفاً، حتى بلغ إلى موضع إلا لو قد متنا، فقال: بحق نبيكم، من أخبركم بهذا؟

قلت: هذا الرجل الذي كان معي أمس.

قال: وهل بينه وبين النبي من قرابة؟!

قلت: هو ابن عمه.

قال: بحق نبيكم، أسمع هذا من نبيكم؟!

قال: قلت: نعم.

فأسلم، ثم قال: إني وجدت في التوراة: أنه يكون في آخر الأنبياء نبي. وهو يفسر ما يقول الناقوس^(١).

٢ - لكن ابن شهر آشوب روى هذا الحديث قائلاً: «ذكره صاحب مصباح الواعظ، وجمهور أصحابنا، عن الحارث الأعور، وزيد، وصعصعة، ابنا صوحان، والبراء بن سبرة، والأصبغ بن نباتة، وجابر بن شرحبيل،

(١) الأملالي للصدوق (المجلس الأربعون) ص ٢٩٥ و ٢٩٦ وبحار الأنوار ج ٢ ص ٣٢١ و ج ١٤ ص ٣٣٤ و ج ٤٠ ص ١٧٢ و ج ٧٤ ص ٢٧٩ ومعاني الأخبار ص ٢٣٠ وروضة الواعظين ص ٤٤٣ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج ٢ ص ٢٤٣ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٣٢ ومدينة المعاجز ج ٢ ص ١٢٤.

ومحمود بن الكواء»^(١).

ثم ذكر «رحمه الله» نصاً لتفسير كلام الناقد يزيد على ضعف الكلام المذكور في الرواية الآنف الذكر، فراجع^(٢).

لماذا أسلم النصراني؟!:

نضيف هنا: أن هذا النصراني وإن كان لا يستطيع تأكيد صحة هذا التفسير لكلام الناقد، ولكنه لا يملك ما يدل على كذبه فيما يدعيه من أن هذا من العلم الخاص، المأخوذ عن الله مباشرة، أو بواسطة من أوحى إليه به.. ولكن الذي دعاه إلى الإيمان أن نفس الخبر الذي وجدته عن شخص سوف يتصدى لهذا الأمر قد دله على: أن هذا الأمر هو من الأمور التي لا تحصل عادة، ولا يخطر على بال أحد أن يتصدى لتفسير كلام الناقد، فالإخبار عن وقوعه، ثم وقوعه قد دله على أن هذا الشخص الذي فعل ذلك، له شأن غير عادي عند الله، وأنه تعالى أراد أن يجعله وسيلة هداية لبعض بني البشر، من خلال إخبار الأنبياء عن ذلك، قبل مئات السنين من حدوث ذلك.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٥٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٣٢. وراجع:

دستور معالم الحكم، الباب ٧ ص ١٣٣ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة)

ج ٢ ص ٢٤٣ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٧٢ وج ٧٤ ص ٢٧٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب (المطبعة العلمية بقم) ج ٢ ص ٥٦ و (ط المكتبة الحيدرية)

ج ١ ص ٣٣٢.

الأسئلة تختلف وتتفق:

وقد لاحظنا: أن الأسئلة التي جاء بها النصارى للمسلمين، تتفق وتختلف، فهناك أسئلة - وإن كانت قليلة - يشترك فيها جميع السائلين أو عدد منهم، مثل السؤال عن قبر سار بصاحبه، أو السؤال عما لا يعلمه الله، أو عما ليس لله، أو نحو ذلك، ثم تختلف الأسئلة من شخص لآخر..

ولعل سبب ذلك: يعود إلى أن هؤلاء، كانوا يلتقطون هذه الأسئلة من كتبهم، كل بحسب ما تيسر له. فكانت بعض الأسئلة تثير اهتمامهم أكثر من غيرها، فيكثر أخذهم لها.. ثم يأتي الباقي حسب الأمزجة والميول، والاجتهادات للأشخاص.

رسالة واحدة أم رسالتان:

إن شدة الاختلاف بين الأسئلة في الرسالتين المتقدمتين يشجع الباحث على الاعتقاد بأنهما رسالتان اختلفتا في مضمونها، فكان لا بد من اختلاف مضمون الإجابتين تبعاً لذلك.

وحيث إن من البعيد أن يكون مرسلها شخص واحد، فلا بد من افتراض أن يكون أحد القيصرين قد مات أو عزل، ثم أرسل الآخر برسالة أخرى يطلب الإجابة عنها أيضاً.

بل قد يمكن افتراض أن يكون في بلاد الروم ملوك متعددون، بحسب تعدد البلاد، وتباعدها. فأرسل كل ملك برسالة أسئلة تخصه..

بل قد يكون مرسل الرسالتين شخصاً واحداً، إذا لوحظ شدة

الإختلاف والتباين بين الأسئلة، فاعتقد أن الإجابة على الأسئلة في الرسالة الأولى، لا تعني القدرة على الإجابة على الأسئلة التي في الرسالة الثانية..

أول من ارتد:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن الحارث بن سنان كان أول من ارتد.. وذلك يثير علامة استفهام كبيرة عما زعموه من ارتداد مانعي الزكاة وغيرهم ممن حاربهم أبو بكر، ويؤكد: أن هؤلاء إنما اعترضوا على تولي أبي بكر للخلافة دون صاحبها الشرعي، الذي بايعوه يوم الغدير، وهو علي بن أبي طالب.

وكثرة المعتقدين بأحقيته، لا يعني أنهم مستعدون لنصرته مهما كلف الأمر.. بل يكون حال مؤيد به من أهل المدينة، من الأنصار وغيرهم من المهاجرين، ومثل بني هاشم الذين صرحوا بأن قيامهم معه سيكلفهم غالياً، ولا يطيعونه، وقد تقدم ذلك في بعض الفصول.

يضاف إلى ما تقدم: أن علياً لم يكن ليفتح حرباً من شأنها أن تفسح المجال لسلبات كبيرة، ومنها أن ينتعش النفاق، وتحدث الردة لدى فريق كبير من الناس، بالإضافة إلى إعتبار ذلك في عداد الخيانة، ونقض العهد والمواثيق.

الحارث، أم جبلة ابن الأيهم!:

إن حدثاً كهذا لا بد أن يثير الكثير من الجدل في أوساط المسلمين، ومن المتوقع أن يتناقله الناس بكثرة..

وإلى أمد طويل، فلماذا لا نجد لهذا الرجل الكبير المسمى بحارث بن سنان فيما بأيدينا ذكراً يفصح لنا عن شيء من تفاصيل حياته ودوره رغم كونه من الرؤساء كما قالتها الرواية..

فلعله هو جبلة بن الأيهم الذي ذكر لنا التاريخ ما جرى له في قصة تشبه هذه القصة إلى حد بعيد.

أو لعل رجلاً باسم الحارث قد تبع جبلة، انتصاراً له، فتنصر معه..
ولعل.. ولعل..

الفصل العاشر:

من أسئلة أهل الكتاب..

نصراني يسأل عمر:

روى أبو المليح الهذلي عن أبيه قال: كنا جلوساً عند عمر بن الخطاب إذ دخل علينا رجل من أهل الروم، قال له: أنت من العرب؟!

قال: نعم.

قال: أما إنني أسألك عن ثلاثة أشياء، فإن خرجت إلي منها آمنت بك، وصدقت نبيك محمداً.

قال: سل عما بدالك يا كافر.

قال: أخبرني عما لا يعلمه الله، وعما ليس لله، وعما ليس عند الله.

قال عمر: ما أتيت يا كافر إلا كفراً.

إذ دخل علينا أخو رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فقال لعمر: أراك مغتماً.

فقال: وكيف لا أغتم يا ابن عم رسول الله، وهذا الكافر يسألني عما لا يعلمه الله، وعما ليس لله، وعما ليس عند الله، فهل لك في هذا شيء يا أبا الحسن؟!

قال: نعم.

قال: فرج الله عنك، وإلا [و] قد تصدع قلبي. فقد قال النبي «صلى الله

عليه وآله»: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أحب أن يدخل المدينة فليقرع الباب.

فقال: أما ما لا يعلمه الله، فلا يعلم الله أن له شريكاً ولا وزيراً، ولا صاحبة، ولا ولداً. وشرحه في القرآن ﴿قُلْ أَتَنبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾^(١).

وأما ما ليس عند الله، فليس عنده ظلم للعباد.

وأما ما ليس لله، فليس له ضد ولا ند، ولا شبه ولا مثل.

قال: فوثب عمر، وقبل ما بين عيني علي «عليه السلام» ثم قال: يا أبا الحسن، منكم أخذنا العلم، وإليكم يعود، ولولا علي لهلك عمر.

فما برح النصراني حتى أسلم، وحسن إسلامه^(٢).

ونقول:

١ - لماذا هذا الأسلوب القاسي الذي يمارسه عمر بن الخطاب ضد ذلك النصراني، فيواجهه بكلمة يا كافر، في أول خطاب له معه؟! .. مع أنه لم تبدر من ذلك النصراني أية بادرة عناد أو مكابرة!!

٢ - وبعد أن طرح النصراني أسئلته، أمعن عمر في استفزازه، رغم ظهور عجز عمر عن جوابه. فقال له: «ما أتيت يا كافر إلا كفراً».

مع أن الله تعالى يأمر بالجدال معهم بالتي هي أحسن، فيقول: ﴿ادْعُ إِلَى

(١) الآية ١٨ من سورة يونس.

(٢) البحار: ج ٤٠ ص ٢٨٦ عن صفوة الأخبار.

سَبِيلَ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿١﴾.

٣ - وقد كان موقف عمر هذا فشلاً يضاف إلى فشل، لا سيما بعد أن ظهر: أن أسئلة ما أتاه ذلك النصراني لم تكن من أسئلة الكفر، بل هي من الأسئلة الإيمانية الصحيحة..

٤ - إن عمر هو الذي وضع نفسه في موقع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجعل نفسه في موقع المسؤول عن كل قضايا الدين والإيمان، حيث لا بد أن يعد لها الإجابات الصحيحة والحاسمة، ولا يعذر بجهلها، ولا بعجزه عنها.. ما دام أن عجزه هذا سوف يؤدي إلى اتهام الإسلام بالقصور والبطلان، ويمنع الناس من الإيمان، ومن الدخول في رحمة الله..

اسئلة يهودي من أهل المدينة:

عن أبي الطفيل قال شهدت الصلاة على أبي بكر الصديق، ثم اجتمعنا إلى عمر بن الخطاب، فبايعناه، وأقمنا أياماً نختلف إلى المسجد إليه، حتى أسموه أمير المؤمنين، فبينما نحن عنده جلوس إذ أتاه يهودي من يهود المدينة، - وهم يزعمون: أنه من ولد هارون أخي موسى بن عمران «عليهما السلام» - حتى وقف على عمر فقال له: يا أمير المؤمنين! أيكم أعلم بنبيكم وبكتاب نبيكم حتى أسأله عما أريد.

فأشار له عمر إلى علي بن أبي طالب فقال: هذا أعلم بنبينا وبكتاب نبينا.

(١) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

قال اليهودي: أكذاك أنت يا علي؟!

قال: سل عما تريد.

قال: إني سائلك عن ثلاث، وثلاث، وواحدة.

قال له علي: ولم لا تقول إني سايلك عن سبع؟!

قال له اليهودي: أسألك عن ثلاث، فإن أصبت فيهن أسألك عن الثلاث الأخر، فإن أصبت فيهن أسألك عن الواحدة، وإن أخطأت في الثلاث الأول لم أسألك عن شيء.

وقال له علي: وما يدريك إذا سألتني فأجبتك، أخطأت أم أصبت؟!

قال: فضرب بيده على كفه، فاستخرج كتاباً عتيقاً، فقال: هذا كتاب ورثته عن آبائي وأجدادي، بإملاء موسى وخط هارون، وفيه هذه الخصال الذي أريد أن أسألك عنها.

فقال علي: والله عليك إن أجبتك فيهن بالصواب أن تسلم.

قال له: والله لئن أجبتني فيهن بالصواب لأسلمن الساعة علي يدك.

قال له علي: سل.

قال: أخبرني عن أول حجر وضع على وجه الأرض.

وأخبرني عن أول شجرة نبتت على وجه الأرض.

وأخبرني عن أول عين نبعت على وجه الأرض،

قال له علي: يا يهودي، إن أول حجر وضع على وجه الأرض، فإن اليهود يزعمون: أنه صخرة بيت المقدس، وكذبوا، لكنه الحجر الأسود،

نزل به آدم معه من الجنة، فوضعه في ركن البيت، فالناس يمسحون به، ويقبلونه، ويجددون العهد والميثاق فيما بينهم وبين الله.

قال اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت.

قال له علي: وأما أول شجرة نبتت على وجه الأرض، فإن اليهود يزعمون: أنها الزيتون، وكذبوا، ولكنها نخلة العجوة، نزل بها معه آدم من الجنة، فأصل التمر كله من العجوة.

قال له اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت.

قال: وأما أول عين نبتت على وجه الأرض، فإن اليهود يزعمون: أنها العين التي تحت صخرة بيت المقدس، وكذبوا، ولكنها عين الحياة التي نسي عندها صاحب موسى السمكة المألحة، فلما أصابها ماء العين عاشت وسمرت^(١) فاتبعها موسى وصاحبه، فأتيا الخضر.

فقال اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت.

قال له علي: سل.

قال: أخبرني عن منزل محمد، أين هو في الجنة؟!

قال علي: ومنزل محمد من الجنة جنة عدن في وسط الجنة، أقربه من عرش الرحمن عز وجل.

قال له اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت.

(١) التسمير: الإرسال، سمرت: ذهبت.

قال له علي: سل.

قال: أخبرني عن وصي محمد في أهله كم يعيش بعده؟! وهل يموت أو يقتل؟!!

قال علي: يا يهودي يعيش بعده ثلاثين سنة، ويخضب هذه من هذه، وأشار إلى رأسه.

قال: فوثب اليهودي وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله (١).

وفي الحديث سقط كما ترى.

وفيه قد نص عمر على أن علياً أعلم الأمة بنبيها وبكتابه.

ولكن موسى الوشيعة (٢) يقول: عمر أعلم الأمة على الإطلاق بعد أبي بكر، والانسان على نفسه بصيرة (٣).

ونقول: ونضيف إلى ذلك:

(١) العسل المصنفى في تهذيب زين الفتى ج ١ ص ٣٠٥ و ٣٠٦ والغدير ج ٦ ص ٢٦٨ و ٢٦٩ عنه. وراجع: كمال الدين ص ٢٩٤ - ٢٩٦ وكتاب الغيبة للنعماني ص ٩٧ - ١٠٠ وغاية المرام ج ١ ص ٢١٧ - ٢١٩ والإمام علي «عليه السلام» في آراء الخلفاء للشيخ مهدي فقيه إيماني ص ١٣١ - ١٣٣ وفرائد السمطين ج ١ ص ٣٥٤ ح ٢٨٠.

(٢) المراد به: موسى جار الله صاحب كتاب الوشيعة.

(٣) الغدير ج ٦ ص ٢٦٩.

١ - ونضيف إلى ذلك: أن الطفيل يقول: «أقمنا أياماً نختلف إلى المسجد إليه، وهذا يشير إلى أن المسجد بقي هو مركز إدارة الشؤون حتى ذلك الحين..».

٢ - دل الحديث على أن عمر بن الخطاب إنما سمي «أمير المؤمنين» بعد أيام من موت أبي بكر، أي أن هذا اللقب أصبح مفروضاً على الناس بصورة قاطعة ونهائية.. وإن كان قد أطلق على أبي بكر أيضاً في بعض الأحيان..

٣ - يستفاد من هذا النص: أن اليهودي التقى بعمر في المسجد.. مع أن دخول الكفار إلى المساجد كان محظوراً..

إلا أن يقال: إن المسجد كان يشتمل على مواضع أخرى لم تكن معدة للصلاة، فلم يكن يمنع من وصول كل الناس إليها. ومن هذه المواضع الموضع المعروف بالصفة، وهو موضع مظلل من المسجد كان يأوي إليه المساكين^(١)، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» يهتم بأمرهم.

٤ - إن اليهودي طلب الأعلم بالنبي «صلى الله عليه وآله» وبكتاب النبي «صلى الله عليه وآله»، مع أنه كان يكفيه أن يطلب عالماً من المسلمين لي طرح عليه أسئلته..

ولعل السبب في ذلك: أنه كان يريد أن يحسم الأمر بالنسبة لدخوله في هذا الدين وعدمه.. مع علمه بأن الأسئلة سوف تنتهي إلى إثبات صدق

(١) أنظر: لسان العرب ج ٩ ص ١٩٥.

النبي أ وكذبه، فإذا انتهت إلى إثبات صدقه فلا بد له من معرفة وصي ذلك النبي، لكي يرجع إليه في أمر دينه، ولكي لا يضع في زحمة المدعين لما ليس لهم.

٥ - واللافت هنا: أن علياً «عليه السلام» كان أول همه هو: تعيين الحكم والفيصل في الأمر، لكي لا يفسح المجال للتعنت، ومحاولة التملص والهروب.. بادعاء عدم صحة الجواب.

٦ - إنه «عليه السلام» فرض على ذلك اليهودي أن يكون النقاش هادفاً ومثمراً، حيث فرض عليه الإلتزام بلوازم البحث ونتائجه.

٧ - إذا كان ذلك اليهودي من أهل المدينة، فلماذا لم يأت إلى النبي ويسأله عن تلك المسائل، فإنه «صلى الله عليه وآله» أقام بينهم عشر سنوات؟!

ولماذا لم يأت في عهد أبي بكر، وانتظر إلى عهد عمر؟!

إلا ان يقال: إنه كان في الأصل من أهل المدينة، قبل إخراجهم منها بسبب بغيهم وعدوانهم.. وقد قدمها الآن ليحقق في أمر النبوة. فكان ما كان حسبما ذكرته الرواية.

علي عليه السلام وأسقف نجران:

وقالوا: إن أسقف نجران قدم على عمر بن الخطاب في صدر خلافته فقال: يا أمير المؤمنين، إن أرضنا باردة شديدة المؤنة، لا يحتمل الجيش وأنا ضامن لخراج أرضي أحمله إليك في كل عام كماً.

قال: فضمنه إياه. فكان يحمل المال، ويقدم به في كل سنة، ويكتب له عمر البراءة بذلك.

فقدم الأسقف ذات مرة ومعهُ جماعة، وكان شيخاً جميلاً مهيباً، فدعاه عمر إلى الله، وإلى رسوله، وكتابه، وذكر له أشياء من فضل الإسلام، وما يصير إليه المسلمون من النعيم والكرامة.

فقال له الأسقف: يا عمر! أتقرأون في كتابكم: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) فأين (تكون) النار؟! فسكت عمر، وقال لعلي «عليه السلام»: أجه أنت.

قال له علي «عليه السلام»: أنا أجيبك يا أسقف، أرأيت إذا جاء الليل أين يكون النهار؟! وإذا جاء النهار أين يكون الليل؟! فقال الأسقف: ما كنت أرى أن أحداً ليجيبني عن هذه المسألة. مَنْ هذا الفتى يا عمر؟!

فقال: علي بن أبي طالب، ختن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وابن عمه. وهو أبو الحسن والحسين.

فقال الأسقف: فأخبرني يا عمر! عن بقعة من الأرض طلع (طلعت) فيها الشمس مرة واحدة ثم لم تطلع قبلها ولا بعدها؟! قال عمر: سل الفتى.

(١) الآية ٢١ من سورة الحديد.

فسأله فقال: أنا أجيبك هو البحر، حيث انفلق لبنى إسرائيل، ووقعت فيه الشمس مرة واحدة لم تقع قبلها ولا بعدها.

فقال الأسقف: أخبرني عن شيء في أيدي الناس شبه بشار الجنة.
قال عمر: سل الفتى.

فسأله، فقال علي أنا أجيبك هو القرآن، يجتمع عليه أهل الدنيا فيأخذون منه حاجتهم فلا ينقص منه شيء، فكذلك ثمار الجنة.

فقال الأسقف: صدقت. قال: أخبرني! هل للسماوات من قفل؟!
فقال علي «عليه السلام»: قفل السماوات الشرك بالله..

فقال الأسقف: وما مفتاح ذلك القفل؟!
قال: شهادة أن لا إله إلا الله، لا يجربها شيء دون العرش.

فقال: صدقت.

فقال: أخبرني عن أول دم وقع على وجه الأرض؟!
فقال علي «عليه السلام»: أما نحن فلا نقول كما يقولون: دم الخشاف

(لعله الخفاش). ولكن أول دم وقع على وجه الأرض مشيمة حواء، حيث ولدت هاييل بن آدم.

قال: صدقت. وبقيت مسألة واحدة، أخبرني أين الله؟!
فغضب عمر، فقال علي: أنا أجيبك وسل عما شئت، كنا عند رسول

الله «صلى الله عليه وآله» إذ أتاه ملك فسلم. فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من أين أرسلت؟!
فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من أين أرسلت؟!
فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من أين أرسلت؟!
فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من أين أرسلت؟!
فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من أين أرسلت?!

فقال: من السماء السابعة من عند ربي.
ثم أتاه آخر فسأله فقال: أرسلت من الأرض السابعة من عند ربي.
فجاء ثالث من الشرق، ورابع من المغرب، فسألها فأجابا كذلك.
فالله عز وجل هيهنا وهاهنا، في السماء إله، وفي الأرض إله (١).
ولا نرى أننا بحاجة للتعليق على هذا النص، فإنه أوضح من الشمس،
وأبين من الأمس..

علي عليه السلام يكذب كعب الأخبار:

ذكر الطبري: أنه في السنة السابعة عشرة ضرب الطاعون العراق،
ومصر، والشام. فجمع عمر الناس في جمادى الأولى سنة سبع عشرة،
فاستشارهم في البلدان، فقال:

(١) الغدير ج ٦ ص ٢٤٢ و ٢٤٣ والعسل المصطفى من تهذيب زين الفتى ج ١
ص ٣٠٩ و ٣١٠ وخصائص الأئمة للشريف الرضي ص ٩٠ والإرشاد ج ١
ص ٢٠١ و ٢٠٢ والإحتجاج ج ١ ص ٢٠٩ وعجائب أحكام أمير المؤمنين
«عليه السلام» ص ١٨٥ وبحار الأنوار ج ١٠ ص ٥٨ وج ٣١ ص ٥٩٤ وج ٤٠
ص ٢٤٨. والفضائل لابن شاذان ص ٤٢٧ - ٤٣٠ و (ط المطبعة الحيدرية)
ص ١٤٩ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص ١٦٢ وإثبات الهداة ج ١ ص ١٨٠
وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٢٢٣ عن در بحر المناقب لابن حسنويه،
وعن الأربعين لابن أبي الفوارس.

إني قد بدا لي أن أطوف على المسلمين في بلدانهم، لأنظر في آثارهم، فأشيروا علي - وكعب الأحمق في القوم، وفي تلك السنة من إمارة عمر أسلم - فقال كعب: بأيها تريد أن تبدأ يا أمير المؤمنين؟ قال: بالعراق.

قال: لا تفعل إن الشر عشرة أجزاء، والخير عشرة أجزاء، فجزء الخير بالشرق، وتسعة بالمغرب، وإن جزءاً من الشر بالمغرب وتسعة بالشرق، وبها قرن الشيطان. وكل داء عضال.

كتب إلى السري، عن شعيب عن سيف، عن سعيد، عن الأصمغ، عن علي، قال: قام إليه علي «عليه السلام»، فقال:

يا أمير المؤمنين، والله إن الكوفة للهجرة بعد الهجرة، وإنها لقبة الإسلام، وليأتين يوم لا يبقى مؤمن إلا أتاه، وحن إليها، والله لينصرن بأهلها كما انتصر بالحجارة من قوم لوط إلخ..^(١).

ونقول:

هل شعر علي «عليه السلام»: أن كعب الأحمق كان يعلم بها للكوفة وأهلها من موقع حميد، ومقام رشيد، فأراد أن ينفر الناس من الكوفة ومن أهلها، ومن العراق كله؟! إذ لا نجد مبرراً لحرص اليهود على إثارة الشبهات حول العراق والعراقيين إلا ذلك.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤٠ ص ٥٩ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ١٦٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ١ ص ١٥٩ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥٦١.

وكعب الأخبار كان حديث عهد بالإسلام، فإنه إنما أظهر إسلامه لتوه، أي في نفس السنة التي حدث فيها هذا الحوار، ولم تمض بعد له مدة يمكننا أن نتصوره قد تأقلم بالإسلام، وتقبل تعاليمه، واقتنع بها بصورة تامة.. بل قد رأينا أنه لم يزل يسعى لإشاعة أباطيله بين المسلمين في مختلف سني حياته.

وكان الأئمة «عليهم السلام» يحرصون على رد أباطيل اليهود، وتفنيد مزاعمهم، وتكذيب ترهاتهم..

وقد وصف علي «عليه السلام» كعب الأخبار بقوله: إنه لكذاب (١) وكان كعب منحرفاً عن علي «عليه السلام» (٢).

كما أن الإمام الباقر «عليه السلام» قد كذب كعباً في بعض أباطيله، كروايته: «إن الكعبة لتسجد لبيت المقدس كل غداة» (٣)، وذلك سعيّاً من

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ١٦٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٧٧ وبحار الأنوار ج ٣٤ ص ٢٨٩ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٦٥٩ وطرائف المقال ج ٢ ص ١٠٥ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٣٠٤ والغدير ج ٧ ص ٢٧٨.

(٢) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٧٧ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٣٠٤ وبحار الأنوار ج ٣٤ ص ٢٨٩ والغدير ج ٧ ص ٢٧٨ وطرائف المقال ج ٢ ص ١٠٥.

(٣) الكافي ج ٤ ص ٢٣٩ وبحار الأنوار ج ٤٦ ص ٣٥٤ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٣ ص ٢٦٢ و(ط دار الإسلامية) ج ٩ ص ٣٦٣ وجامع أحاديث =

كعب إلى جعل الصخرة التي في بيت المقدس، والتي هي قبلة اليهود^(١)، هي الأعلى والأكرم، وجعل الكعبة أقل شأنًا منها، حتى إن قبلة المسلمين وهي الكعبة تسجد لها كل غداة.

ونلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» اكتفى ببيان شأن الكوفة، وشأن أهلها ولم يشر إلى كعب الأحبار بصورة مباشرة.. ربما لأنه كان حديث عهد بالإسلام، والناس سوف يعذرونه على ظهور آثار اليهودية عليه في هذا الوقت.

ولكن الإمام الباقر «عليه السلام» يصرح باسم كعب، ويقرر: أنه قد كذب فيما قال.. لأن كعباً إنما قال هذا الكلام بعد أن مرت السنون الطويلة على تظاهرة بالإسلام، في حين أنه كان لا يكف عن الدس فيه..

= الشيعة ج ١٠ ص ٦٣ ونور الثقلين ج ٢ ص ٢١٤ ومنتقى الجمان ج ٣ ص ٢٦ وطرائف المقال ج ١ ص ٤٩٤ وج ٢ ص ١٠٥ وذخيرة المعاد (ط.ق) ج ١ ق ٣ ص ٥٤٨. ويبدو أن كعباً قد استمر على تعظيم الصخرة، حتى إنه حينما كان مع عمر في بيت المقدس، وسأله عمر: أين يجعل المسجد والقبلة، قال: خلف الصخرة، فقال له عمر: ضاهيت اليهودية يا كعب. فراجع هذه القضية بنصوصها المتقاربة في: الأئس الجليل في أخبار القدس والخليل ج ١ ص ٢٥٦ والأموال لأبي عبيد ص ٢٢٥ والإصابة ج ٤ ص ١٠٥ والأسرار المرفوعة ص ٤٥٧.

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٥٤.

فكان لا بد من لفت أنظار الناس إلى هذه الحقيقة لكي يجذروا ما ينقل لهم عنه، فقد يكون هناك الكثيرون لا يشعرون أو فقل لا يلتفتون إلى ماضي كعب.. لكي يقارنوا ويربطوا بين أقواله المغرضة، أو ليسعوا إلى التأكد منها.

وقد قال الإمام الصادق «عليه السلام»، وهو يتحدث عن العلماء: «ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليغزر به علمه، ويكثر به حديثه، فذاك في الدرك الخامس من النار»^(١).

علي عليه السلام يجدد تكذيب كعب:

روي عن ابن عباس: أنه حضر مجلس عمر بن الخطاب يوماً وعنده كعب الخبر، إذ قال عمر: يا كعب، أحافظ أنت للتوراة؟! قال كعب: إني لأحفظ منها كثيراً.

فقال رجل من جنبة المجلس: يا أمير المؤمنين، سله: أين كان الله جل ثناؤه قبل أن يخلق عرشه؟! ومم خلق الماء الذي جعل عليه عرشه؟! فقال عمر: يا كعب، هل عندك من هذا علم؟! فقال كعب: نعم يا أمير المؤمنين، نجد في الأصل الحكيم: أن الله تبارك وتعالى كان قديماً قبل خلق العرش، وكان على صخرة بيت المقدس في

(١) الخصال ص ٣٥٢ وروضة الواعظين ص ٧ ومنية المريد ص ١٣٩ والفصول المهمة

للحر العاملي ج ١ ص ٦٠٩ وبحار الأنوار ج ٢ ص ١٠٨ وج ٨ ص ٣١٠.

الهواء، فلما أراد أن يخلق عرشه تفل تفلة كانت منها البحار الغامرة،
واللجج الدائرة، فهناك خلق عرشه من بعض الصخرة التي كانت تحته،
وآخر ما بقي منها لمسجد قدسه.

قال ابن عباس: وكان علي بن أبي طالب «عليه السلام» حاضراً، فعظم
عليُّ ربه، وقام على قدميه، ونفض ثيابه.
فأقسم عليه عمر، لما عاد إلى مجلسه، ففعل.

قال عمر: غص عليها يا غواص، ما تقول يا أبا الحسن، فما علمتك إلا
مفرجاً للغم؟!

فالتفت علي «عليه السلام» إلى كعب فقال: غلط أصحابك، وحرثوا
كتب الله، وفتحوا (باب. ظ.). الفرية عليه.

يا كعب، ويحك، إن الصخرة التي زعمت لا تحوي جلاله، ولا تسع
عظمته. والهواء الذي ذكرت لا يجوز أقطاره.

ولو كانت الصخرة والهواء قديمين معه لكانت لهما قدمته.

وعز الله وجل أن يقال: له مكان يومى إليه.

والله ليس كما يقول الملحدون، ولا كما يظن الجاهلون، ولكن كان ولا
مكان، بحيث لا تبلغه الأذهان.

وقولي: «كان» عجز عن كونه.. وهو مما علم من البيان. يقول الله عز

وجل ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(١).

فقولِي له: «كان» مما علمني من البيان، لأنطق بحججه و عظمته. وكان ولم يزل ربنا مقتدرا على ما يشاء، محيطا بكل الأشياء. ثم كَوَّن ما أراد بلا فكرة حادثة له أصاب، ولا شبهة دخلت عليه فيها أراد.

وأنه عز وجل خلق نوراً ابتدعه من غير شيء، ثم خلق منه ظلمة، وكان قديراً أن يخلق الظلمة لا من شيء، كما خلق النور من غير شيء. ثم خلق من الظلمة نوراً، وخلق من النور ياقوتة، غلظها كغلظ سبع سماوات وسبع أرضين، ثم زجر الياقوتة فماعت (أي: ذابت) لهيئته، فصارت ماء مرتعداً، ولا يزال مرتعداً إلى يوم القيامة. ثم خلق عرشه من نوره، وجعله على الماء.

وللعرش عشرة آلاف لسان، يسبح الله كل لسان منها بعشرة آلاف لغة، ليس فيها لغة تشبه الأخرى.

وكان العرش على الماء من دونه حجب الضباب (مثل الشيباء) وذلك قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ﴾^(٢).

يا كعب ويحك، إن من كانت البحار تفلته على قولك، كان أعظم من أن تحويه صخرة بيت المقدس، أو تحويه الهواء الذي أشرت إليه أنه حل فيه.

(١) الآية ٤ من سورة الرحمن.

(٢) الآية ٧ من سورة هود.

فضحك عمر بن الخطاب، وقال: هذا هو الأمر، وهكذا يكون العلم، لا كعلمك يا كعب، لا عشت إلى زمان لا أرى فيه أبا حسن^(١).
ونقول:

إن في القصة أموراً فائقة الأهمية، يحتاج بسط القول فيها إلى مزيد من التأمل والتدقيق بمرامي كلام علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، دون أن يغيب عن الأنظار شبح العجز المهيمن على البشر عن بلوغ كنهه بليغ كلامه، أو نبيل حقائق مرامه صلوات الله وسلامه عليه.

من أجل ذلك نكتفي بالإلماح إلى أمور يسيرة، وظاهرة يدركها الناظر فيها بعفوية لا يشوبها شيء من التكلف، أو الإيغال المرهق وغير المؤلف.

١ - إنه «عليه السلام» بدأ إعتراضه على كعب بالإعلان باستعظام ما يقوله هذا الحبر اليهودي، واستفظاعه، وقرن ذلك بالمبادرة إلى الخروج من المجلس، وهو تصرف غير معهود منه «عليه السلام» إلا في حالات التغيظ الشديد، لكي يدرك الحاضرون في ذلك المجلس أن ثمة جرأة غير عادية، لا بد من التصدي لها، ولا يجوز السكوت عنها، فضلاً عن الاستئناس والتفكه بها.

٢ - إن اعتراض علي «عليه السلام» كان على أمور عدة، منها:

ألف: إن كعباً، ومن هم على شاكلته، قد حرفوا كتب الله.

(١) بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٩٤-١٩٦ وج ٣٠ ص ١٠١ ومجموعة ورام (تنبيه

الخواطر) ج ٢ ص ٥ و ٦.

ب: إنهم فتحوا باب الفرية على الله تبارك وتعالى..

ج: إنهم جعلوا الصخرة والهواء شريكين له تعالى في القدم. والقول بتعدد القديم شرك ظاهر.

د: إنهم جعلوا لله تعالى مكاناً يومى إليه، أي أنهم جعلوه في جهة. وهذا معناه: القول بالتجسيم، وبغير ذلك من محاذير.

هـ: إنهم جعلوه محلاً للحوادث..

و: إنهم زعموا: أن الأذهان يمكن أن تحيط به.

ز: إنهم انتقصوا من قدرته، ومن إحاطته بجميع الأشياء.

ح: إنهم وقعوا في التناقض الذي تأباه العقول. حيث إن من كانت البحار تَفْلُتُهُ لا تحويه صخرة بيت المقدس.. إلى غير ذلك من أمور أشار إليها «عليه السلام».

٣ - ويلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» لم يقل لكعب: إن الصخرة التي زعمت لا تحويه ولا تسعه، بل قال: لا تحوي جلاله، ولا تسع عظمته، ليتحاشى أي شيء يشير إلى التجسيم الإلهي، وكونه تعالى في جهة، وما إلى ذلك.

٤ - وقد ألمح «عليه السلام» إلى أن ما يذكرونه من أباطيل إنما أتاهم من جهة الإلحاد، أو الجهل، ولا ثالث لهما..

وإنما أطلق عليهم وصف الإلحاد، لأن إطلاق هذه الأوصاف الباطلة تعني نفي صفة الألوهية عنه تعالى، لأن الألوهية تلازم التنزيه عن مثل هذه الأباطيل.

٥ - إن هذا الموقف منه «عليه السلام»:

ألف: يدخل في سياق فضح اليهود، وإبطال ترهاتهم.

ب: ومقاومة السياسة القاضية بمنع الناس من الأخذ عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتوجيههم إلى أهل الكتاب ليأخذوا منهم.

ج: كما أنه يسقط هيبة كعب الأخبار أمام الناس، ويمنع من أخذ الناس عنه من دون تأمل أو تمحيص. وقد كان أهل الكتاب يسعون للهيمنة الفكرية على المسلمين، ولتقديم أنفسهم كعلماء بكل ما كان ويكون..

اليهود يناظرون عمر بن الخطاب:

حدثنا أبي رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري قال: حدثني أبو عبد الله الرازي، عن أبي الحسن عيسى بن محمد بن عيسى بن عبد الله المحمدي، من ولد محمد بن الحنفية، عن محمد بن جابر، عن عطاء، عن طاووس قال: أتى قوم من اليهود عمر بن الخطاب، وهو يومئذ وال على الناس، فقالوا:

أنت والي هذا الأمر بعد نبيكم. وقد أتيناك نسألك عن أشياء، إن أنت أخبرتنا بها آمنة وصدقنا واتبعناك.

فقال عمر: سلوا عما بدا لكم.

قالوا: أخبرنا عن أقفال السماوات السبع ومفاتيحها.

وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه؟!!

وأخبرنا عن من أنذر قومه ليس من الجن ولا من الإنس؟!!

وأخبرنا عن موضع طلعت فيه الشمس ولم تعد إليه؟!

وأخبرنا عن خمسة لم يخلقوا في الأرحام؟!

وعن واحد، واثنين، وثلاثة، وأربعة، وخمسة، وستة، وسبعة، وعن

ثمانية، وتسعة، وعشرة، وحادي عشر، وثاني عشر؟!

قال: فأطرق عمر ساعة، ثم فتح عينيه، ثم قال: سألتكم عمر بن الخطاب

عما ليس له به علم، ولكن ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخبركم بما سألتموني عنه.

فأرسل إليه، فدعاه، فلما أتاه قال له: يا أبا الحسن، إن معاشر اليهود

سألوني عن أشياء لم أجبهم فيها بشيء. وقد ضمنوا لي إن أخبرتهم أن يؤمنوا بالنبى «صلى الله عليه وآله».

فقال لهم علي «عليه السلام»: يا معشر اليهود، اعرضوا علي مسائلكم.

فقالوا له مثل ما قالوا العمر.

فقال لهم علي «عليه السلام»: أتريدون أن تسألوا عن شيء سوى

هذا؟!

قالوا: لا يا أبا شبر وشبير.

فقال لهم علي «عليه السلام»: أما أقفال السماوات فالشرك بالله،

ومفاتيحها قول لا إله إلا الله.

وأما القبر الذي سار بصاحبه، فالحوت سار بيونس في بطنه البحار

السبعة.

وأما الذي أنذر قومه ليس من الجن ولا من الإنس، فتلك نملة سليمان بن داود «عليهما السلام».

وأما الموضع الذي طلعت فيه الشمس فلم تعد إليه، فذاك البحر الذي أنجى الله عز وجل فيه موسى «عليه السلام»، وغرق فيه فرعون وأصحابه. وأما الخمسة الذين لم يخلقوا في الأرحام، فآدم وحواء، وعصا موسى، وناقطة صالح، وكبش إبراهيم «عليهم السلام».

وأما الواحد، فالله الواحد لا شريك له.

وأما الاثنان، فآدم وحواء.

وأما الثلاثة، فجبريل وميكائيل وإسرافيل.

وأما الأربعة، فالتوراة والإنجيل، والزبور والفرقان.

وأما الخمس فخمس صلوات مفروضات على النبي «صلى الله عليه وآله».

وأما الستة، فقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (١).

وأما السبعة، فقول الله عز وجل: ﴿وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا﴾ (٢).

وأما الثمانية، فقول الله عز وجل: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ

(١) الآية ٣٨ من سورة ق.

(٢) الآية ١٢ من سورة النبأ.

ثَمَانِيَةَ ﴿١﴾.

وأما التسعة، فالآيات المنزلات على موسى بن عمران «عليه السلام». وأما العشرة، فقول الله عز وجل: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَاَهَا بِعَشْرِ﴾ ﴿٢﴾.

وأما الحادي عشر، فقول يوسف لأبيه ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ ﴿٣﴾. وأما الاثني عشر، فقول الله عز وجل لموسى «عليه السلام»: ﴿اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ ﴿٤﴾.

قال: فأقبل اليهود يقولون: نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنت ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله». ثم أقبلوا على عمر، فقالوا: نشهد أن هذا أخو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والله إنه أحق بهذا المقام منك.

وأسلم من كان معهم وحسن إسلامهم ﴿٥﴾.

وعن جعفر بن شريح الحضرمي، عن مالك بن أعين الجهني، عن أبي

(١) الآية ١٧ من سورة الحاقة.

(٢) الآية ١٤٢ من سورة الأعراف.

(٣) الآية ٤ من سورة يوسف.

(٤) الآية ٦٠ من سورة البقرة.

(٥) الخصال للصدوق ص ٤٥٦ - ٤٥٧ وبحار الأنوار ج ١٠ ص ٧ - ٩.

عبد الله «عليه السلام»، قال: لما ولي عمر بن الخطاب جاءه رجل يهودي، فدخل عليه المسجد وهو قاعد ومعه أبو أيوب الأنصاري، فقال له: أنت أمير المؤمنين؟! أمير المؤمنين؟! أمير المؤمنين؟!

قال: نعم.

قال: أنت الذي يسألك الناس ولا تسأل، وأنت تحكم ولا يحكم عليك؟! عليك؟! عليك؟!

قال له عمر: نعم.

قال له: فأخبرني عن خصال أسألك عنها.

قال: سل.

قال: أخبرني عن واحد ليس له ثان، واثنين ليس لهما ثالث، وثلاثة ليس لها رابع، وأربعة ليس لها خامس، وخمسة ليس لها سادس، وستة ليس لها سابع، وسبعة ليس لها ثامن، وثمانية ليس لها تاسع، وتسعة ليس لها عاشر، وعشرة ليس لها حادي عشر.

فلم يجبه عمر، وأطرق ملياً.

فقال اليهودي: أخبرني عما أسألك.

فقال له أبو أيوب: إن أمير المؤمنين عنك مشغول، ولكن ائت ذلك القاعد.

قال: وعلي «عليه السلام» قاعد في المسجد معه جماعة. فجاء اليهودي حتى وقف على علي «عليه السلام»، فقال: إني جئت إلى أميركم هذا،

فسألته عن أشياء فلم يجبني فيها بشيء، فأرسلت إليك.

فرفع علي «عليه السلام» رأسه، ثم قال: وما هي، يا ابن هارون؟!
فأعاد عليه.

فقال علي «عليه السلام»: أما الواحد الذي لا ثاني له، فالله الواحد
تبارك وتعالى.

وأما الاثنان اللذان ليس لهما ثالث، فالشمس والقمر.

وأما الثلاثة التي ليس لها رابع، فالطلاق.

وأما الأربعة التي ليس لها خامس، فالنساء.

وأما الخمسة التي ليس لها سادس، فالصلاة.

وأما الستة التي ليس لها سابع، فالستة الأيام التي خلق الله فيها
السموات والأرض.

وأما السبعة التي ليس لها ثامن، فالسموات السبع.

وأما الثمانية التي ليس لها تاسع، فحملة العرش.

وأما التسعة التي ليس لها عاشر، فحمل المرأة.

وأما العشرة التي ليس لها حادي عشر، فالعشرة الأيام التي تم الله بها

ميقات موسى «عليه السلام» في قوله عز وجل: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ
لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾^(١).

(١) الآية ٤٢ من سورة الزمر.

فقال اليهودي: أنت تعلم هذا فذاك ما نعتقده أشهد أنك أمير المؤمنين حقاً، وأسلم على يده، فجز شعره، وغسل ثوبه، وعلمه شرائع الدين. وأتى عمر، فقال: اكتب هذا في ديوان المسلمين^(١).
ونقول:

لا نرى حاجة إلى التعليق على هذه الرواية وسابقتها، ولكننا نقول:

١ - قال التستري ما مفاده: أن هذه الرواية والرواية السابقة قد اختلفتا في جواب هذه الأعداد «وكلاهما صحيح، ولعله «عليه السلام» أجاب كلاً منهما بحسبه»^(٢).

٢ - يلاحظ في الرواية الأولى: أن عمر قال لعلي «عليه السلام»: إنه لم يجب اليهود عن مسائلهم، ولم يذكر له: أنه لا يعلم أجوبة تلك المسائل!!

٣ - إنه وعد به اليهود أولاً: أنه إن أجاب عن أسئلتهم يصدقونه ويتبعونه.. مع أن المطلوب هو إسلامهم، واتباع الرسول.. فدل قولهم هذا على أن اتباع الخليفة وتصديقه إنما هو بادعائه الإمامة والخلافة الحقيقية للرسول.

٤ - إن اليهود بعد سماعهم للأجوبة أقبلوا على عمر وشهدوا: أن علياً

(١) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص ١٠٩ عن قضايا القمي، وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص ١٨٩ و ١٩٠ وعن معادن الجواهر ج ٢ ص ٤٨ ح ٤٣.

(٢) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص ١٠٩.

«عليه السلام» ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع أن كلامهم في بداية الأمر كان عن مجرد الإيمان. والإتباع للخليفة. ألا يدل ذلك على أنهم يشيرون إلى صفات ودلالات ونعوت للخليفة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» يجدونها عندهم، ومنها: أن الخليفة يكون ابن عم رسول الله، ومنها: أنه يكون أخاه؟!!

ويشهد لذلك: حديث اليهوديين الذين ناظرا أبا بكر، حيث جاء فيه: أن هذه الأوصاف بالذات موجودة في كتبهم، وقد تقدم ذلك في خلافة أبي بكر، فراجع.

٥ - دلت هذه الحادثة أيضاً على أن من الثابت لدى أهل الأديان بملاحظة ما عندهم: أن الوصي يجب أن يملك العلم الخاص الذي يختص الله ورسوله به الأوصياء، وأنه ليس من الناس العاديين، وأن بإمكانهم التعرف عليه من هذا الطريق، وأن ثبوت وجود هذا العلم لديه كاف في إثبات إمامته، بل هو كاف عندهم في إثبات النبوة والوحي لرسول الله قبله.

٦ - إن وجود هذا العلم يظهر المتغلب على مقام الإمام والإمامة، ويفضح أمره، ويميزه عن الإمام الحقيقي.

٧ - قول أبي أيوب للسائل في الرواية الثانية: إن أمير المؤمنين مشغول عنك. فيه تمويه ظاهر، لحفظ ماء وجه الخليفة حين ظهر عجزه عن الجواب.

٨ - التسعة التي لا عاشر لها.. يلاحظ: أن هذا يصلح شاهداً للقول: بأن أكثر الحمل تسعة أشهر.. وليس أكثر من ذلك..

- ٩ - والحديث عن شعر ذلك اليهودي يشر إلى ما عرف عن أحبار اليهود من تطويل الشعر. كما أنه حين أمره بغسل ثوبه يشير إلى إرادته نظيفاً وطاهراً من الأوساخ والقاذورات والنجاسات.
- ١٠ - إن هذه الرواية تدل على أن الكثير من الأحكام التي كانت في الشرائع السابقة لا تزال هي عينها في هذه الشريعة، وهذا يؤكد أن المنسوخ منها هو أقل القليل.

الباب السادس:

حروب وفتوحات في عهد عمر

الفصل الأول:

علي عليه السلام وعمر.. حدث وموقف..

عمر يخاف من الثعبان:

روي عن الصادق «عليه السلام»: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» بلغه عن عمر بن الخطاب شيء، فأرسل إليه سلمان رضي الله عنه وقال: قل له: قد بلغني عنك كيت وكيت، وكرهت أعتب عليك في وجهك، فينبغي أن لا تذكر فيَّ إلا الحق، فقد أغضيت على القذى حتى يبلغ الكتاب أجله.

فنهض سلمان رضي الله عنه وبلغه ذلك، وعاتبه، وذكر مناقب أمير المؤمنين «عليه السلام»، وذكر فضائله وبراهينه.

فقال عمر: عندي الكثير من فضائل علي «عليه السلام»، ولست بمنكر فضله، إلا أنه يتنفس الصعداء، ويظهر البغضاء.

فقال سلمان رضي الله عنه: حدثني بشيء مما رأيته منه.

فقال عمر: نعم يا أبا عبد الله، خلوت به ذات يوم في شيء من أمر الجيش، فقطع حديثي، وقام من عندي وقال: مكانك حتى أعود إليك، فقد عرضت لي حاجة، فما كان بأسرع من أن رجعت علي ثانية وعلى ثيابه وعمامة غبار كثير، فقلت له: ما شأنك؟!!

فقال: أقبل نفر من الملائكة وفيهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريدون مدينة بالمشرق يقال لها: صيحون. فخرجت لأسلم عليه، وهذه

الغبرة ركبتني من سرعة المشي.

قال عمر: فضحكت متعجباً حتى استلقيت على قفائي، وقلت له: النبي «صلى الله عليه وآله» قد مات وبلي، وتزعم أنك لقيته الساعة، وسلمت عليه؟! فهذا من العجائب!! مما لا يكون!!

فغضب علي «عليه السلام» ونظر إلي، وقال: أتكذبني يا ابن الخطاب.

فقلت: لا تغضب، وعد إلى ما كنا فيه، فإن هذا مما لا يكون أبداً.

قال: فإن أنت رأيته حتى لا تنكر منه شيئاً استغفرت الله مما قلت وأضمرت، وأحدثت توبة مما أنت عليه، وتركت حقاً لي؟!.

فقلت: نعم.

فقال: قم.

فقمتم معه فخرجنا إلى طرف المدينة وقال: غمض عينيك! فغمضهما، فمسحهما بيده ثلاث مرات.

ثم قال لي: افتحهما.

ففتحتهما، فنظرت، فإذا أنا برسول الله «صلى الله عليه وآله» ومعه رجل (أي نفر) من الملائكة لم أنكر منه شيئاً. فبقيت والله متحيراً أنظر إليه. فلما أطلت النظر قال لي: هل رأيته.

فقلت: نعم.

قال: أغمض عينيك، فغمضتها.

ثم قال: افتحهما، ففتحتهما. فإذا لا عين ولا أثر.

فقلت له: هل رأيت من علي «عليه السلام» غير ذلك.
قال: نعم، لا أكنتم عنك خصوصاً أنه استقبلني يوماً وأخذ بيدي
ومضى بي إلى الجبانة. وكنا نتحدث في الطريق.

وكان بيده قوس فلما صرنا في الجبانة رمى بقوسه من يده فصار ثعباناً
عظيماً مثل ثعبان موسى «عليه السلام»، وفتح فاه وأقبل (نحوي) ليلتلعني.
فلما رأيت ذلك طار قلبي من الخوف، وتنحيت، وضحكت في وجه
علي «عليه السلام» وقلت: له الأمان يا علي بن أبي طالب. أذكر ما كان بيني
وبينك من الجميل.

فلما سمع هذا القول استفرغ ضاحكاً، وقال: لطفت في الكلام، فنحن
أهل بيت نشكر القليل، فضرب بيده إلى الثعبان وأخذه بيده، وإذا هو قوسه
الذي كان بيده.

ثم قال عمر: يا سلمان! إني كتمت ذلك عن كل أحد، وأخبرتك به يا
أبا عبد الله! فإنهم أهل بيت يتوارثون هذه الأعجوبة كابرًا عن كابر.
ولقد كان إبراهيم يأتي بمثل ذلك.

وكان أبو طالب وعبد الله يأتیان بمثل ذلك في الجاهلية.
وأنا لا أنكر فضل علي «عليه السلام»، وسابقته، ونجدته، وكثرة
علمه، فارجع إليه واعتذر عني إليه، واثن عني عليه بالجميل^(١).

(١) الفضائل لابن شاذان ص ١٤٧ - ١٥٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ص ٦٢ - ٦٣
ومجمع النورين للمرندي ص ١٨١ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٦١٤ وج ٤٢ =

وفي نص آخر:

عن سلمان الفارسي «رضي الله عنه» (قال: إن علياً «عليه السلام» بلغه عن عمر ذكر شيعته، فاستقبله في بعض طرقات بساتين المدينة وفي يد علي «عليه السلام» قوس [عربية]، فقال [علي]: يا عمر، بلغني عنك ذكرك لشيعتي.

فقال: أربع [علي] ظلمك.

فقال علي «عليه السلام»: إنك لها هنا؟!!

ثم رمى بالقوس على الأرض، فإذا هي ثعبان كالبعير، فاغراً فاه، وقد أقبل نحو عمر ليلتلهه.

فصاح عمر: الله الله يا أبا الحسن، لا عدت بعدها في شيء، وجعل يتضرع إليه، فضرب [علي] يده إلى الثعبان، فعادت القوس كما كانت، فمضى عمر إلى بيته مرعوباً.

قال سلمان: فلما كان في الليل دعاني علي «عليه السلام» فقال: صر إلى عمر، فإنه حمل إليه من ناحية المشرق مال، ولم يعلم به أحد، وقد عزم أن يجسسه، فقل له: يقول لك علي: أخرج ما حمل إليك من المشرق، ففرقه على

= ص ٤٢ والعقد النضيد ص ٣٨ وعيون المعجزات ص ٣٣ وفيه: روي عن

المفضل بن عمر أنه قال: سمعت الصادق «عليه السلام» يقول.. بتفاوت سير.

وراجع: مدينة المعاجز ج ١ ص ٤٦٤ - ٤٦٧ وج ٣ ص ٣٣ وإثبات الهداة ج ٢ ص ٤٩٢

باختصار، والطبري في نوادر المعجزات ص ٥٠.

من جعل لهم، ولا تحبسه، فأفضحك.

فقال سلمان: فمضيت إليه، وأدیت الرسالة.

فقال: حيرني أمر صاحبك، فمن أين علم [هو] به؟!؟

فقلت: وهل يخفى عليه مثل هذا؟!؟

فقال: يا سلمان، اقبل مني ما أقول لك: ما علي إلا ساحر، وإني لمشفق

[عليك] منه، والصواب أن تفارقه، وتصير في جملتنا.

قلت: بئس ما قلت، لكن علياً وارث من أسرار النبوة ما قد رأيت منه،

وعنده ما هو أكثر (مما رأيت) منه.

قال: ارجع (إليه) فقل له: السمع والطاعة لأمرك.

فرجعت إلى علي «عليه السلام»، فقال: أحدثك بما جرى بينكما.

فقلت: [أنت] أعلم به مني، فتكلم بكل ما جرى بيننا، ثم قال: إن

رعب الشعبان في قلبه إلى أن يموت^(١).

ونقول:

إننا نشير هنا إلى بعض الأمور في ضمن الفقرات التالية:

(١) مدينة المعاجز ج ٣ ص ٢٠٩ - ٢١١ وراجع: ج ١ ص ٤٧٨ والخرائج والجرائح

ج ١ ص ٢٣٢ وإثبات الهداة ج ٢ ص ٢٥٨ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٣١ - ٣٣

وج ٣١ ص ٦١٤ ج ٤١ ص ٢٥٦ و (ط حجرية) ج ٨ ص ٨٢ وتفسير الألويسي

ج ٣ ص ١٢٣ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص ٤٦٠.

المعجزات، والكرامات:

لا ريب في أن ما يجترحه الأنبياء من معجزات، وما يظهره الله سبحانه لهم ولأوصيائهم من كرامات، ثم ما يقومون به من خوارق العادات بحكم ما خولهم الله إياه، إنطلاقاً من مصالح العباد - إن ذلك - جزء من تاريخهم، الذي لا بد من تسجيله، وحفظه وتداوله، لأجل الفكرة فيه، وأخذ العبرة منه، وتثبيت العقيدة به، وتعميق الوعي له، وتبلوره وتحققه في القلوب، وزيادة تجليه ووضوحه في الأذهان والعقول.

ولكن المؤلفين والمصنفين اعتادوا على تحاشي الإفاضة في أمثال هذه الأمور، ربما لأنهم وجدوها حاسمة وباتة، لا يجد العقل والفكر الكثير من الفرص للتعبير عن نفسه، وإظهار وجوده معها.

ونحن.. في كتابنا هذا حاولنا أن نتمرد على هذا القرار، الذي وجدناه جائراً على الحقيقة وظالماً لها، وسعينا للتعامل مع ما يمر معنا من معجزات وكرامات وخوارق للعادات بنفس الجدوية، وب نفس القدر من الإهتمام، وأعطينا بعض قسطه من البحث، والتحليل والتدبر، في مختلف جهاته بنفس المستوى الذي أعطيناها لأي حدث عادي آخر.

وذلك لقناعتنا بأن لكل نوع من الناس مجالاته وتنوعاته المناسبة له، فلا بد لمن أراد أن يؤرخ لهم من أن يعكس ذلك بدقة وأمانة، وإن كانت حين يراد نقلها إلى محيط فريق آخر يتبلور شعور بغربتها عن ذلك المحيط الذي يراد نقلها إليه..

فالمعجزة والكرامة، وخوارق العادات هي جزء من حياة وحركة

الأنبياء وأوصيائهم، فلماذا لا تعطى قسطها كأى أمر عادي آخر؟! ولماذا نريد أن نقيس حياتهم على حياتنا؟! ولماذا نُحَكِّم فيها نفس المعايير؟! ونفرض عليها نفس النظرة التي نتعامل بها مع بعضنا البعض؟! ما دمنا لسنا منهم، ولا نقدر على كثير مما يقدرون عليه، ولا نميل إلى كثير مما يميلون إليه، ولتكن هذه المفردة التي نحن بصدد الحديث عنها من هذا القبيل..

العتاب.. والخطوط الحمراء:

حين يكون لا بد من العتاب، فمعنى ذلك: أن ثمة حقاً قد اضيع، وحدوداً قد انتهكت، وأنه لا بد من إعادة الأمور إلى نصابها.. ثم التقيد بالقيود والإلتزام بالوقوف عند الحدود..

وأما كراهة علي «عليه السلام» العتب على عمر في وجهه، فيشير إلى الرغبة في إبقاء الأمور على الوتيرة التي هي عليها، فلا تراجع عن القناعات، ولا تصعيد في المواقف..

وقد دلنا كلمته «عليه السلام» هنا: على أنه يؤثر تجميد الأمور والإنتظار من دون أن يتخلى عن قضيته، بل هو يريد أن يبقيها على حيويتها حتى يبلغ الكتاب أجله، ولا يحركها باتجاه تصعيدي وتصادمي.

وقد دلنا ذلك بوضوح على: أن القضية المحورية لا تزال حية ومؤثرة، وفي تفاعل مستمر، يدل على ذلك قوله «عليه السلام»: «أغضيت على القذى..».. مما يعني: أن هذا القذى المؤذي لا يزال مؤثراً، ويحتاج إلى التحمل، ثم الإغضاء.

ودل على ذلك أيضاً: أن سلمان ذكر لعمر براهين أمير المؤمنين ومناقبه وفضائله، حتى احتاج عمر إلى الإعراف بها كلها، والتصريح بأنه ليس بصدد إنكار شيء منها..

القوس: الثعبان:

وقد ذكر عمر: أن الذي يدعوه إلى هذا النوع من التعامل هو أنه يرى علياً «عليه السلام» يتنفس الصعداء، ويظهر البغضاء..

وللتدليل على قوله هذا أورد قضية تضمنت تعرضه لأمر مخوف من قبل علي «عليه السلام»، لعلها جاءت على سبيل المداعبة المقصودة، لإفهامه أمراً كان لا بد من تكراره له باستمرار، وهو: أن علياً «عليه السلام» لم يكن يتعامل مع المعتدين عليه من موقع الضعف والوهن، أو العجز، وإنما من موقع التكرم، والصفح والعفو، لإدراك مصلحة الإسلام العليا.

وأن على مناوئيه أن يدركوا هذه الحقيقة، فلا تغرهم جحافلهم وعساكرهم، ولا جمعهم وكثرة الناس من حولهم.. وأن كل فتوحاتهم، لا تعطيهم قوة، ولا تمنع من أخذ الحق منهم، إذا حانت ساعة الصفر لذلك.

ولعل عمر قد استحق هذه المداعبة المقصودة من علي «عليه السلام»، لكي لا يتجاوز حده، فيظهر سخريته مما أخبره به «عليه السلام» من أمر سلامه على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي مر في نفر من الملائكة يريدون مدينة بالمشرق.

فإنه لا يحق لعمر ولا لغيره التطفل على عالم لا صلة له به، ولا يعرف عنه شيئاً، فإنه إذا كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، فما بالك برسول

الله «صلى الله عليه وآله» الذي له مقام الشهادة على الخلق، وعلى الأنبياء الذين سبقوه، والذي يخاطبه من يزور قبره بقوله: أشهد أنك ترى مقامي، وترد سلامي، وتسمع كلامي^(١).. أو نحو ذلك.

ولماذا لا يظهره الله تعالى لبعض خلقه؟! أليس الله على كل شيء قدير؟!!

وإذا كانت الملائكة قد ظهرت على مريم، وعلى الأنبياء، فلماذا لا تظهر لعلي «عليه السلام»، وهو أفضل الخلق بعد النبي «صلى الله عليه وآله»، فضلاً عن مريم «عليها السلام»؟!!

وكيف لا يغضب علي «عليه السلام» من عمر، حين يكذبه، مع أن الله سبحانه قد شهد له بالطهارة من الرجس في قرآنه العظيم..

وكيف لا يغضب؟! وقد أراه رسول «صلى الله عليه وآله» رأي العين، وكان قد أعطاه عهداً إن أراه إياه أن يترك له حقه الذي اغتصبه منه، ولكنه لم يفِ بها وعد.

(١) راجع: بحار الأنوار ج ٩٧ ص ٢٩٥ و ٣٧٦ ورسائل المرتضى ج ١ ص ٤٠٧ والمزار

لابن المشهدي ص ٢١١ و ٦٥٦ والروضة لابن شاذان ص ٣٦ والفضائل لابن

شاذان ص ٩٩ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج ٣ ص ١٣٤ والمزار للشهيد الأول

ص ٩٧ ومدينة المعاجز ج ٢ ص ٢٢١ والدر النظيم ص ٤٠٩.

وتركت حقاً هو لي:

وقد لوحظ أنه «عليه السلام» أخذ على عمر العهد بأن يريه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويترك عمر حق علي لعلي «عليه السلام»، ولهذا دلالات مختلفة..

فأولاً: إنه «عليه السلام» قد جعل إرجاع الحق إليه في مقابل أن يريه دلالة من دلائل إمامته، فكأنه «عليه السلام» لا يكتفي في التدليل على حقه بالتذكير بالبيعة له يوم الغدير، وبنزول الآيات فيه، وبأقوال النبي المؤكدة على إمامته، وولايته، وخلافته من بعده، بل هو يجعل ثمن ذلك ما يتضمن تجسيداً عملياً لتجلي صفات الإمامة فيه، من حيث تصرفه بالغيوب، وهيئته على العوالم الأخرى..

ثانياً: إنه «عليه السلام» يطلب من عمر أن يترك له حقاً هو له، ولا يطلب منه أن يمنحه هذا الأمر، أو أن يعطيه إياه.. فإن تلك التعابير قد تشي بحق لعمر تعلق بهذا الأمر، ويريد علي «عليه السلام» منه أن يتنازل له عنه بقيمة هذا الفعل الذي يقوم به، فكأن الذي جعل لعلي «عليه السلام» الحق بالمطالبة بهذا الأمر، هو نفس هذا الإنجاز الذي قدمه، ولولاه لبقى الأمر لأهله..

ولكنه حين عبر بالترك لحق هو له يكون قد بين أن ما يقوم به إنما هو للإثبات العملي لما يدعيه من غاصبية عمر لهذا الأمر، وأنه ليس لعمر أي حق فيه من الأساس.

ما شأن علي عليه السلام بالثعبان؟!:

على أنه ليس لعمر أن ينسب أمر الثعبان إلى علي «عليه السلام»، فإن علياً لم يصنع شيئاً سوى أنه رمى بقوسه من يده؛ فمجرد أن يتحول القوس إلى ثعبان مما لا يطالب به علي «عليه السلام»، ولا يوجب ذلك لوماً له، فضلاً عن أن يوجب الحقد عليه. وذكره بما ليس فيه. ولا سيما من عمر الذي لم يعترف لعلي بشيء مما أخبره به علي «عليه السلام»، بل كذبه بصورة صريحة، وضحك متعجباً من كلامه حتى استلقى على قفاه.

كما أنه حين أراه علي «عليه السلام» ذلك بأمر عينيه لم يف له بما وعده به، مما يدل على أنه لم يعتبر، ولم يتراجع عن موقفه بصورة عملية وصادقة، بل كان لا يزال يتردد في غياهب الشك والتهمة لعلي «عليه السلام» بالسحر، أو نحو ذلك.

وقد صرح بذلك في النص الأخير المتقدم، فقال لسلمان: اقبل مني ما أقول لك: ما علي إلا ساحر.

فرده سلمان، وقال: لكن علياً وارث من أسرار النبوة ما قد رأيت منه، وعنده ما هو أكثر مما رأيت منه.

عمر يستجيب ويعتذر:

ولعل عمر كان قد صرح بشيء من ذلك أي باتهام علي «عليه السلام» بالسحر ونحوه لبعض الناس، فبلغ ذلك علياً «عليه السلام» فأرسل إليه سلمان ليوقفه عند حده.

ولعله فهم من هذه المطالبة: أن عدم استجابته لعلي «عليه السلام» قد توقعه فيما هو أشد مما وقع فيه في قضية الثعبان والقوس، فأعلن أنه لا ينكر فضل علي «عليه السلام» وسابقته، وكثرة علمه، وأظهر التودد له، وطلب من سلمان أن يبلغه اعتذار عمر إليه، وأن يثني عليه بالجميل.

لأنه ذكر شيعته:

لقد بين النص الأخير طبيعة الحديث الذي دار بين علي «عليه السلام» وعمر، وهو أنه «عليه السلام» عاتب الخليفة على ذكره لشيعته «صلوات الله وسلامه عليه»..

وذلك أن بعض شيعة علي «عليه السلام» اختلف مع بعض شيعة عمر، فترافعا إلى عمر، فمال عمر إلى الذي يتشبع له على الرجل الآخر. ولعله أطلق كلاماً يمس به شيعة علي «عليه السلام»، فطالبه علي «عليه السلام» بما قال، لا لأنه يريد أن ينتصر لذلك الرجل لمجرد كونه من شيعته، بل لأن ذلك الرجل قد تعرض للظلم، ولا بد لعلي «عليه السلام» أن ينصر المظلوم.. وكيف إذا كان قد ظلم مرتين:

أولاهما: بتضييع حقه.

والأخرى: بانتهاك حرمة لأجل دينه ومعتقده وانتهائه؟!!

إربع على ظلمك:

ولكن عمر واجه علياً «عليه السلام» بظلم آخر، حيث واجهه بكلام خارج عن سنة العدل والإنصاف، بقوله له: اربع على ظلمك..

ومعنى هذه الكلمة: إنك ضعيف، فلا تحاول طلب ما تقصر عنه..
وهذا في الحقيقة جواب من يريد أن يجعل من ضعف الآخرين سبباً
لتضييع حقوقهم، ومنعهم من المطالبة بها. وهو أمر غير مقبول من أي كان
من الناس..

مع أن علياً «عليه السلام» هو القائل: الدليل عندي عزيز حتى آخذ
الحق له. والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه^(١).

وإنك لها هنا؟!!!

وكان لا بد من إقناع عمر بأن سكوته «عليه السلام» ليس عن ضعف،
وإنما لأن الله ورسوله يأمرانه بالسكوت.

ولن يقتنع عمر منه بمجرد إدعاء القوة والقدرة على المواجهة..
وحتى لو أراد «عليه السلام» أن يظهر له شيئاً من قوته بصورة عملية،
فإن المجال يبقى واسعاً أمام عمر لإقناع نفسه وغيره: بأن المعيار ليس هو
القوة البدنية، والشجاعة الشخصية، فإن الكثرة تغلب الشجاعة، وعمر
لديه الجيوش الضاربة في طول البلاد وعرضها، ويستطيع أن يتغلب بها على

(١) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ١ ص ٨٨ وكتاب الأربعين للشيرازي
ص ١٧٣ - ١٧٤ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ١٢١ - ١٢٤ وج ٣٩ ص ٣٥١ وشرح
نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٢٨٤ و ٢٨٦ والتفسير المنسوب إلى الإمام
العسكري «عليه السلام» ص ٥٥٤ - ٥٥٨.

شجاعة علي «عليه السلام»، ويسقط قدراته البدنية..

فلذلك لم يجرب علي معه هذا الخيار أيضاً.. بل لجأ إلى أسلوب إقناع لا يملك عمر فيه حيلة، حتى لو كان جميع أهل الأرض معه.. وهو التصرف في الأمور من خارج دائرة القدرات المادية، فإن من يقدر على تحويل القوس إلى ثعبان كالبعير، قادر على القضاء على كل القدرات التي يفكر عمر ومن معه بالإستعانة بها..

وقد أخبر علي «عليه السلام» أن رعب الثعبان مستقر في قلب عمر إلى أن يموت..

من أين علم بالمال؟!:

لم يدر عمر بن الخطاب من أين علم علي «عليه السلام» بالمال الذي جاءه.. ثم حكم بأنه قد علمه عن طريق السحر، فما علي «عليه السلام» بنظره إلا ساحر.. وكأن عمر يرى أن السحر يوصل إلى العلم بالغيب!! وهذا يدل على عدم معرفته بعلي «عليه السلام»، أو على تجاهله لما يعرفه منه، ويدل أيضاً على عدم معرفته بالسحر، وبقدرات الساحر. ويدل على كثرة الكرامات والعجائب التي كانت تصدر من بني هاشم. كما أنه يدل على أنه لا يفرق بين ما هو كرامة ومعجزة إلهية، وبين ما هو خداع، وشعوذة، وتسخير للمخلوقات، التي لا تعلم الغيب، ولا تقدر على تحويل القوس إلى ثعبان، تماماً كما حول موسى «عليه السلام» العصا إلى حية تلقف ما يأفكون.

عمر يطمع بسلمان:

وقد أظهر عمر بن الخطاب أن له جماعة مناوئة لعلي «عليه السلام»، وأنه يسعى لتكثيرها من جهة، كما يسعى لإبعاد الناس عن علي «عليه السلام»، وضمهم إلى جماعته من جهة أخرى.

وقد بلغ به الأمر حداً جعله يطمع بسلمان، ويعرض عليه مفارقة علي «عليه السلام»، والانضمام إلى جماعته. وكأنه لا يعرف سلمان الذي كان شديد الالتزام بما يؤمن به. وقد بلغ في إيمانه وطهره وقداسته مرتبة استحق بها أن يقول النبي «صلى الله عليه وآله»: سلمان منّا أهل البيت..

معرفة سلمان بعلي عليه السلام:

وقد أظهر سلمان: أن ما يعرفه من علي «عليه السلام» أكثر مما ظهر منه، ولذلك قال لعمر عن معرفة علي «عليه السلام» بالمال الذي وصل إلى عمر في الخفاء: «وهل يخفى عليه مثل هذا؟!..»

وقال لعلي «عليه السلام» حين عرض «عليه السلام» عليه أن يخبره بما جرى بينه وبين عمر: «أنت أعلم به مني» ولم يقل له: أنت تعلم به كما أنا أعلم به..

كما أن سلمان كان يعرف منشأ علم علي، وأسباب تصرفاته، وهو أنه وارث من أسرار النبوة أكثر مما ظهر منه لعمر.

علي عليه السلام يصحح، ويوضح:

وخطب عمر، فقال: إن أخوف ما أخاف عليكم أن يؤخذ الرجل

المسلم البريء عند الله، فيدسر كما يدسر الجزور، ويشاط لحمه كما يشاط الجزور. يقال: عاص. وليس بعاص!!

فقال علي «عليه السلام»: فكيف ذلك؟! ولما تشدد البلية، وتظهر الحمية، وتسبى الذرية، وتدقهم الفتن دق الرحي بثفالها؟! (١).
ونقول:

١ - يدسر: أي يدفع. ويشاط لحمه: يقطع ويضع. والثفال: جلدة تبسط تحت الرحي، فيقع عليها الدقيق.

٢ - إن سياق هذا النص يعطي: أن علياً «عليه السلام» لم يرتض من عمر تطبيق ذلك القول على الحالة التي كانت قائمة آنئذ، فبادر إلى التصحيح والتوضيح، مبيناً: أن شرائط حصول ذلك غير متوفرة، ثم بين تلك الشرائط بالتفصيل، وأنها اشتداد البلية، وظهور الحمية، وسبى الذرية، وفتن قاسية تدقهم دق الرحي بثفالها..

٣ - إن هذا الذي جرى يدل على أن هذا الكلام الذي ساقه عمر لم يكن من كلامه على الحقيقة، بل هو قول سمعه عمر كما سمعه غيره. لكن الفرق هو: أن عمر لم يحسن فهمه، وأخطأ في تطبيقه. فاحتاج إلى التوضيح

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ١٥٣ وبحار الأنوار ج ٣٤ ص ١٦٧ و ج ٣٤ ص ١٧٣ والفايق في غريب الحديث للزنجشيري ج ١ ص ٣٦٧ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج ٢ ص ٥٨ وكتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص ٢٦١-٢٦٢ وغريب الحديث لابن قتيبة ج ١ ص ٢٦١.

والتصحيح من العارفين..

وقد تقبل ذلك عمر، ولم يعترض، ولم يتأفف!!.

٤ - فاذا صح ما قلناه، فيرد سؤال: لماذا لم يشأ عمر أن يذكر تلك الأقوال بصيغة الرواية، فينسبها إلى قائلها الحقيقي، وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما هو ظاهر؟!.

٥ - هل هذا يعني أن سائر ما ينسب إلى عمر من تنبؤات - إن صححت نسبته إليه - كان قد سمعه من النبي «صلى الله عليه وآله»؟! أو ممن سمع منه، وأخذ عنه، ثم تظاهر هو بأنه يقوله من عند نفسه؟!.

٦ - لماذا كان يسعى عمر لتخويف الناس من المرحلة التي تأتي بعده، ويريد تطبيق الحديث الشريف عليها؟! هل يريد أن يمن على الناس بأن عهده عهد رخاء وتوسع، وأمن وفتوحات، وما إلى ذلك؟! ثم هو يريد أن يحذرهم من عهد يأتي بعده، ربما يكون لعلي «عليه السلام» فيه أثر وحضور ونشاط.

ويظن: أن أعداء علي «عليه السلام» لن يتركوه وشأنه، فيريد أن يثير التهم والإحتمالات السيئة، والظنون والتشاؤم بهذا العهد، وأن يلحق به وصمة الظلم، والتعدي، ويبعث في الناس الرعب والخوف، والحذر، والشك، وما إلى ذلك.

خطبة لعلي عليه السلام تنسب لعمر بن الخطاب:

صحيح أن أبا بكر وعمر قد تمكنا من إقصاء علي «عليه السلام» عن

الحكم والخلافة.. ولكن ذلك لم يكن نقطة الحسم للصراع، بل كان نقطة انطلاق الصراع.

وقد وجد محبو عمر بن الخطاب، وأولياؤه أنفسهم في دائرة السجال السياسي والفكري والإعتقادي، والديني مع الفئات الأخرى.. وأدركوا أنهم يواجهون صراعاً مريراً ومؤلماً لا طاقة لهم به، لأن الخلفاء الذين يسعون للدفاع عنهم، قد استلبوا الخلافة من أناس ليس لهم على وجه الأرض شبيهه ولا نظير.

فإن علياً «عليه السلام» هو نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بنص آية المباهلة، وهو القمة في كل درجات الصلاح، والعلم والتقوى، والحكمة، والشجاعة، والفصاحة، والبلاغة، وكل ما هو خير وفضل وكمال.

ولم يكن لدى الغاصبين ما يليق أن يتشبث به أحد، لادعاء شيء من ذلك يحسن عرضه في المواجهة السياسية، والفكرية، والإعتقادية..

أي أن غاصبي الخلافة لبسوا قميصاً ليس لهم، وتحقق وظهر لهم مصداق قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: «لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إلي الطير»^(١).

فكان لا بد لهم من استعارة فضيلة، أو قضية، أو حدث تاريخي أو

(١) الخطبة الشقشقية رقم ٢٣ في نهج البلاغة. وقد تقدمت مصادر الخطبة فراجع.

حكمة، أو كلمة، أو موقف من هنا، أو تسوّل أو سرقة شيء من ذلك من هناك، فشنت الغارات وأبيحت السرقات للفضائل والكمالات من النبي «صلى الله عليه وآله» تارة ومن علي «عليه السلام» أخرى.. وربما من غيرهما ثالثة..

وإن مراجعة ما يذكره المعتزلي في كتابه شرح نهج البلاغة الجزء الثاني عشر لعمر من كلمات وخطب، وفضائل تظهر: أن الكثير مما ينسب إليه، قد استعير أو انتهب، أو سرق، أو اغتصب من النبي وعلي «صلى الله عليهما على وأهلها الطاهرين».

ولكن ابن أبي الحديد تغافل عن ذلك كله، فنسبه إلى عمر، مرسلًا له إرسال المسلمات.. ولكنه لم يجد بداً من الجهر بواحدة منها، وهي التالية:

قال المعتزلي عن عمر:

«خطب يوماً، فقال: أيها الناس، ما الجزع مما لا بد منه! وما الطمع فيما لا يرجى، وما الحيلة فيما سيزول! وإنما الشيء من أصله. وقد مضت قبلكم الأصول، ونحن فروعها، فما بقاء الفرع بعد ذهاب أصله!

إنما الناس في هذه الدنيا أغراض تتبيل فيهم المنايا نصب المصائب، في كل جرعة شرق. وفي كل أكلة غصص، لا تنالون نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يستقبل معمر من عمره يوماً إلا بهدم آخر من أجله. وهم أعوان الختوف على أنفسهم.

فأين المهرب مما هو كائن! ما أصغر المصيبة اليوم، مع عظم الفائدة غداً! وما أعظم خيبة الخائب، وخسران الخاسر، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا

بُنُون، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿١﴾.

ثم قال المعتزلي:

وأكثر الناس روى هذا الكلام لعلي «عليه السلام»، وقد ذكره صاحب «نهج البلاغة» وشرحناه فيما سبق (٢).

يسأل علياً عليه السلام ما نسي أن يسأل عنه النبي صلى الله عليه وآله:

عن قضايا القمي قال: لقي عمر بن الخطاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: يا أبا الحسن، خصال عقلتها (غفلتها)، ونسيت أن أسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنها، فهل عندك فيها شيء؟! قال: وما هي؟! قال [عمر]: الرجل يرقد، فيرى في منامه الشيء، فإذا انتبه كان كأخذ بيده درهماً، وربما يرى الشيء [بعينه] فلا يكون شيئاً. والرجل يلقي الرجل، فيحبه عن غير معرفة، ويبغضه عن غير معرفة.

(١) الآيتان ٨٨ و ٨٩ من سورة الشعراء.

(٢) راجع: شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ١٨ والحكمة رقم ١٩١ والخطبة هي التي ذكرها المعتزلي برقم ١٤٥.

وراجع: الأمالي للطوسي ج ١ ص ٢٢٠ والأمالي لأبي علي القالي ج ٢ ص ٥٣ وبحار الأنوار ج ٧٣ ص ١٠٦ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج ٢ ص ١١٠ وعن مجموعة ورام ج ٢ ص ٢٨.

والرجل يرى الشيء بعينه أو يسمعه، فيحدث به دهرًا ثم ينسأه في وقت الحاجة، ثم يذكره في غير وقت الحاجة.

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: أما قولك في الشيء يراه الرجل في منامه، فإن الله تبارك وتعالى قال في كتابه: ﴿اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (١).

فليس من عبد يرقد إلا وفيه شبه من الميت، فما رآه في مرقده في تحليل روحه من بدنه فهو حق، وهو من الملكوت، وما رآه في رجوع روحه فهو باطل وتهاويل الشيطان.

وأما قولك في الرجل يرى الرجل فيحبه على غير معرفة، ويغضه على غير معرفة، فإن الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام، فأسكنها الهواء [فكانت تلتقي، فتشام كما تشام الخيل] فما تعارف منها يومئذ ائتلف اليوم، وما تناكر منها يومئذ اختلف وتباغض.

وأما قولك في الرجل يرى الشيء بعينه، أو يسمع به، فينسأه ثم يذكره، ثم ينسأه، فإنه ليس من قلب إلا وله طخاة كطخاة القمر، فإذا تخلل القلب الطخاة نسي العبد ما رآه وسمعه، وإذا انحسرت الطخاة ذكر ما رأى وما سمع.

قال عمر: صدقت يا أبا الحسن، لا أبقاني الله بعدك، ولا كنت في بلد

(١) الآية ٤٢ من سورة الزمر.

لست فيه^(١).

ونقول:

لا نريد أن نرهق القارئ بالبيانات التي قد تقصر عن إيفاء المقام حقه في استكناه مرامي كلماته «عليه السلام»، ونكتفي بالإشارة إلى نقطة واحدة، هي: أن عمر حين غفل أو نسي أن يسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن هذه المسائل، فإنه رأى في أمير المؤمنين ملاذاً له، فيها يمكن أن يجد عنده ما توقع أن يجده عند رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وقد وجد ما أمل.

ولتكن هذه حجة أخرى عليه، نطق بها لسانه.. وأثبتها عليه الملك الموكل بكتابة صحيفة أعماله..

الذوق السليم:

روى الكليني عن السياري، رفعه، قال: ذكرت اللحمان عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعمر حاضر، فقال عمر: إن أطيب اللحمان لحم الدجاج.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: كلا. إن ذلك خنازير الطير، وإن

(١) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص ٩٩ و ١٠٠ وعجائب

أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص ١٨١. وراجع: كشف الخفاء ج ٢

ص ٣١٦ والدر المنثور ج ٤ ص ٣٠٩.

أطيب اللحم لحم فرخ حمام قد نهض، أو كاد ينهض^(١).

اعتدال المزاج:

روى الشيخ عن عيسى بن عبد الله الهاشمي، عن جده قال: دخل علي «عليه السلام» وعمر الحمام، فقال عمر: بئس البيت الحمام يكثر فيه العناء، ويقل فيه الحياء.

فقال علي «عليه السلام»: نعم البيت الحمام، يذهب الأذى، ويذكر بالنار^(٢).

ورواه الكليني عن محمد بن أسلم الجبلي، رفعه، قال: قال أبو عبد الله «عليه السلام»: قال أمير المؤمنين «صلوات الله عليه»: نعم البيت الحمام، يذكر النار، ويذهب بالدرن.

(١) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص ٢٠٤ والكافي ج ٦ ص ٣١٢ والمحاسن للبرقي ج ٢ ص ٤٧٥ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢٥ ص ٤٦ و (ط دار الإسلامية) ج ١٧ ص ٣٠ وعوالي اللآلي ج ٤ ص ١٠ وبحار الأنوار ج ٥٩ ص ٢٨٠ وج ٦٢ ص ٦ و ٤٤ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٣ ص ٣٠٥ ومستدرك سفينة البحار ج ٩ ص ٢٣٤.

(٢) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص ٢٠٤ وتهذيب الأحكام ج ١ ص ٣٧٧ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢ ص ٣٠ و (ط دار الإسلامية) ج ١ ص ٣٦٢ وعوالي اللآلي ج ٤ ص ١٠ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ١٣٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٦ ص ٥٢٠ وراجع: الكافي ج ٦ ص ٣١٢.

وقال عمر: بئس البيت الحمام، بيدي العورة، ويهتك الستر.

قال: ونسب الناس قول أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى عمر، وقول عمر إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»^(١).

ونسب الصدوق الكلامين إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فيكون من باب الأشياء التي فيها مدح وقدح^(٢).

ونقول:

١ - إن الذوق السليم رهن باعتدال المزاج، والسلامة التامة جسدياً، ونفسياً، وروحياً، وكلما ترقى الإنسان في مزاياه الإنسانية كلما رهف حسه وترقى ذوقه، وصفت مشاعره.. ولذلك كان الكَمَل الأصفياء، والأنبياء والأوصياء في أرقى الدرجات من حيث إدراك الحقائق بعمق، ونيل اللطائف. ولا ينحصر ذلك بالأمور الفكرية أو المشاعرية، بل يتعداها إلى بدائع الصنع، ومظاهر الجمال. وإدراكه وتذوقه ..

(١) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص ٢٠٤ والكافي ج ٦ ص ٤٩٦ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢ ص ٢٩ و (ط دار الإسلامية) ج ١ ص ٣٦١ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٦ ص ٥١٩.

(٢) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص ٢٠٤ وراجع: من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١١٥ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢ ص ٣٠ و (ط دار الإسلامية) ج ١ ص ٣٦١ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص ٥٣ وبحار الأنوار ج ٧٣ ص ٧٧.

وحتى حين تتلوث الأرواح بالمعاصي، والأجساد بالمحرمات، فإن درجات الإدراك، والتذوق الصحيح للمطعمات، والمرئيات، والمحسوسات، والمشمومات، والملموسات تتضاءل، ويضعف الإحساس ببعض درجات الحباثة والرداءة في جميع ذلك، لأن الرداءة والحباثة في هذه الحال تجد ما يسانخها في واقع الجسد ومكوناته وحالاته، فتندمج معه، ويصعب تمييزها، وإدراك وجودها باستقلالها..

وقد ألمح أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى رداءة لحم الدجاج، لأنه أشبه الخنزير في تقممه للأوساخ، ونيل بعض مطاعمه منها، حتى سمي الدجاج خنازير الطير، وذلك لا بد أن يؤثر على طعمه رداءة، وأن يخل بدرجة طيبه، ويوجب تدني مستوى الإلتذاذ به..

وهذه هي الحقيقة التي بينها أمير المؤمنين «عليه السلام».. ولا شك أنه أعرف البشر بالحقائق والدقائق لما ذكرناه أولاً، ولأنه عارف بواقع الأمور وبطبيعة حياة الطيور.

٢ - والفرخ حين ينهض أو يكاد أن ينهض يكون في أكثر أحواله اعتدالاً، فهو لم يتعرض بعد لأي جهد، ولا واجه أي نقص في مطعم أو مشرب، بل كان طعامه أخلص طعام، وأنسبه، وأصفاه. ولم ير شيئاً من القاذورات، فضلاً عن أن يكون قد اقترب منها، أو ارتطم بها.

٣ - وعن قول عمر وعلي «عليه السلام» في الحمام نقول:

إن نظرة عمر إليه كانت ظاهرية، بل غير واقعية أيضاً.. لأن عناء الحمام له نتيحة طيبة، ومطلوبة ومرضية، فهو كعناء الصائم في صومه، فلا يصح

أن يقال: بسّ شهر رمضان، فإنه كثير العناء.. بل هو كثير العوائد، جم الفوائد، وعوائده وفوائده بنفس تحمل مشقاته، ونتيجة للصبر عليها..

٤ - أما قلة الحياء في الحمام فغير صحيحة، لأن الحياء حالة نفسانية، وهي نتيجة تفاعل مشاعر ذات طابع معين، تفرزها معان ومرتكزات ذهنية وإيمانية وغيرها مما يعيشه الإنسان في عمق ذاته. والحمام لا يكثر ولا يقلل من ذلك.

٥ - وليس في الحمام أيضاً هتك للستر، ولا إبداء العورة.. إلا للمستهترين بأحكام الله تعالى، ولا يهتمون لكراماتهم. ولا يحفظون أنفسهم، من النقائص..

٦ - وأما نظرة أمير المؤمنين «عليه السلام» للحمام، فكانت هي الصحيحة والواقعية، فإنه يذهب بالأذى.. ويظهر الإنسان من الأدران، ويزيل عنه ما يكره من الروائح والمنفرات، وغيرها..

كما أنه «عليه السلام» حتى وهو في الحمام لا يغفل عن موقعه في مجمل الواقع الذي جعله الله فيه، وأراده أن يعيشه، وأن يخطط له، ولا يغفل عنه، فاتخذ من الجو الحار الذي يعيشه الإنسان في الحمام سبباً لتذكر النار في الآخرة، وكما يستعين بالحمام على إصلاح أوضاعه، وإزالة الأدران الجسدية عنه.. فإنه يستفيد من جو الحمام لتذكر نار الآخرة، وليجعل من ذلك سبيلاً لتطهير نفسه وروحه من كل ما يمكن أن يعلق بها من خلال الإرتطام بمحركات الشهوات، وملاتمات هوى النفس في الدنيا..

من هو السفلة؟!:

في خبر السياري عن أبي الحسن «عليه السلام» يرفعه قال: جاء رجل إلى عمر، فقال: إن امرأته نازعته، فقالت له: يا سفلة.

فقال لها: إن كان سفلة، فهي طالق.

فقال له عمر: إن كنت ممن تتبع القصاص، وتمشي في غير حاجة، وتأتي أبواب السلطان، فقد بانت منك.

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: ليس كما قلت. إني^(١).

فقال له عمر: أئتيه، فاسمع ما يفتيك.

فأتاه، فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: إن كنت لا تبالي ما قلت وما قيل لك فأنت سفلة، وإلا فلا شيء عليك^(٢).

ونقول:

١ - لا شك في أن عمر بن الخطاب قد أخطأ الصواب فيما قال: فإن المشي إلى باب السلطان العادل لا إشكال فيه.. كما أن المشي إلى باب

(١) أي: تعالوا إلي لأبين لكم.

(٢) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص ١٦٧ و ١٦٨ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ٢٩٥ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢٢ ص ٤٥ و(ط دار الإسلامية) ج ١٥ ص ٢٩٨ ومستطرفات السرائر ص ٥٦٩ وبحار الأنوار ج ٧٢ ص ٣٠٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٢ ص ٢٤.

السلطان لقضاء حاجات الناس، وحل مشكلاتهم، ومنعه من ظلمهم عبادة وكرامة، ونبيل وشهامة..

٢- إن اتباع القصاصين الذين يعرفون ناسخ، القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ويعظون الناس بالحق، ويحملونهم على التوبة، ويسوقونهم إلى إصلاح دينهم وديناهم، ويحملونهم على الهيمنة على أهوائهم، وعدم الإنسياق مع شهواتهم.. هو من شيم العباد الصالحين، والمؤمنين المسددين..

٣- من جهة أخرى، فإن السفالة هي انحطاط في مزايا النفس، وفقدان الشعور بالكرامة. وأجلى مظاهر ذلك هو عدم مبالاة الإنسان بما يصدر منه من أقوال. لأنه يفقد الشعور بالمسؤولية عنها، ولا يرى نفسه مطالباً بالالتزام بها، ولا يعنيه ما تركه من آثار سلبية على مقامه، وشخصيته، كما أنه لا يبالي بما يقال له: فلا تؤثر الكلمة في إصلاحه، ولا في ردعه عن الباطل، ولا يرى أنه له مقاماً يستحق أن يحفظ، وأن يصاب..

ومعنى ذلك: أنه لا يرى لنفسه ميزة ترفعها من الحضيض.. مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(١).

ويقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

والمؤمن أعظم حرمة من الكعبة^(٣).

(١) الآية ٧٠ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ٨ من سورة المنافقون.

(٣) الخصال للصدوق ص ٢٧ وروضة الواعظين ص ٣٨٦ ومستدرک الوسائل ج ٩ =

وقد فوض الله للمؤمن من كل شيء إلا أن يذل نفسه^(١).

قبر يهودا، ودانيال، وهود:

١ - في تاريخ ابن أعثم: أن أبا موسى لما فتح السوس وجد حجرة مقفلة، فأمر بكسر القفل، فوجد صخرة طويلة على شكل قبر، فيها ميت مكفن بالذهب.

فتعجب أبو موسى من طول قامته، وسألهم عنه، فقالوا: هذا رجل

= ص ٣٤٣ ومسند الرضا لداود بن سليمان الغازي ص ١٠٩ ومشكاة الأنوار ص ١٥٥ و ٣٣٧ وبحار الأنوار ج ٧ ص ٣٢٣ وج ٦٤ ص ٧١ وج ٦٥ ص ١٦ ومستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٢٠٤ ونهج السعادة ج ٨ ص ١٣١ و ١٣٢ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١ ص ١٦٤ وكشف الخفاء ج ٢ ص ٢٩٢ ونور الثقلين ج ٣ ص ١٨٨ والجامع الصحيح للترمذي ج ٤ ص ٣٧٨ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٢٩٧ وراجع: المصنف للصنعاني ج ٥ ص ١٣٩ وكشف الإرتياب ص ٤٤٦ و ٤٧٧.

(١) الكافي ج ٥ ص ٦٣ و ٦٤ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٧٩ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٦ ص ١٥٧ و (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٤٢٤ ومستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٢١١ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٤ ص ٦٩ ومستدرك سفينة البحار ج ٣ ص ٤٤٩ وج ٨ ص ٣٣٦ ومشكاة الأنوار ص ١٠٣ والفصول المهمة للحر العاملي ج ٢ ص ٢٢٩ وبحار الأنوار ج ٦٤ ص ٧٢ وج ٩٧ ص ٩٢ ونور الثقلين ج ٥ ص ٣٣٥ و ٣٣٦.

صالح كان بالعراق يستسقون به، فأصابتنا سنة شديدة، فبعثنا إلى العراق نطلبه منهم، ليستسقي لنا، فأبوا أن يبعثوه مخافة أن لا نرده عليهم، فبعثنا إليهم بخمسين رجلاً رهناً، فبعثوه، فاستسقى لنا، ففرج الله عنا، وأغمضنا عن رجالنا، ولم نبعثه حتى توفي عندنا.

فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر. فسأل الصحابة، فلم يكن عند أحد منهم علم منه سوى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فقال: إن هذا دانيال، وكان نبياً، وكان مع بختنصر، وملوك آخرين، وشرح له قصته إلى وفاته. وقال له: اكتب إلى أبي موسى أن يخرج جسده ويدفنه في موضع لا يقدر أهل السوس عليه، فكتب إليه عمر بذلك، فأمر بسد النهر، وحفر قبر فيه، فدفنه ثم أجرى الماء عليه بعد استحكامه بالصخور العظيمة^(١).

٢- روى نصر بن مزاحم، عن ابن سعد، عن ابن طريف، عن ابن نباتة قال: مرت جنازة على علي «عليه السلام» وهو بالنخيلة، فقال «عليه السلام»: ما يقول الناس في هذا القبر؟! وفي النخيلة قبر عظيم يدفن اليهود موتاهم حوله.

فقال الحسن بن علي «عليه السلام»: يقولون هذا قبر هود النبي «عليه السلام» لما أن عصاه قومه جاء فمات ههنا.

(١) راجع: قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص ٢٠٥ و ٢٠٦ وفتوح البلدان لابن أعثم ج ٢ ص ٨ و ٩.

فقال: كذبوا، لأننا أعلم به منهم. هذا قبر يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، بكر يعقوب.

ثم قال: ههنا أحد من مهرة؟!!

قال: فأتي بشيخ كبير، فقال: أين منزلك؟!!

قال: على شاطئ البحر.

قال: أين من الجبل الأحمر؟!!

قال: قريباً منه.

قال: فما يقول قومك فيه؟!!

قال: يقولون: قبر ساحر.

قال: كذبوا، ذلك قبر هود، وهذا قبر يهودا بن يعقوب، بكره، يحشر من ظهر الكوفة سبعون ألفاً على غرة الشمس والقمر يدخلون الجنة بغير حساب^(١).

ونقول:

١ - إن نبي الله هود «عليه السلام» مدفون قرب قبر أمير المؤمنين «عليه

(١) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص ٢٠٥ و ٢٠٦ وبحار

الأنوار ج ٩٧ ص ٢٥١ وج ٣٢ ص ٤١٦ ومستدرک الوسائل ج ١٠ ص ٢٢٤

وجامع أحاديث الشيعة ج ١٢ ص ٣٣١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٣

ص ١٩٥ وصفين للمنقري ص ١٢٦.

السلام» في النجف الأشرف، وهو يشير بالجبل الأحمر إلى جبل النجف ويشير بقوله: شاطئ البحر الذي بقرب الجبل الأحمر إلى بحر النجف الذي جف بطول الزمن.

٢ - قال التستري: «قصة وجدان أبي موسى جسد دانيال عند فتح السوس ذكرها جميع أهل السير، كالبلاذري، والطبري، والحموي وغيرهم».

وذكر الأول: أن أهل السوس طلبوا من أهل بابل نقل جسده إليهم ليستسقوا به^(١).

(١) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص ٢٠٦.

الفصل الثاني:

المسير إلى القادسية في مشورة علي عليه السلام

مشورة علي عليه السلام في فتح القادسية:

وقد استشار عمر المسلمين في المسير إلى حرب الفرس، فأشار علي «عليه السلام» عليه بترك ذلك، فعمل بمشورته، فلاحظ النصوص التالية:

١ - في رواية الطبري عن سيف: أن عمر بن الخطاب في أول يوم من السنة الرابعة عشرة خرج حتى عسكر بصرار، ثم استشار أصحابه في المسير إلى بلاد فارس، فقال العامة: سر، وسر بنا معك، فدخل معهم في رأيهم، وكره أن يدعهم حتى يخرجهم منه في رفق.

فقال: أعدوا واستعدوا، فإني سائر، إلا أن يجيء رأي هو أمثل من ذلك.

ثم أحضر ذوي الرأي واستشارهم، فأشاروا عليه بإرسال رجل آخر، ويرميه بالجنود، فإن فتح الله على يده فبها، وإلا أعاده وندب رجلاً غيره..

فنادى عمر الصلاة جامعة، فاجتمع الناس إليه، وأرسل إلى علي «عليه السلام» وقد استخلفه على المدينة، فأتاه، والى طلحة وكان بعثه على المقدمة، وإلى ابن عوف والزبير، ثم قام خطيباً، فكان مما قال:

أيها الناس، إني إنما كنت كرجل منكم، حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج، فقد رأيت أن أقيم رجلاً، وقد أحضرت هذا الأمر من قدمت

ومن خلفت، وكان علي «عليه السلام» خليفته على المدينة، وطلحة على مقدمته بالأعوص، فأحضرهما ذلك^(١).

وروى سيف هذا الحديث نفسه عن عمر بن عبد العزيز، وفيه: أن طلحة كان ممن تابع، وأن ابن عوف نهاه عن المسير، وأن الذي أشار بإرسال رجل آخر هو عبد الرحمن بن عوف^(٢).

ونقول:

إننا نشير إلى بعض الأمور ضمن الفقرات التالية:

يظهر الموافقة، ويضمّر خلافا:

تقول الرواية السابقة: إن عمر أظهر للامة أنه موافق لهم على المسير، ولم يكن يريد ذلك في الواقع، ولكنه أراد أن يخرجهم من رأيهم هذا برفق، وأن يسوقهم إلى ما يريد بلطف.

فإذا كان هذا صحيحاً، فالسؤال هو: لماذا لا يتخذ قراره وفق قناعاته من دون حاجة إلى الإستشارة؟! حتى لا يحتاج إلى سوق الناس برفق إلى الخروج من رأيهم.. مع أنه كان يقرر ويفرض رأيه في العديد من الأحوال المشابهة..

فهل لنا أن نحتمل: أن يكون الهدف من هذه الإستشارات هو كشف محبه من مبغضه؟!

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٤٨٠ و ٤٨١ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ٢.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٤٨١ و ٤٨٢ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ٣.

أو أنه أراد تبرير قعوده عن مواجهة الأخطار، والإكتفاء بإرسال غيره إليها، لا سيما وأنه لم يكن من أهل الإقدام في الحروب، بل فر في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» في العديد من المواطن، ومنها يوم أحد وخيبر وحنين؟! ولم يجرؤ على الظهور يوم الخندق، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ضمن على الله الجنة لمن يبارز عمرو بن عبد ود. وفي بعضها قال أن من بارز فله الإمامة من بعده، كما تقدم.

البلاذري يعكس الأحداث:

ويلاحظ هنا: أن رواية البلاذري لما جرى في القادسية قد جاءت على خلاف رواية غيره لها..

فغير البلاذري يقول: إن علياً «عليه السلام» أشار على عمر بعدم الشخوص. ورواية البلاذري تقول: إن علياً «عليه السلام» أشار على عمر بالشخوص..

وتقول رواية البلاذري أيضاً: إن عمر طلب من علي «عليه السلام» أن يخرج فأبى.. وفيها:

«كتب المسلمون إلى عمر يعلمونه كثرة من تجمع لهم من أهل فارس، ويسألونه المدد.

فأراد أن يغزو بنفسه، وعسكر لذلك، فأشار عليه العباس وجماعة من مشايخ الصحابة بالمقام، وتوجيه الجيوش والبعوث.. ففعل ذلك.

وأشار عليه علي «عليه السلام» بالمسير.

فقال له: إني قد عزمت على المقام.

وعرض على علي «عليه السلام» الشخوص فأباه^(١).

ونقول:

لا بد من ملاحظة ما يلي:

روايات سيف:

ما رواه الطبري عن سيف بن عمر، إما موضوع أو محرّف، حتى لقد قال بعضهم: «لم يخل خبر منه من تحريف»^(٢).

فلا اعتداد بها رواه هنا عن سيف، إلا إذا وافق فيه غيره..

إستشارة العامة لماذا؟!:

وتقدم: أن عمر بن الخطاب قد استشار أولاً العامة، فأشاروا عليه بالمسير إلى القادسية، فجاراهم وأظهر موافقتهم، مبطناً أن يخرجهم من هذا الرأي في رفق، ولكنه عاد فاستشار ذوي الرأي، فأشاروا عليه بالبقاء، وإشخاص غيره ليقوم بهذه المهمة..

ونحن لم نستطع أن نعرف السبب في القيام بهاتين الخطوتين، إلا إذا كان أراد أن يعرف هوى العامة في أي اتجاه، أو يعرف محبه من غيره..
فإن كان هذا هو الهدف، فالسؤال هو: لماذا لم يرجعوا إلى الناس في يوم

(١) فتوح البلدان ص ٢٥٥ و (ط مكتبة النهضة) ج ٢ ص ٣١٣.

(٢) بهج الصباغة ج ٧ ص ٤٢١.

السقيفة أيضاً، ليعرفوا هواهم في أي اتجاه؟!.

ولماذا لم يستشر عمر بن الخطاب العامة في أمر الخليفة بعده، ليعرف رأيهم قبل أن ينشئ الشورى لكي تأتي بعثمان؟!.

وربما يقال: إنه أراد أن يعرف محبه من غيره، فإن محبه بنظره لا يرغب بتعريضه للأخطار.. فيشير عليه بالبقاء، وأما مبغضه، فيرغب بالتخلص منه فيشير عليه - بزعمه - بالمسير مع أن هذا النوع من الآراء لا يكشف المحب من المبغض إذ يمكن أن ينظر المشير إلى المصلحة للدين وأهله.

المشير بإرسال سعد إلى القادسية:

بعض الروايات تقول: إن البعض أشار بإرسال سعد على رأس الجيش إلى القادسية، ولم تصرح بإسم ذلك البعض بل هي نسبت ذلك إلى جميع ذوي الرأي كما يظهر منها^(١).

مع أن رواية أخرى للطبري تقول: إن عمر نفسه قد اقترح إسم النعمان بن مقرن^(٢).

ورواية ثالثة لسيف تذكر: أن عبد الرحمان بن عوف هو الذي اقترح

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٤٨٠ و ٤٨١ و ٤٨٢ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ٣ و ٤. وتاريخ اليعقوبي (ط سنة ١٣٩٤ هـ) ج ٢ ص ١٣٢.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٤٨٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ١٨٠ ومروج الذهب (تحقيق شارل بلا) ج ٣ ص ٥٣.

رجلاً آخر غير عمر^(١).

لكن ابن أعثم يقول: إن الذي أشار عليه بإرسال سعد هو علي «عليه السلام»^(٢).

وقد يقال: هذا هو الأوضح والأصح، وإن كانت روايته لا تستقيم في بعض وجوهها الأخرى كما سنوضحه، وعلى كل حال فإن إبهام اسم المشير في الرواية الأولى يشير إلى ذلك، أما الرواية الثانية فربما تكون قد اختزلت النص، وحذفت فقرة إشارته «عليه السلام» على عمر، حين استشار أهل الرأي، واكتفت بذكر خطاب عمر للعامة بعد ذلك.

ونحن نذكر هنا كلام ابن أعثم حول ما جرى، فنقول:

علي عليه السلام يشير بسعد بن أبي وقاص:

ذكر ابن أعثم: أنه لما بلغ عمر بن الخطاب ما يجري على الجبهة الشرقية مع الفرس جمع المهاجرين والأنصار، وشاورهم في أن يصير إلى العراق، فكلهم أشار عليه بذلك، وقال: يا أمير المؤمنين، إن جيشاً تكون فيه أنت خير من جيش لم تحضره.

وقام علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فقال: يا أمير المؤمنين، إن كل إنسان يتكلم بما يحضره من الرأي. والرأي عندي أن لا تصير إلى العراق بنفسك، فإنك إن صرت إلى العراق، وكان مع القوم حرب، واختلط

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٤٨٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ٣.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج ١ ص ١٧٢ و ١٧٣.

الناس لم تأمن أن يكون عدو من الأعداء يرفع صوته ويقول: قتل أمير المؤمنين، فيضطرب أمر الناس ويفشلوا في حرب عدوهم، ويظفر بهم العدو.

ولكن أقم بالمدينة، ووجه برجل يكفيك أمر العدو، وليكن من المهاجرين والأنصار البدرين.

فقال عمر: ومن تشير علي أن أوجه يا أبا الحسن؟

قال: أشير عليك أن توجه رجلاً يشرح باليسير، ويسرّ بالكثير.

فقال عمر: من هذا؟! أشر علي.

قال علي «عليه السلام»: أما أنا فإني أشير عليك أن توجه إليهم سعد بن أبي وقاص، فقد عرفت منزلته من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال عمر: أحسنت، هو لها، ما لها سواه.

قال: ثم دعا سعد بن أبي وقاص إلخ^(١)..

ونقول:

إننا نسجل هنا ما يلي:

مشورة المهاجرين والأنصار:

ذكر المهاجرون والأنصار: أن السبب في ترجيحهم لعمر أن يسير بنفسه إلى العراق هو: أن جيشاً يكون فيه خير من جيش لم يحضره.

(١) الفتوح لابن اعثم ج ١ ص ١٧٢ و ١٧٣.

ونقول:

أولاً: إن هذا الكلام غير دقيق، ولا مقبول على إطلاقه، بل المعيار هو أن يكون حضوره مؤثراً في حفظ الجيش، وفي استجلاب النصر له.

ولذلك نقول:

إن غيابه عن الجيش أحياناً قد يكون هو الأولى والأصوب، كما ظهر من بيانات أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي أوضح لهم أن في حضور عمر خطر كبير لا مجال للإغضاء عنه..

كما أن حضوره في بعض الأحيان، وفي ظروف أخرى قد يكون ضرورياً وفي محله كما هو الحال في قضية مسيره إلى بيت المقدس. كما سيأتي إن شاء الله.

ثانياً: كيف يمكن أن نوفق بين هذا النص، وبين ما ذكره سيف، الذي هو عكس ذلك تماماً، فقد ادعى: أنهم أشاروا عليه بإرسال شخص آخر، ويرميه بالجنود، فإن فتح الله على يديه فيها، وإلا أعاده وندب غيره.

وقد قلنا أكثر من مرة: أن سيف بن عمر غير مأمون في الرواية، فلا يعتد إلا بما يوافقه عليه غيره.

مشورة علي عليه السلام:

يلاحظ: أن كلام علي «عليه السلام» قد تضمن نوعين من الكلام:

أحدهما: يرتبط بعمر نفسه، حيث ألمح إليه أنه سيكون هو شخصياً في

موضع الخطر..

وقد أثبت عمر في كل مواقفه مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه لا يفرط في حياته، ولا يعرض نفسه للخطر حتى لو كان ثمن ذلك الجنة، بوعد من النبي «صلى الله عليه وآله» له، كما كان الحال في الخندق كما أن مواقفه في سائر المشاهد تؤيد ذلك.

الثاني: إنه قد بين له أن وجود عمر في ذلك الجيش قد يهيء الفرصة لمكيدة العدو، لتفعل فعلها في إحلال الهزيمة بالمسلمين، ولعل أهون تلك المكائد أن يقول قائل منهم: قتل أمير المؤمنين. فيفشل المسلمون في حرب عدوهم، وتحل الكارثة بهم.

منزلة سعد بن أبي وقاص:

وذكرت رواية ابن أعثم: أن علياً «عليه السلام» رشح سعداً لمحاربة الفرس، قائلاً لعمر: فقد عرفت منزلته من رسول الله «صلى الله عليه وآله». وكان قبل ذلك قد اقترح على عمر أن يكون من يتولى هذه المهمة من البدرين..

ونقول:

أولاً: إننا نرى أن كون رأس الجيش لحرب فارس بديراً أمر راجح، فإن ذلك أدمى لتقيد ذلك القائد، والتزامه، ومراعاته حدود الشريعة في تعامله مع من هم تحت يده، أو في جميع الأحوال. كما أن ذلك يعطيه قدرة على إدارة الأمور، من حيث أنه يهيء الناس لطاعته والإنقياد له.. في هذا الأمر..

وهو أيضاً أبعد عن التنافس، والتحاسد، أو التنازع على موقع القيادة

بين الذين يجدون أنفسهم أهلاً لها..

غير أن ذلك لا يكفي للقول: بأن علياً «عليه السلام» كان يرجح سعداً لهذه المهمة، فهناك آخرون أكفأ من سعد، فلماذا لم يرشح «عليه السلام» الأشر، أو هاشم بن عتبة (المعروف بالمرقال)، فإنهما قد شاركا في تلك الحرب، وقد جاء هاشم بن عتبة من الشام على رأس عشرة آلاف فارس ليشارك في حرب القادسية، وقد شارك فيها بالفعل.

وهذا يشير إلى أنهما كانا يضطلعان بمهمات أساسية ومؤثرة، وقد شاركا بصورة فاعلة وقوية في حرب نهاوند وحروب الشام أيضاً، مع العلم بأن أمثال هؤلاء من أصحاب علي «عليه السلام» كانوا الذين يأتون بالنصر في الفتوحات..

إلا أن يكون «عليه السلام» قد لاحظ: أن سعداً لم يكن قد أعلن عن دخائل نفسه بصورة جلية..

ثانياً: بالنسبة لمكانة سعد من رسول الله «صلى الله عليه وآله» نقول:

لم نجد فيما بأيدينا من نصوص ما يؤيد صحة ذلك.. ونحن نظمّن إلى أن هذه الفقرة مدسوسة على أمير المؤمنين «عليه السلام»، من قبل الرواة من أصحاب الأهواء.

ومن المعلوم أن سعداً لم تكن له هذه المكانة عند علي «عليه السلام».. وهذا يدل على أن ما يزعم من مكانة له عند الرسول «صلى الله عليه وآله» لا يصح، لأن علياً «عليه السلام» لا يمكن أن يهين من يكرمه رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فكيف إذا علمنا: أن سعداً كان أحد أصحاب الشورى، وقد وهب حقه لابن عمه عبد الرحمان بن عوف، وكان يعلم أن هوى ابن عوف في عثمان، لأن عبد الرحمان كان زوج أخت عثمان لأمه، وقد قال علي «عليه السلام» في الخطبة الشقشقية مشيراً إلى ذلك:

«فصغى رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن وهن»^(١).

فالذي صغى لضغنه هو سعد، والذي مال لصهره هو عبد الرحمان بن عوف، وضغن سعد إنما هو لأجل من قتلهم علي «عليه السلام» في الجاهلية من أقاربه دفاعاً عن الإسلام.

يضاف إلى ذلك: أن سعداً قعد عن بيعة علي «عليه السلام» وأبى أن يبايعه، فأعرض عنه علي «عليه السلام»، وقال: ﴿لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾^(٢) «(٣)».

وكتب علي «عليه السلام» إلى والي المدينة: لا تعطين سعداً ولا ابن عمر من الفيء شيئاً إلخ..^(٤).

(١) راجع: نهج البلاغة (بشرح محمد عبده) ج ١ ص ٣٥ (الخطبة الشقشقية).

(٢) الآية ٢٣ من سورة الأنفال.

(٣) مروج الذهب (تحقيق شارل پلا) ج ٣ ص ٢٠٤.

(٤) قاموس الرجال ج ٤ ص ٣١٢ و ٣١٣ عن الكشي، ومستدرك الوسائل ج ١٦

ص ٧٩ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٩ ص ٥٢٤ ومستدرك سفينة البحار ج ١

ص ١٣٦ وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج ١ ص ١٩٧ ورجال ابن =

ودعا عمار ابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وسعد بن أبي وقاص إلى بيعة أمير المؤمنين «عليه السلام»، فأظهر سعد الكلام القبيح، فانصرف عمار إلى علي «عليه السلام».

فقال علي «عليه السلام» لعمار: دع هؤلاء الرهط، أما ابن عمر فضيف، وأما سعد فحسود، وذنبي إلى محمد بن مسلمة: أني قتلت أخاه يوم خيبر، مرحب اليهودي^(١).

وقال سعد لعمار: إننا كنا نعدك من أكابر أصحاب محمد، حتى إذا لم يبق من عمرك إلا ظمأ الحمار فعلت وفعلت؟!!

قال: أيما أحب إليك، مودة على دخل أو مصارمة جميلة؟!!

قال: مصارمة جميلة.

قال: لله علي ألا أكلمك أبداً^(٢).

= داود ص ٤٨ والتحرير الطاووسي ص ٧٤ ونقد الرجال للفرشي ج ٢ ص ٣٠٥ والدرجات الرفيعة ص ٤٤٥ وطرائف المقال ج ٢ ص ١٣٧ ومستدركات علم رجال الحديث ج ١ ص ٥٣٧.

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٤ و (تحقيق الزيني) ج ١ ص ٥٢ و (تحقيق الشيري) ج ١ ص ٧٣ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٣ ص ٢٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٢ ص ٤٦١.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٣ ص ١١١ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٣ ص ٢٤ والمعارف لابن قتيبة ص ٥٥٠.

وكتب سعد إلى عمرو بن العاص: «إنك سألتني عن قتل عثمان، وإني أخبرك أنه قتل بسيف سلته عائشة، وصقله طلحة، وسمه علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وسكت الزبير إلخ..^(١).

وليراجع ما جرى بين سعد وبين أمير المؤمنين «عليه السلام» حين جاء سعد يطالب بعطائه، حين تخلفوا عنه في الجمل وصفين، فاحتج «عليه السلام» عليه، وردده، ولم يعطه شيئاً^(٢).

استخلاف علي عليه السلام على المدينة:

وذكرت رواية سيف المتقدمة: أن عمر استخلف علياً «عليه السلام» على المدينة حين سار إلى القادسية.

ونحن نشك في ذلك:

أولاً: لأن سيف بن عمر غير مأمون في رواياته، فإنه يضع ويحرف ويتصرف.. كما وصفه المؤرخون والمترجمون له..

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٤٨ و (تحقيق الزيني) ج ١ ص ٤٨ و (تحقيق الشيري) ج ١ ص ٦٧ و مناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص ٣٦٣ والغدير ج ٩ ص ٨٣ و ١٤٠ و ج ١٠ ص ١٢٨ وراجع: تاريخ المدينة لابن شبة ج ٤ ص ١١٧٤.

(٢) راجع القضية في كتاب: صفين للمنقري ص ٥٥١ و ٥٥٢ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٥١٧.

ثانياً: إن علياً «عليه السلام» لم يكن ليتولى المدينة من قبل عمر، ولا من قبل غيره ممن يسعون لتصغير عظيم منزلته على حد تعبيره (١).

وقد عرضوا عليه ما هو أعظم وأهم من ذلك، وهو حرب الفرس فرفض (٢)، وكان أبو بكر يريد أن يكلفه بقتال المرتدين بقيادة الأشعث بن قيس، فصدده عمر عن ذلك، لتوقعه أن يرفض علي «عليه السلام»، فإن أبي ذلك فلن يجد أبو بكر أحداً يسير إليهم (٣).

بل هو لم يخرج مع عمر إلى الشام، رغم أن عمر أراد على ذلك (٤).

والذي نراه هو أن عمر بن الخطاب كما سيأتي في موضوع استشارته علياً «عليه السلام» في امر المسير إلى الشام قد يكون أوصاهم بمراجعة علي «عليه السلام» فيما ينوبهم من أمر.. وأن يتعاملوا معه «عليه السلام» كما يتعامل معه عمر نفسه.

(١) راجع مصادر قوله: «اللهم عليك بقريش، فإنهم قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي،

وصغروا عظيم منزلتي» في كتابنا: علي «عليه السلام» والخوارج.

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠٩ و ٣١٠ وفتوح البلدان (تحقيق صلاح الدين المنجد -

مطبعة النهضة) ج ٢ ص ٣١٣.

(٣) الفتوح لابن أعمش ج ١ ص ٧٢ و (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٥٧.

(٤) شرح النهج للمعزلي ج ١٢ ص ٧٨ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٦٣٨ والتحفة

العسجدية ص ١٤٦ وغاية المرام ج ٦ ص ٩٢.

إقتراح تولي علي عليه السلام حرب الفرس:

لقد أشار البلاذري إلى أن عمر بن الخطاب عرض على أمير المؤمنين علي «عليه السلام» الشخوص إلى القادسية، ليكون قائداً لجيش المسلمين، فأباه، فوجه سعد بن أبي وقاص (١).

وفصل ذلك المسعودي، فقال: «لما قتل أبو عبيد الثقفي بالجسر شق ذلك على عمر وعلى المسلمين، فخطب عمر الناس وحضهم على الجهاد، وأمرهم بالتأهب لأرض العراق، وعسكر عمر بصرار، وهو يريد الشخوص. وقد استعمل على مقدمته طلحة بن عبيد الله، وعلى ميمته الزبير بن العوام، وعلى ميسرته عبد الرحمان بن عوف.

ودعا الناس فاستشارهم، فأشاروا عليه بالمسير.

ثم قال لعلي «عليه السلام»: «ما ترى يا أبا الحسن: أسير أم أبعث»؟!!

قال: «سر بنفسك، فإنه أهيب للعدو وأرهب»، وخرج من عنده.

فدعا العباس في جلة من مشيخة قريش وشاورهم، فقالوا: «أقم، وابعث غيرك، لتكون للمسلمين إن انهزموا فئة» وخرجوا.

فدخل عليه عبد الرحمان بن عوف، فاستشاره، فقال عبد الرحمان: «فديت بأبي وأمي، أقم وابعث غيرك، فإنه إن انهزم جيشك فليس ذلك كهزيمتك، وإنك إن تهزم أو تقتل يكفر المسلمون، ولا يشهدوا ان لا إله إلا

(١) فتوح البلدان (تحقيق صلاح الدين المنجد) ج ٢ ص ٣١٣.

الله أبداً».

قال: «أشّر عليّ من أبعث؟»

قال: سعد بن أبي وقاص.

فقال عمر: أعلم ان سعداً رجل شجاع، ولكنني أخشى أن لا يكون عنده (معرفة ب) تدبير الحرب.

قال: عبد الرحمان: هو علي ما تصف من الشجاعة، وقد صحب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وشهد بدرأً، فاعهد إليه عهداً، وشاورنا فيها أردت أن تحدث إليه، فإنه لن يخالف أمرك، ثم خرج.

فدخل عليه عثمان بن عفان، فقال له: يا أبا عبد الله، أشّر عليّ: أسير أم

أقيم؟!

فقال عثمان: «أقم يا أمير المؤمنين، وابعث الجيوش، فإني لا آمن عليك إن أتى عليك آتٍ أن ترجع العرب عن الإسلام، ولكن ابعث الجيوش وداركها بعضها على بعض، وابعث رجلاً له تجربة بالحرب وبصيرة بها»

قال عمر: ومن هو؟

قال: علي بن أبي طالب.

قال: فآلقه، وكلمه، وذاكره ذلك، فهل تراه يسرع إليه أم لا؟!

فخرج عثمان، فلقني علياً فذاكره ذلك، فأبى علي ذلك وكرهه، فعاد

عثمان إلى عمر فأخبره.

فقال له عمر: فمَن ترى؟!

قال: سعيد بن زيد إلخ.. (١).

وأشار البلاذري إلى أن عمر عرض على علي «عليه السلام» الشخصوس إلى القادسية، ليكون قائداً لجيش المسلمين، فأباه، فوجه سعد بن أبي وقاص (٢).

ونقول:

أولاً: قد يمتثل بعض الباحثين: أن يكون عمر يريد أن يولي علياً «عليه السلام» بعض تلك الجيوش، وينتدبه للتوجه إلى بعض البلاد، ثم يعزله، ليثير الشبهة حول أهليته، أو حول نواياه، ليضعف موقعه، ويحط من مقامه..

ثانياً: تقدم: أن أبا بكر كان قد فكر في إرسال علي «عليه السلام» لقتال المرتدين، فقال له عمرو بن العاص: لا يطيعك (٣).

فإذا كان «عليه السلام» لا يطيع أبا بكر، مع أن المدعى أن المرتدين كانوا خطراً داخلياً - وإن كنا لم نر هؤلاء المرتدين أثراً في عهد أبي بكر كما أوضحناه -، فهل يطيع عمر في القتال لأجل فتح البلاد، وبسط النفوذ؟!.. مع العلم: بأن شيئاً لم يتغير فيما يرتبط برأي علي «عليه السلام» في غاصبية أبي بكر وعمر للمقام الذي جعله الله تعالى له بنص يوم الغدير، وغيره..

(١) مروج الذهب للمسعودي (تحقيق شارل بلا) ج ٣ ص ٥١ و ٥٢ و (ط بيروت)

ج ٢ ص ٣٠٩ و ٣١٠.

(٢) فتوح البلدان (بتحقيق صلاح الدين المنجد - مطبعة النهضة) ج ٢ ص ٣١٣.

(٣) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٢٩.

ثالثاً: تقدم حين الحديث عن مشورة عمرو بن العاص على أبي بكر بعدم انتداب علي «عليه السلام» لحرب المتنبئين بعض ما يفيد في استجلاء دلالات هذا التصرف من عمر، وهذا الموقف من علي، فراجع ما ذكرناه سابقاً.

رابعاً: إنها قد صرحت: بأن الناس كلهم أشاروا على عمر بالمسير إلى العراق في مناسبة القادسية، ومنهم علي «عليه السلام». وسيأتي أنه بالنسبة للمسير إلى نهاوند أشاروا عليه بعدم المسير، باستثناء علي «عليه السلام»، فإنه أشار عليه بالمسير.. مع أن ما ذكر هنا سبباً لعدم المسير إليهم هو نفسه السبب الذي ذكر له في مشورة نهاوند، فكيف اختلف الرأي لعلي «عليه السلام» في الموردين، مع كون نفس المبررات قائمة فيهما، ألا يدل ذلك على عدم صحة ما نقله المسعودي هنا عن علي «عليه السلام»؟

[كما أن ما استدل به المشيرون على عمر بالشخوص إلى العراق قد استدلوا بنفس الدليل الذي نسبه هنا إلى علي «عليه السلام»].

خامساً: ما نسب إلى عبد الرحمان بن عوف هنا، من أنه إذا هزم عمر أو قتل يكفر المسلمون، ولا يشهدوا إلا إله إلا الله.. غير صحيح. فإن بقاء المسلمين على إسلامهم ليس لأجل عمر، كما أن عمر قد قتل بعد ذلك على يد أبي لؤلؤة، ولم يكفر المسلمون، ولا كفر بعضهم. ومجرد وقوع الهزيمة على عمر لا يلزم منه أيضاً كفر أحد..

وقد استشهد الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، ولم يكفروا، فهل يكفرون بموت عمر.

سادساً: زعمت الرواية: أن الذي أشار بتولية سعد بن أبي وقاص هو عبد الرحمان بن عوف. مع أن رواية الفتوح قد ذكرت أن علياً «عليه السلام» هو المشير على عمر بسعد.

اقترح عثمان إرسال علي عليه السلام:

اقترح عثمان على عمر إرسال علي «عليه السلام» لمحاربة الفرس كان منسجماً مع سياستهم في جعل علي «عليه السلام» يعمل تحت رايتهم وإمرتهم، ويخدم دولتهم، ويعترف لهم بالأمر وبالإمرة.

ولكن قد يتخوف عمر من احتمالات أن يستفيد علي «عليه السلام» من الفرصة للتوجه نحو نوع من الإستقلال بالأمر عنهم، والإتجاه نحو عصيان أوامرهم، وعدم الإنقياد لهم.

ولكنه قد يكون بصدد تدبير تلافي ذلك، بالتصميم على الإسراع في عزل علي «عليه السلام» عن مقامه، بمجرد إنجاز المهمة الموكلة إليه.. متذرعاً له وللناس بضعف علي «عليه السلام»، أو بأي شيء آخر ينقص من مقامه، ولو بأن يضع حول كفاءته في التدبير والإدارة علامة استفهام.

ولولا أن البلاذري قد أيد ما ذكرته هذه الرواية عن عرض عمر على علي «عليه السلام» أن يوليه حرب الفرس.. لكنا قد شككنا في صحة هذا أيضاً، وألحقناه بغيره مما كان لنا عليه علامات استفهام تقدمت.

وأما بالنسبة لأسباب رفض علي «عليه السلام» هذا العرض من عمر، فلا شك في أنها وجيهة، فإنه كان يعرف أن غيره قادر على إنجاز هذه المهمة، فلماذا يتصدى هو لها، ويدفع ثمن ذلك أن يمكنهم من تقوية

حكمهم، بادعاء أنه عمل تحت رايتهم، وخضع لأوامرهم، واعترف بقيادتهم وبشرعية حكمهم وما إلى ذلك.

على أنه سيأتي إن شاء الله أن أصحاب علي «عليه السلام» هم الذي قاموا بالدور الأساس في الفتوحات، وهي إنما حصلت بتدبيرهم وعلى أيديهم.

عظماً على ما سبق:

قد يقال: كيف يقترح عثمان إرسال علي «عليه السلام» لحرب الفرس، وهو يعلم: أن عمر قد طلب من أبي بكر أن لا يشرك علياً «عليه السلام» في الحروب، باعتبار أنه إن رفض علي «عليه السلام» الخروج لم يخرج الناس بعدها.

ويجاب:

أولاً: لعل عثمان لم يطلع على ما جرى بين أبي بكر وعمر بهذا الخصوص.

ثانياً: لعله علم به ولكنه ظن أن علياً «عليه السلام» قد غير مواقفه في هذا الأمر، وأصبح مستعداً لقبول مهمة من هذا القبيل، بسبب ما ظهر من مرونته في التعامل مع أبي بكر وعمر في بعض المجالات.

ثالثاً: لعله رأى أن هذه المشاركة أصبحت تنسجم مع توجهات علي «عليه السلام» الذي لا يمكن أن يسمح بتعرض الإسلام والمسلمين للخطر.. وحرب الفرس تحمل مخاطر هائلة على الإسلام وعلى المسلمين وكيانهم ووجودهم، فكيف يمكن أن يمتنع عن المشاركة إذا كانت هذه هي

الحال.

ولم يلتفت إلى أن الأمور لم تبلغ إلى هذا الحد، وأن ثمة خيارات من شأنها دفع هذا الخطر من دون حاجة إلى مشاركته التي قد يستفيد منها مناوئوه، لإثارة الشبهة حول الحق الذي أخذ منه بالقوة والقهر.

الفصل الثالث:

علي عليه السلام والمسير إلى القدس

عمر يستشير علياً عليه السلام في حرب الروم:

وفي السنة الخامسة عشرة، وقيل في السادسة عشرة، كان صلح عمر مع أهل بيت المقدس^(١)، ونحن نورد هنا نصوصاً ثلاثة. ثم نذكر بعض ما يرتبط بها، وهي التالية:

١ - جاء في فتوح ابن أعثم، وذكر قريباً منه ابن حجة الحموي: أن أبا عبيدة كتب إلى عمر كتاباً جاء فيه:

إني صرت إلى أهل إيلياء في جماعة من المسلمين، حتى نزلت بهم، وحللت بساحتهم، ثم واقعناهم وقائع كثيرة، كانت عليهم لا لهم، وطاولناهم فلم يجدوا في مطاولتهم إيانا فرجاً، ولم يزدهم الله تعالى بذلك إلا ضعفاً ونقصاً، وذلاً وهولاً.

فلما طال بهم ذلك واشتد عليهم الحصار، سألوا الصلح وطلبوا

(١) راجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥٠٠ و ٥٠١ وراجع ص ٥٦٤. والبداية والنهاية ج ٧ ص ٦٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١١٠ وفتوح البلدان ج ١ ص ١٦٤ والإستيعاب ج ٣ ص ١٤١٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢٨٣.

الأمان، على أن يقدم عليهم أمير المؤمنين، فيكون هو الموثوق به عندهم، والكاتب لهم كتاباً بأمانهم.

ثم إنا خشينا أن يقدم أمير المؤمنين فيغدروا بعد ذلك ويرجعوا، فأخذنا عليهم العهود والمواثيق، والأيمان المغلظة أنهم لا يغدرون ولا ينكثون، وأنهم يؤدون الجزية، ويدخلون فيما دخل فيه أهل الذمة، فأقروا لنا بذلك، فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن تقدم علينا فافعل.

قال: فلما ورد كتاب أبي عبيدة على عمر، وقرأه أرسل إلى وجوه المهاجرين والأنصار، المقيمين معه بالمدينة، واستشارهم في الخروج إلى الشام.

فقال له عثمان: يا أمير المؤمنين! إن الله تعالى قد أذل الروم وأدال عليهم، وأبو عبيدة قد حصرهم وضيق عليهم، فهم يزدادون في كل يوم نقصاً وذكلاً وضعفاً، ووهناً، فإن أنت أقتت ولم تسر إليهم علموا أنك مستخف بأمرهم، مستصغر لشأنهم، حافر لجنودهم، فلا يلبثون إلا يسيراً حتى ينزلوا على الحكم، أو يؤدون الجزية.

فقال عمر: هل عند أحد منكم غير هذا الرأي؟!

فقال علي بن أبي طالب «عليه السلام»: نعم عندي من الرأي، أن القوم قد سألوك المنزلة التي لهم فيها الذل والصغار، ونزولهم على حكمك عزاً لك، وفتح للمسلمين. ولك في ذلك الأجر العظيم في كل ظمأ ومخمصة، وفي قطع كل واد وبقعة، حتى تقدم على أصحابك وجندك.

فإذا قدمت عليهم كان الأمر^(١)، والعافية، والصلح، والفتح إن شاء الله،

وأخرى فإني لست آمن الروم، إن هم أيسوا من قبولك الصلح، وقدومك عليهم أن يتمسكوا بحصنهم، ويلتئم إليهم إخوانهم من أهل جينهم (دينهم)، فتشدد شوكتهم، ويدخل على المسلمين من ذلك البلاء، ويطول أمرهم وحرهم، ويصيبهم الجهد والجوع.

ولعل المسلمين أن يقتربوا من الحصن، فيرشقونهم بالنشاب، أو يقذفونهم بالحجارة، فإن أصيب بعض المسلمين تمنيت أن تكون قد افتديت قتل رجل مسلم من المسلمين بكل مشرك إلى منقطع التراب. فهذا ما عندي والسلام.

فقال عمر: أما أنت يا أبا عمرو فقد أحسنت النظر في مكيدة العدو، وأما أنت يا أبا الحسن! فقد أحسنت النظر لأهل الإسلام، وأنا سائر إلى الشام إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله.

[وعند ابن حجة الحموي: ففرح عمر بمشورة علي وقال: لست آخذاً إلا بمشورة علي، فما عرفناه إلا محمود المشورة، ميمون الطلعة]

قال: ثم دعا عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، فأمره أن يعسكر بالناس.

قال: فعسكر العباس خارج المدينة. واجتمع المسلمون من وجوه

(١) لعل الصحيح: الأيمن.

المهاجرين والأنصار، وسادات العرب.

فلما تكامل العسكر، وعزم عمر على المسير إلى الشام، قام في الناس خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس! إنني خارج إلى الشام للأمر الذي قد علمتم، ولولا أنني أخاف على المسلمين لما خرجت، وهذا علي ابن أبي طالب «عليه السلام» بالمدينة، فانظروا إن حزبكم أمر عليكم به، واحتكموا إليه في أموركم، واسمعوا له وأطيعوا، أفهتتم ما أمرتكم به؟!؟

فقالوا: نعم، سمعاً وطاعة^(١).

واستعمل على المدينة عثمان بن عفان^(٢).

وقد اختصر ذلك ابن حجة الحموي فقال: عندما وصل كتاب أبي عبيدة إلى عمر فرح، وقرأه على المسلمين، وقال: ما ترون رحمكم الله فيما كتب إلينا أمين الأمة؟!؟

فكان أول من تكلم به عثمان بن عفان.

فلما سمع عمر ذلك من عثمان جزاه خيراً، وقال: هل عند أحد منكم غير هذا الرأي؟!؟

(١) الفتوح لابن أعمش ج ١ ص ٢٩١-٢٩٣ و (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٢٣-٢٢٧ و ثمرات الأوراق ج ٢ ص ١٦ و ١٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي (ط سنة ١٣٩٤ هـ) ج ٢ ص ١٣٥ و (ط دار صادر) ج ٢ ص ١٤٧.

فقال علي ابن أبي طالب «عليه السلام»: نعم، عندي غير هذا الرأي، وأنا أبدية إليك، والصواب أن تسير إليهم.

ففرح عمر بمشورة علي «عليه السلام» وقال:

ولست آخذ إلا بمشورة علي «عليه السلام»، فما عرفناه إلا محمود المشورة، ميمون النقيبة^(١).

٢ - وقيل: كان سبب قدوم عمر إلى الشام أن أبا عبيدة حصر بيت المقدس، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام، وأن يكون المتولي لذلك عمر بن الخطاب، فكتب إليه بذلك.

فسار عن المدينة واستخلف عليها علي بن أبي طالب، فقال له علي «عليه السلام»: أين تخرج بنفسك؟! إنك تريد عدوًّا كلباً.

فقال عمر: أبادر بالجهاد قبل موت العباس، إنكم لو فقدتم العباس لانتقض بكم الشر كما ينتقض الحبل.

فمات العباس لست سنين من خلافة عثمان، فانتقض بالناس الشر^(٢).

٣ - وجاء في نهج البلاغة: من كلام له «عليه السلام»، وقد شاوره عمر في الخروج إلى غزو الروم بنفسه:

(١) ثمرات الأوراق ج ٢ ص ١٦ و ١٧. وراجع: العقد الفريد ج ٤ ص ٩٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٦٠٨ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٦ ص ١٠٤ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٨ ص ٢٩٨ وكنز العمال ج ١٣ ص ٥١٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٦ ص ٣٧٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥٠٠.

«قد توكل لأهل هذا الدين بإعزاز الحوزة، وستر العورة. والذي نصرهم وهم قليل لا يتصرون، ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون، حي لا يموت.

إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتنكب، لا تكن للمسلمين كائفة دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً مجرباً، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت رداءً للناس، ومثابة للمسلمين^(١).

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم، الوقفات التالية:

هل ثمة خلط بين الأحداث؟!:

إننا نرجح: أن يكون النص الأول الذي وضعناه تحت رقم واحد، هو الأقرب والأصوب. أما النصان الثاني والثالث، فليسا على ما يرام..
فقد تضمنا: أن علياً «عليه السلام» أشار على عمر بالقعود عن المسير إلى الروم، مع أنه ذلك إنما كان في غزو الفرس، في القادسية، أو في نهاوند، أو في كليهما..

والدليل على ذلك:

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٢ ص ١٨ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج ٣ ص ١٦١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٨ ص ٢٩٦ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ١٣٥ وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم البحراني ص ٢٣٠.

أولاً: إن الرواية المتقدمة برقم (٢) تصرح: بأن أهل الشام استمدوا عمر على أهل فلسطين، فاستخلف علياً «عليه السلام» على المدينة، وخرج ممدأ لهم..

مع أن الحقيقة هي: أن أهل الشام لم يستمدوه، بل طلبوا منه أن يأتي إليهم، ليتم الصلح مع أهل بيت المقدس على يديه.
ثانياً: وهو أيضاً لم يُخْرِج معه جيشاً يصلح أن يكون ممدأ لجيوشه في الشام..

والذين استمدوه هم أهل العراق على جيوش الفرس في شأن القادسية، ثم بعد ذلك في نهاوند..

ثالثاً: ليس هناك أية إشارة يمكن الإعتداد بها، للقول بأن عمر قد حضر في أيام خلافته أياً من الحروب التي جرت بين المسلمين وبين الروم، لا في فلسطين، ولا في الشام.

وكل ذلك يجعلنا نظن، إن لم نكن نطمئن إلى أن الروايتين الأخيرتين قد اختلط الأمر فيهما على الرواة بين فارس، والروم، وبين أهل العراق والشام، وبين الفرس وفلسطين. ولا سيما بملاحظة الاتفاق في المعاني بين ما قاله «عليه السلام» هنا وما قاله في مشورته في القادسية وناوند.

إلا أن تكون رواية نهج البلاغة تتحدث عن مشورة أخرى حصلت حول غزو الروم، فأشار علي «عليه السلام» بعدم الخروج، مستدلاً بنفس ما استدل به في مشورته في المسير إلى بلاد فارس.

أين هي رغبة عمر؟!:

وإذا أردنا أن نطل على خلجات نفس عمر، فلعلنا لا نجد فيها للوهلة الأولى ما يشير إلى ترجيحه المسير في ذلك الوجه أو عدمه..

وذلك لأن المسير لم يكن إلى حرب، وإنما إلى إنجاز مصالحة تنتهي لصالح المسلمين، فلم يكن يخشى على حياته من هذا المسير، لكي يرجح البقاء، ولم يجد أن له مكاسب كبيرة في ذلك الوجه ليرجح المسير.. ولذلك لم نجد له أي حرص على سماع الرأي الذي يأمره بالمسير، أو الذي يشير عليه بالمقام..

فكان يريد بمشورته أن يعرف أوجه المنافع في الحضور وفي السفر، لكي يختار أحدهما..

ونستطيع أن نقول:

إن هذه هي المشورة الوحيدة الحقيقية التي لم يكن يريد عمر فيها أن يقرر رأيه، أو أن يظهر رغباته بلسان غيره، لأنه لم يكن قادراً على البوح بها مباشرة..

أما مشورة نهاوند الآتية، وكذلك مشورة القادسية التي سبقت، فكان ميل عمر إلى القعود فيها جلياً وظاهراً.. فلما سمع من علي «عليه السلام» تأييده لذلك استبشر وارتاح.. وإن كانت منطلقات علي «عليه السلام» فيما أشار به تختلف عن منطلقات عمر فيما يريد الوصول إليه. فهو (أي عمر) يريد النأي بنفسه عن مواقع الخطر، لأنه لا يطيق مواجهته. وعلي «عليه السلام» يريد حفظ بيضة الإسلام في قبال عدو شرس كلبٍ يتربص الدوائر

بالإسلام وبالمسلمين.

وعلي «عليه السلام» يعرف: أن عمر لا يملك من الشجاعة ما يمكنه من الثبات في مثل هذه المواقف الصعبة. فربما يكون وجوده في جيش المسلمين عبئاً وبل سبباً في انهيار الجيش بانهيار معنوياته.. فإبعاده عن ساحات القتال والنزال هو الأقرب والأصوب..

مضامين مشورة علي عليه السلام:

والنظر في مضامين كلام علي «عليه السلام»، الذي أورده للتدليل على صحة رأيه، يبين أنه أشار إلى أمور كثيرة، وهامة، تقتصر منها على ما يلي:

١ - إن نفس أن يطلبوا من عمر أن يقبل منهم الجزية هو قبول بالذل والصغار، كما قرره أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهذا من شأنه أن ينهي الحرب لمصلحة أهل الإسلام، وأن يوفر على المسلمين الكثير من الضحايا، حسبما بينه صلوات الله وسلامه عليه.

٢ - أما ما أشار به عثمان، فهو قرار بمواصلة الحرب معهم، ولكنها حرب من دون نتيجة، سوى التشفي الشخصي منهم. علماً بأنه في أي وقت يراد فيه إنهاء الحرب، فلا شيء يضمن تحقيق نتيجة أفضل من هذه النتيجة، إلا إن كان لدى عثمان ما يدل على أن أهل إيلياء لن يستعينوا بغيرهم من أبناء جلدتهم، ولن يكون أولئك عوناً لهم على حرب المسلمين. وأن نتيجة الحرب ستكون هي قتلهم أو استعبادهم.. مع العلم بأن الإسلام لا يجذب كثيراً هذا الخيار إلا حيث لا يوجد أي خيار سواه..

٣ - إن نفس أن يجعل علي «عليه السلام» لعمر سهماً في عوائد هذا

الإجراء، من حيث إن الحكم فيهم سيصير لعمر نفسه، وإذا كان عمر هو الحاكم فيهم، فذلك عزُّ له في الحياة الدنيا.. أما لو استمرت الحرب فغاية ما هناك هو أن يُقتلوا بعد أن يُقتلوا ويجرحوا من المسلمين، دون أن يكون للمسلمين أي حكم فيهم..

كما أن نزولهم على حكم عمر بسبب مجاهدة المسلمين لهم، فيه فتح وعز للمجاهدين، وقوة لهم.

٤ - يضاف إلى ذلك: أن في مسير من هذا القبيل منافع أخروية يحصل عليها كل من توخاها وطلبها من الله، إذا كان مستجمعاً لشرائط قبول الأعمال فاقداً للموانع.. وهو ما أشار إليه «عليه السلام»، حين قال: ولك في ذلك الأجر العظيم، في كل ظمأ ومخمصة، وفي قطع كل واد وبقعة..

٥ - ثم إنه «عليه السلام» لم يكتف بذكر المنافع الثلاث المتقدمة، بل أشار إلى أن عدم الإستجابة لطلبهم تحمل معها أخطاراً لا يجوز لعمر أن يعرض المسلمين لها. وقد صور له ما سوف يجري لهم ومعهم، حتى كأنه وضع المشهد أمامه، ليراه بأم عينيه..

٦ - قد ظهر من كلام علي «عليه السلام»: أن العمل بمشورة عثمان سوف يحول النصر إلى هزيمة، والفرح به إلى حزن، والنجاح والربح إلى خسران ومأساة، إلى الحد الذي يوقع عمر في أعظم الندم على ما فرط منه. ويكون عثمان بهذه المشورة قد أسدى خدمة لأولئك الكفرة إذا لوحظت نتائجها، وما يترتب عليها في المدى البعيد، وإن كانت قد ساءتهم في بادئ الأمر..

ولذلك نقول:

إن عمر إما أراد أن يجامل عثمان وأن يعطيه قدراً من الإعتبار والهيبة حين قال: إنه أحسن النظر في مكيدة العدو، مع أنه قد أساء النظر في مكيدته، حيث أعطى فرصة للتخلص من هذا الذل والصغار، وأن يبحث عن مخرج من شأنها أن تضر بحال الإسلام والمسلمين.. وتفوت على المسلمين فتحاً كان في أيديهم، حسب وصف علي «عليه السلام».

وإما ان لم يلتفت إلى مرامي كلام علي «عليه السلام»، إلا بمقدار يمنحه الرغبة في إختياره، لما رأى فيه من منافع تعود إليه..

العباس يعسكر بالناس:

وتذكر رواية ابن أعثم: أن عمر أمر العباس بن عبد المطلب أن يعسكر بالناس، فعسكر بهم خارج المدينة. واجتمع المسلمون من وجوه المهاجرين والأنصار، وسادات العرب.

ونقول:

إن ذلك موضع شك وريب من التواحي التالية:

أولها: أننا لم نعهد العباس قائداً عسكرياً، يتولى تهيئة الجيوش للمسير للجبهات، بل عهدناه تاجراً مهتماً بمصالحه، وتدير أموره، ويستفيد من علاقاته التجارية هنا وهناك.

الثانية: إن عمر لم يكن ذاهباً إلى حرب، بل إلى صلح، ولم يطلب منه أبو عبيدة، ولا غيره المدد بالعساكر والأبطال.

الثالثة: لم يكن في المدينة عساكر ورجال، ليتولى العباس تجهيزها..

ويدل على ذلك: أن عمر - كما ذكروا - اعترض على مشورة عثمان في الذهاب إلى نهاوند بقوله: «وكيف أسير أنا بنفسي إلى عدوي، وليس بالمدينة خيل ولا رجل، فإنها هم متفرقون في جميع الأمصار»؟! (١).

من أجل ذلك نقول:

إننا نرجح أن يكون العباس «رحمه الله» قد تولى الإشراف على تجميع الشخصيات التي كان الخليفة يرغب، أو ترغب هي بمرافقته في ذلك السفر، وربما يبلغ عددهم، مع من يحتاجون إليهم في سفرهم العشرات أو أكثر..

ولم يكن هناك عسكر ولا جيش كما يدعون.. وإن كان لدى هؤلاء المرافقين أسلحة يدفعون بها عن أنفسهم، إن عرض لهم ما يحتاج دفعه إلى السلاح من وحش كاسر أو غيره.

موت العباس وظهور الشر:

ذكر عمر: - كما زعموا - أن ظهور الشر إنما يكون بموت العباس.
ونقول:

١ - من أين علم عمر أن الشر ينتقض بالناس بموت العباس، فإن كان ذلك لمعرفته بالملاحم، فقد أظهرت الوقائع خلاف ذلك، وإن كان قد سمع ذلك من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلماذا لم يذكر ذلك لنا إلا عمر بن الخطاب؟! الخطاب!

(١) الفتوح لابن أعمش ج ٢ ص ٣٦ و (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٢٩٢.

فهل أسر النبي «صلى الله عليه وآله» إليه بهذا الأمر دون سواه؟! وماذا لم يسند عمر كلامه هذا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وماذا انحصرت رواية هذه الفقرة عن عمر بسيف، المتهم بالكذب والوضع والتحريف؟!؟!

٢- إن مراجعة الوقائع التاريخية تظهر: أن الشر لم ينتقض بالناس عند موت العباس.. بل هو قد انتقض بهم من يوم السقيفة، حيث ضربت الزهراء، وأسقط جنينها، وهوجم بيتها بالحديد والنار، ونكص أكثر المسلمين على أعقابهم وخالفوا وعصوا أوامر الله ورسوله، لاسيما فيما يرجع إلى مودة القربى والتمسك بالعترة، فنقضوا بيعتهم لإمام زمانهم، وعصبوا حقه.

أو انتقض بهم حين الشر ثار الناس على عثمان وقتلوه، وذلك بعد موت العباس بعدة سنين.

أو انتقض بهم الشر حين خرجوا على إمام زمانهم في حرب الجمل، وصفين، والنهروان.

لماذا يريد النصارى حضور عمر؟!:

وعن طلب نصارى بيت المقدس حضور عمر، ليكون هو المتولي للصلح معهم، ربما لأنهم أرادوا أن يرى الناس لهم بعض الخصوصية، لأن مجيء الخليفة إليهم فيه شيء من إظهار الأهمية والتكريم لهم.

أو لأنهم كانوا لا يثقون بوفاء القادة الذين يحاربونهم. كما أشارت إليه

رسالة أبي عبيدة لعمر بن الخطاب. فإن صح هذا فهو يدل على وجود مشكلة حقيقية في سلوك وممارسات أولئك القادة.. وبحث هذا الموضوع ليس محله هنا..

ما قاله علي عليه السلام في غزو الروم:

تقدم عن نهج البلاغة كلام لعلي «عليه السلام» ذكروا أنه قاله لعمر في غزو الروم، وهو عدة أسطر. ولكننا لم نعثر حتى الآن على مصادر تؤيد ذلك سوى ما جاء في نهج البلاغة..

علماً بأن عمر قد شخّص من المدينة إلى الشام أربع مرات. وقد دخلها مرة وهو راكب فرساً، ومرة وهو راكب بغل، ومرة وهو راكب حمار^(١). كما أنه قد سار إلى فلسطين ليتولى هو مصالحة النصارى على بيت المقدس.

ومهما يكن من أمر فإن الكلام الذي ورد في نهج البلاغة أن علياً «عليه السلام» قاله لعمر حين إستشهادهم في غزو الروم.. لا مجال لتأييده، فإن جيوش المسلمين كانت تحارب في بلاد الشام وفلسطين، من دون حاجة إلى حضور عمر، وقد افتتحت الشام في آخر خلافة أبي بكر، أو أول خلافة عمر.. فلماذا يريد عمر المسير إلى الروم يا ترى، ليجتاح إلى المشاورة في ذلك؟!.

(١) شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٢٩٨ - ٣٠٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٠٣ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥٠٠ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٦٤.

مع ملاحظة: أنه لا مبرر لأن يقصد أي بلد من بلاد الروم سوى البلاد التي هي محور النشاط الحربي للمسلمين، مثل بلاد الشام وفلسطين وما إلى ذلك.

من أجل ذلك نقول:

لربما يكون ما قاله «عليه السلام» لعمر إنما قاله حين شاوره في المسير إلى القادسية.. مع عدم إسقاط احتمال أن يكون من تنمة كلامه في مشورة نهاوند.

استخلاف علي عليه السلام على المدينة:

وقد ذكرت بعض النصوص المتقدمة: أن عمر بن الخطاب حين سار إلى الشام استخلف علياً «عليه السلام» على المدينة..
ونقول:

أولاً: قال اليعقوبي: إنه استخلف على المدينة حينئذ عثمان بن عفان^(١).
ثانياً: تقدم: أن علياً «عليه السلام» إذا كان لا يرضى حتى أن يسافر مع عمر، رغم محاولته ذلك، ولا يرضى بأن يتولى حرب الفرس بالقادسية، فكيف يرضى بتولي المدينة في غياب عمر؟!.

فإن توليه لها: أن ذلك يتضمن نوعاً من الاعتراف بشرعية حكومة

(١) تاريخ اليعقوبي (ط سنة ١٣٩٤ هـ) ج ٢ ص ١٣٥ و (ط دار صادر) ج ٢

عمر. ولم يكن علي ليسجل ذلك على نفسه، فإنه كان حريصاً على الجهر بإستمرار بعدم مشروعية خلافتهم تلميحاً وتصريحاً.

كما أنه كان يعرف: أن ذلك يتضمن إنقاصاً من قدره، وتصغيراً لشأنه، وهو الذي يقول: اللهم عليك بقريش، فإنهم قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وصغروا عظيم منزلتي (١).

وقال في الخطبة الشقشقية عن أهل الشورى: «متى اعترض الريب في مع الأول منهم، حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر»؟! (٢).

ثالثاً: إن كلام عمر يشير إلى: أنه لم يستخلف علياً «عليه السلام» على المدينة، بل هو قد أمر الناس بأن يرجعوا إلى علي «عليه السلام» في الأمور المشكلة، حيث قال لهم:

«وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالمدينة، فانظروا إذا حزبكم أمر

(١) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٢ ص ٨٥ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج ٤ ص ١٧٥ والغارات للثقفي ج ١ ص ٣٠٨ وج ٢ ص ٥٧٠ و ٧٦٧ والمسترشد ص ٤١٦ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١٧٢ و ١٨٦ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٦٠٥ وج ٣٣ ص ٥٦٩ والمراجعات ص ٣٩٠ والنص والإجتهد ص ٤٤٤ ونهج السعادة ج ٦ ص ٣٢٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٠٣ وج ٦ ص ٩٦ وج ٩ ص ٣٠٥ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج ١ ص ١٣٤ و (تحقيق الشيري) ج ١ ص ١٧٦.

(٢) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ١ ص ٣٠.

عليكم به، واحتكموا إليه في أموركم..»^(١).

فلو كان قد ولاه عليهم، فإنهم سيرجعون إليه في جميع أمورهم.. وأما الأمور التي تنزل بهم، فإن والي المدينة سوف يتصدى لها بصورة طبيعية، وهذا من أوليات ما يطلب منه، ويجب عليه مواجهته بالحلول الناجعة، والعلاجات الصحيحة..

فما أمرهم به عمر تجاه علي «عليه السلام» لا يتنافى مع تولية عثمان على المدينة.. وقد كان علي «عليه السلام» حلال المشاكل لهم جميعاً.. كما يعلم بالمراجعة.

أمين الأمة:

وأما توصيف عمر بن الخطاب لأبي عبيدة بأنه أمين الأمة، فنلاحظ عليه: أن هذا التوصيف، وإن كانوا قد رووا عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح^(٢).

(١) الفتوح لابن أعثم ج ١ ص ٢٩٣ و (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٢٥.

(٢) الغدير ج ٥ ص ٣٦٢ والإمامة والسياسة ص ٢٢ و (تحقيق الزيني) ج ١ ص ٢٨ و (تحقيق الشيري) ج ١ ص ٤١ وأعلام النساء ج ٢ ص ٨٧٦ والوضاعون وأحاديثهم ص ٤٧٦. وراجع: نيل الأوطار ج ٦ ص ١٦٨ ومسند أحمد ج ٣ ص ١٧٥ و ١٨٤ و ٢٤٥ و ٢٨١ و ج ٤ ص ٩٠ وصحيح البخاري ج ٥ ص ١٢٠ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٠ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣١٦ و ٣٣٠ و ٣٣١ وفضائل الصحابة للنسائي ص ٣٠ و ٤١ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٢٦٧ و ٤٤٢ و ٥٣٥ والسنن الكبرى =

= للبيهقي ج ٦ ص ٢١٠ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٨ وعمدة القاري ج ١٦ ص ٢٣٨ وج ١٨ ص ٢٨ وتحفة الأحوزي ج ١٠ ص ١٧٨ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٥٧ و ٦٧ ومسند أبي يعلى ج ١ ص ١٩٨ وج ٥ ص ١٩٧ وج ١٠ ص ١٤١ وصحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٤٦٢ وج ١٦ ص ٨٦ و ٢٣٨ والمعجم الأوسط للطبراني ج ٦ ص ٦٨ و ٢٩٩ والمعجم الكبير للطبراني ج ٤ ص ١١٠ ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص ٢٥٤ ومعرفة السنن والآثار ج ٥ ص ١٧٩ والإستيعاب ج ١ ص ١٦ و ٦٨ وج ٤ ص ١٧١ والجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٣٣٩ و ٣٦٨ وكنز العمال ج ٥ ص ٦١٨ و ٧٣٨ وج ١١ ص ٦٤١ و ٦٤٣ و ٧١٣ و ٧١٤ وج ١٣ ص ٢٠٦ و ٢٥٨ وفيض القدير ج ٢ ص ٦٤٣ وج ٣ ص ٥٧٢ وكشف الخفاء ج ١ ص ١٠٨ و ١٩٩ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٢٠٧ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٧٧ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٤١١ وضعفاء العقيلي ج ٣ ص ١٠٧ ومشاهير علماء الأمصار ص ٢٧ والكامل لابن عدي ج ٥ ص ٢٠ وج ٦ ص ٧٧ وطبقات المحدثين بأصبهان ج ٤ ص ٥٥ وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٩١ وج ٨ ص ٩٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ١١ ص ٢١٠ وج ١٦ ص ٢٤١ وج ١٩ ص ٣١٠ و ٣١١ وج ٢٥ ص ٤٤١ و ٤٥٣ و ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٨ و ٤٦٠ و ٤٦١ و ٤٦٣ و ٤٦٤ و ٤٦٥ و ٤٧٤ وج ٣٠ ص ٢٧٣ وج ٣٦ ص ١٥١ وج ٣٩ ص ٩٥ وج ٤٤ ص ١٣٧ وج ٥٨ ص ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠١ وج ٦٥ ص ٢٤٤ و أسد الغابة ج ١ ص ٤٩ وج ٣ ص ٨٥ و ٨٦ وتهذيب الكمال ج ١٤ ص ٥٦ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ١١ و ١٢ وج ٤ ص ٤٧٤ و ٤٧٥ والإصابة ج ٣ ص ٤٧٥ وج ٧ ص ٢٢٥ =

ولكننا لا نكاد نطمئن لصدوره عنه «صلى الله عليه وآله»:

فأولاً: إن أسانيد الأحاديث المتضمنة لهذا الوصف لا تخلو من مغمز، من حيث اتهام الرواة بالتدليس، أو بالعداء لعلي «عليه السلام»، وشرب المسكرات، والإختلاط، وبالكذب وغير ذلك.

ثانياً: إن الحديث مردود من حيث المضمون، فإن أبا عبيدة لم يكن أميناً في كثير من أحواله، فقد عمل على إقصاء علي «عليه السلام» من الموقع الذي جعله الله تعالى له، ونصبه فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غدير خم، وكان من المهاجرين لبيت فاطمة الزهراء «عليها السلام»، فهو لم يحفظ وديعة النبي، ولا حفظ ما عهد الله ورسوله به إلى الأمة، ولا وفي بيعته له في يوم الغدير..

وهناك مفردات كثيرة تدخل في هذا السياق، مثل:

١ - كتمانها خبر عزل عمر لخالد عن إمارة الجيش، حيث لم يُظهر كتاب

= والمعارف لابن قتيبة ص ٢٤٧ وفتوح الشام ج ١ ص ١٦٤ والعثمانية للجاحظ ص ٢٣٣ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٣ ص ٨٨١ و ٨٨٦ وذكر أخبار إصبهان ج ١ ص ٣١٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ص ٥٥ والوافي بالوفيات ج ٦ ص ١٢٢ وج ١٣ ص ١٦٢ وج ١٦ ص ٣٢٩ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٦٩ و ٣٧٧ وج ٧ ص ١٢٩ و ٢٢٨ وإمتاع الأسماع ج ٩ ص ٣٦٥ و ٣٦٧ وج ١٤ ص ٧٢ و كتاب الفتوح لابن أعثم ج ٢ ص ٣٢٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦٨٢ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٤١ و ٣٣٣ و ٣٤٢.

عمر له حتى فتحت دمشق. وكان خالد على عادته في الإمرة، وأبو عبيدة لم يزل يصلي خلفه، وجرت المصالحة على يد خالد، وكتب الكتاب باسمه (١).

٢ - وكتب أيضاً خبر عزل خالد عنه مرة أخرى، ولم يبلغه كتاب عمر، حتى إذا طال على عمر أن يقدم كتب إليه مرة أخرى بالإقبال، فعاتب خالد أبا عبيدة على كتمانه أمراً كان يجب أن يعلمه (٢).

٣ - ثم إن أبا عبيدة تهاون في إجراء الحد على أبي جندل بن سهيل، وضرار بن الخطاب، وأبي الأزور، لما شربوا الخمر. وسمح - رغم تأكيد عمر عليه بجلدهم - بأن يقاتلوا، فقتل منهم أبو الأزور، قبل جلدهم، وبعد ذلك جلد الإثنين الآخرين (٣).

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٤٣٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٦٢٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ١٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١١١ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٢٠٢.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٦٦ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ١٦٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٦ ص ٢٦٦.

(٣) الإصابة ج ٤ ص ٥ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٧ ص ٩ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٤ ص ٣٤ و ٣٥ و (ط دار الجليل) ج ٤ ص ١٥٩٦ و ١٦٢٢ وأسد الغابة ج ٥ ص ١٦٠ وكنز العمال ج ٥ ص ٥٠٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٠٥ والمصنف للصنعاني ج ٩ ص ٢٤٤ ومعرفة السنن والآثار ج ٧ ص ٤٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٤ ص ٣٩٠ و ج ٢٥ ص ٣٠٣.

٤ - وزعموا أيضاً: أنه أراد نقض العهد مع أهل حمص، لكن شرحبيل بن حسنة لم يرض ذلك^(١).

٥ - إنه ندم على مخالفته رسول الله «صلى الله عليه وآله» حيث أوصاه أن لا يزيد من الخدم على ثلاثة، وأن لا يكون له من الدواب أكثر من ثلاث.. وها هو قد امتلأ بيته رقيقاً، وامتلاً مربوطه من الدواب والخيل^(٢).
ثالثاً: إن أبا عبيدة لم يكن أكثر أمانة من سلمان وعمار، وأبي ذر، والمقداد، بل من الظلم قياسه بهؤلاء، فكيف بأمر المؤمنين والحسن والحسين «عليهم السلام»؟! فكيف إذا قلنا بما يقوله بعض العلماء، من أنه كان أميناً للخونة، وأنه قد خان الله ورسوله، وخان أمانته فيما فعله في السقيفة، حيث زو الأمر عن أهله. فلماذا يخصه «صلى الله عليه وآله» بهذا الوسام دونهم؟!
إذا كان قد خان الأمانة..

كما أنه لم يكن أعظم أمانة من أبي بكر وعمر، حسب اعتقاد فريق كبير

(١) راجع: كتاب الفتوح لابن أعثم ج ١ ص ١٧٦ وفتوح الشام للواقدي، وروضة الصفا، وروضة الأحياب.

(٢) كنز العمال ج ١٣ ص ٢١٧ ومسند أحمد ج ١ ص ١٩٦ والرياض النضرة ج ٤ ص ٣٥٣ ومجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٥٣ والزهد وصفة الزاهدين ص ٥٥ ومسند الشاميين ج ٢ ص ١٢٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٥ ص ٤٧٩ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٣.

من المسلمين.

رابعاً: ما معنى أن يكون أبو عبيدة أميناً للأمة؟! فهل ائتمنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أسرار ترتبط بها؟!!

أم أن الأمة جعلت عند أبي عبيدة أمورها الثمينة، وائتمنته عليها؟!!

أم أن ودائع الناس كانت توضع عنده فيؤديها؟!!

إننا لم نجد ما يدل على الفرضين الأولين.. كما لم نجد ما يشير إلى حدوث الفرض الأخير أصلاً..

وحتى لو وجد شيء من هذا الفرض الأخير، فإنه لا يصحح اعتباره أميناً للأمة بأسرها.. بل هو أمين لأفراد معدودين عاشوا في المدينة، وليس أميناً لأحد في خارجها. فضلاً عن أن يكون أميناً للأحياء والأموات ومن لم يولد من أهل المدينة وغيرها..

والحقيقة هي: أنه كان أميناً للسلطة التي تشارك هو وإياها في غضب الخلافة من صاحبها الشرعي.. فمنحوه هذا الوسام على سبيل المكافأة!!.

خامساً: بالنسبة لحديث طلب أهل نجران في حديث المباهلة من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يرسل معهم أميناً، فأرسل إليهم أبا عبيدة واصفاً إياه بأنه أمين حق أمين.. نقول:

قد تحدثنا عن هذا الأمر في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي «صلى الله عليه وآله» أو آخر الجزء الثامن والعشرين من (الطبعة الخامسة)، فليراجع..

وقلنا فيه: إنه لا معنى لطلب النجرانيين الرجل الأمين من النبي «صلى الله عليه وآله».. إذ لا مبرر لاشتراط الأمانة منهم..

وقلنا: إن علياً «عليه السلام» هو الذي ذهب إليهم..
 وقلنا: إن أبا عبيدة لم يكن أميناً..
 وقلنا.. وقلنا..

سادساً: هناك ما يدل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أطلق عليه أنه: «أمين هذه الأمة» ليؤكد فيه معنى الخيانة، وذلك حين كتب نفر من قريش صحيفة فيما بينهم، تعاهدوا فيها على أن لا يمكنوا علياً «عليه السلام» من الأمر بعد النبي «صلى الله عليه وآله»، بل يكون من بعده لأبي بكر وعمر، وأبي عبيدة وسالم. وشهد بذلك أربعة وثلاثون رجلاً، هم: أربعة عشر أصحاب العقبة، وعشرون رجلاً آخر.

واستودعوا الصحيفة أبا عبيدة، واثمنوه عليها. وكانت الصحيفة بخط سعيد بن العاص.

وحينئذ التفت النبي «صلى الله عليه وآله» في صلاة الصبح إلى أبي عبيدة، وقال له: بخ بخ، من مثلك وقد أصبحت أمين هذه الأمة!! ثم تلا:
 ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(١) «(٢)».

(١) الآية ٧٩ من سورة البقرة.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج ٢٨ ص ١٠٠ - ١٠٥ وكشف اليقين ص ١٣٧، والإقبال للسيد ابن طاووس ص ٤٥٤ - ٤٥٩ عن كتاب النشر والطي. وراجع: الصراط المستقيم للبيضاوي ج ٣ ص ١٥٠ و ١٥١ والصوارم المهركة للتستري ص ٧٨ و ٨٨ والدرجات الرفيعة ص ٣٠٢.

وروى سليمان الجعفري: أنه سمع أبا الحسن «عليه السلام» يقول في قول الله تعالى: ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى﴾^(١)، هم فلان، وفلان، وأبو عبيدة الجراح^(٢).

مشورة علي عليه السلام:

قد ظهر مما تقدم: أن مشورة علي «عليه السلام» على عمر تضمنت ما يرضي طموح ونزعات الخليفة كشخص، وهو العز له، ورؤيته عدوه في موضع الذل والصغار.. وما يوجب القوة والعظمة للملكه من خلال شعور المسلمين بقيمة الإنجاز والفتح الذي يحصل لهم..

كما أن فيها ما يرتبط بالصالح العام، من حيث إنه من موجبات حفظ نفوس المسلمين. وتأكيد شوكتهم، وظهور قوتهم وعزهم، وتسجيل نصر حاسم لهم.

وأما من كان يريد الآخرة، وحقق شروطها، فإنه يكون من أسباب اكتسابه الثواب الجزيل، والفوز بالنعيم المقيم، والأجر العظيم.

(١) الآية ١٠٨ من سورة النساء.

(٢) الكافي ج ٨ ص ٣٣٤ والمحتضر للحلي ص ١٠٦ وبحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢١٦ و ٢٧١ وتفسير العياشي ج ١ ص ٢٧٥ والصافي ج ١ ص ٣٩٨ و ٤٩٨ ونور الثقلين ج ١ ص ٥٤٨ و ٥٤٩ وكنز الدقائق ج ٢ ص ٦١٧.

الفصل الرابع:

علي عليه السلام والمسير إلى نهاوند

علي عليه السلام يشير في أمر نهاوند:

قال في نهج البلاغة:

«ومن كلام له «عليه السلام» لعمر بن الخطاب، وقد استشاره في غزو الفرس بنفسه»:

«إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة، وهو دين الله الذي أظهره، وجنده الذي أعدّه وأمدّه. حتى بلغ ما بلغ، وطلع حيثما طلع. ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده.

ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز، يجمعه ويضمه، فإذا انقطع النظام تفرق الخرز، وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً..

والعرب اليوم، وإن كانوا قليلاً، فهم كثيرون بالإسلام، عزيزون بالإجماع، فكن قطباً، واستدر الرحي بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها. حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك.

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب، فإذا قطعتموه (اقتطعموه) استرحتم، فيكون ذلك أشد لكذبهم عليك،

وطمعهم فيك.

وأما ما ذكرت من عددهم، فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة»^(١).

وهذا النص المذكور في سائر المصادر مع بعض اختلاف، وتقديم وتأخير.

ونحن نذكر هنا تفصيل القصة حسب نص ابن أعثم والطبري، فنقول:

نص ابن أعثم:

ذكر ابن أعثم رسالة عمار بن ياسر إلى عمر بن الخطاب، التي يخبره فيها بأمر الفرس، وتجمعهم عليهم من كل حذب وصوب، وقال: «قد تعاهدوا، وتعاهدوا، وتحالفوا، وتكاتبوا، وتواصلوا، وتواثقوا على أنهم يخرجوننا من أرضنا، ويأتونكم من بعدنا»..

إلى أن قال:

«فإني أخبرك يا أمير المؤمنين أنهم قد قتلوا كل من كان منا في مدنهم، وقد تقاربوا مما كنا فتحناه من أرضهم، وقد عزموا أن يقصدوا المدائن،

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٢ ص ٢٩ - ٣٠ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٩٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ٩٥ والميزان ج ١٥ ص ١٦٠ وتفسير الألويسي ج ١٨ ص ٢٠٧.

ويصيروا منها إلى الكوفة.

وقد - والله - هالنا ذلك، وما أتانا من أمرهم وخبرهم، وكتبت هذا الكتاب إلى أمير المؤمنين ليكون هو الذي يرشدنا، وعلى الأمور يدلنا».

إلى أن قال: «فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب، وقرأه وفهم ما فيه، وقعت عليه الرعدة، والنفضة حتى سمع المسلمون أطيظ أضراسه.

ثم قام عن موضعه حتى دخل المسجد، وجعل ينادي: أين المهاجرون والأنصار؟! ألا فاجتمعوا رحمكم الله، وأعينوني أعانكم الله.

قال: فأقبل إليه الناس من كل جانب، حتى إذا علم أن الناس قد اجتمعوا وتكاملوا في المسجد، وثب إلى منبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فاستوى عليه قائماً، وإنه ليرعد من شدة غضبه على الفرس، فحمد الله عز وجل، وأثنى عليه، وصلى على نبيه محمد «صلى الله عليه وآله»، ثم قال:

أيها الناس! هذا يوم غم وحزن، فاستمعوا ما ورد علي من العراق.

فقالوا: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟

فقال: إن الفرس أمم مختلفة أسماؤها، وملوكها، وأهواؤها. وقد نفخهم الشيطان نفخة، فتحزبوا علينا، وقتلوا من في أرضهم من رجالنا.

وهذا كتاب عمار بن ياسر من الكوفة يخبرني بأنهم قد اجتمعوا بأرض نهاوند في خمسين ومائة ألف. وقد سربوا عسكرهم إلى حلوان، وخانقين وجلولاء، وليست لهم همة إلا المدائن والكوفة، ولئن وصلوا إلى ذلك فإنها بلية على الاسلام، وثلمة لا تسد أبداً، وهذا يوم له ما بعده من الأيام.

فالله الله يا معشر المسلمين! أشيروا علي رحمكم الله، فإني قد رأيت رأياً، غير أني أحب أن لا أقدم عليه إلا بمشورة منكم، لأنكم شركائي في المحبوب والمكروه.

قال: وكان أول من وثب على عمر بن الخطاب، وتكلم طلحة بن عبيد الله فقال: يا أمير المؤمنين! إنك بحمد الله رجل قد حنكته الدهور، وأحكمته الأمور، وراضته التجارب في جميع المقائب، فلم ينكشف لك رأي إلا عن رضى، وأنت مبارك الامر ميمون النقيية، فنقدنا ننفذ، واحملنا نركب، وادعنا نجب.

قال: ثم وثب الزبير بن العوام فقال: يا أمير المؤمنين! إن الله تبارك وتعالى قد جعلك عزا للدين، وكهفا للمسلمين، فليس منا أحد له مثل فضائلك، ولا مثل مناقبك، إلا من كان من قبلك، فمد الله في عمرك لامة نبيك محمد «صلى الله عليه وآله»!

وبعد، فأنت بالمشورة أبصر من كل من في المسجد، فاعمل برأيك، فرأيك أفضل، ومرنا بأمرك فها نحن بين يديك.

فقال عمر: أريد غير هذين الرأيين.

قال: فوثب عبد الرحمن بن عوف الزهري فقال: يا أمير المؤمنين! إن كل متكلم يتكلم برأيه، ورأيك أفضل من رأينا، لما قد فضلك الله عز وجل علينا، وأجرى على يديك من موعود ربنا، فاعمل برأيك واعتمد على خالقك، وتوكل على رازقك. وسر إلى أعداء الله بنفسك. ونحن معك، فإن الله عز وجل ناصرك بعزه وسلطانه، كما عودك من فضله وإحسانه.

فقال عمر: أريد غير هذا الرأي.

فتكلم عثمان بن عفان، فقال: يا أمير المؤمنين! إنك قد علمت وعلمنا أنا كنا بأجمعنا على شفا حفرة من النار فأنقذنا الله منها بنبيه محمد «صلى الله عليه وآله»، وقد اختارك لنا خليفة نبينا محمد «صلى الله عليه وآله» وقد رضيك الأخير، وخافك الكفار، ونفر عنك الأشرار.

وأنا أشير عليك أن تسير أنت بنفسك إلى هؤلاء الفجار، بجميع من معك من المهاجرين والأنصار، فتحصد شوكتهم، وتستأصل جرثومتهم.

فقال عمر: وكيف أسير أنا بنفسي إلى عدوي، وليس بالمدينة خيل ولا رجل، فإنما هم متفرقون في جميع الأمصار.

فقال عثمان: صدقت يا أمير المؤمنين! ولكني أرى أن تكتب إلى أهل الشام، فيقبلوا عليك من شامهم، وإلى أهل اليمن فيقبلوا إليك من يمنهم، ثم تسير بأهل الحرمين: مكة والمدينة إلى أهل المصرين: البصرة والكوفة، فتكون في جمع كثير، وجيش كبير، فتلقى عدوك بالحد والحديد، والخيل والجنود.

قال: فقال عمر: هذا أيضا رأي ليس يأخذ بالقلب، أريد غير هذا الرأي.

قال: فسكت الناس.

والتفت عمر إلى علي «عليه السلام» فقال: يا أبا الحسن! لم لا تشير بشيء كما أشار غيرك؟!

قال: فقال علي «عليه السلام»: يا أمير المؤمنين! إنك قد علمت أن الله

تبارك وتعالى بعث نبيه محمدا «صلى الله عليه وآله»، وليس معه ثان، ولا له في الأرض من ناصر، ولا له من عدوه مانع، ثم لطف تبارك وتعالى بحوله وقوته وطوله، فجعل له أعوانا أعز بهم دينه، وشد أزره، وشيد بهم أمره، وقصم بهم كل جبار عنيد، وشيطان مرید. وأرى موازريه وناصريه من الفتوح والظهور على الأعداء ما دام به سرورهم، وقرت به أعينهم.

وقد تكفل الله تبارك وتعالى لأهل هذا الدين بالنصر، والظفر، والاعزاز. والذي نصرهم مع نبیهم وهم قليلون، هو الذي ينصرهم اليوم إذ هم كثيرون.

وبعد، فإنك أفضل أصحابك رأيا، وأيمنهم نقيبة، وقد حمّلك الله عز وجل أمر رعيتك، فهو الذي يوفقك للصواب، ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فأبشر بنصر الله عز وجل الذي وعدك، وكن على ثقة من ربك، فإنه لا يخلف الميعاد.

وبعد فقد رأيت قوما أشاروا عليك بمشورة بعد مشورة فلم تقبل ذلك منهم، ولم يأخذ بقلبك شيء مما أشاروا به عليك، لان كل مشير إنما يشير بما يدركه عقله.

وعلمك يا أمير المؤمنين، إن كتبت إلى الشام أن يُقبلوا إليك من شامهم لم تأمن من أن يأتي هرقل في جميع النصرانية، فيغير على بلادهم، ويهدم مساجدهم، ويقتل رجالهم، ويأخذ أموالهم، ويسبي نساءهم وذريتهم.

وإن كتبت إلى أهل اليمن أن يقبلوا من يمنهم، أغارت الحبشة أيضا على ديارهم ونسائهم، وأموالهم، وأولادهم.

وإن سرت بنفسك مع أهل مكة والمدينة إلى أهل البصرة والكوفة، ثم قصدت بهم قصد عدوك، انتقضت عليك الأرض من أقطارها وأطرافها، حتى إنك تريد بأن يكون من خلفته ورائك أهم إليك مما تريد أن تقصده. ولا يكون للمسلمين كنفة تكنفهم، ولا كهف يلجؤون إليه، وليس بعدك مرجع ولا موئل، إذ كنت أنت الغاية والمفرع والملاجئ.

فأقم بالمدينة ولا تبرحها، فإنه أهيب لك في عدوك، وأرعب لقلوبهم، فإنك متى غزوت الأعاجم بنفسك يقول بعضهم لبعض: إن ملك العرب قد غزانا بنفسه، لقلة أتباعه وأنصاره، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وعلى المسلمين، فأقم بمكانك الذي أنت فيه، وابعث من يكفيك هذا الأمر والسلام.

قال: فقال عمر: يا أبا الحسن! فما الحيلة في ذلك، وقد اجتمعت الأعاجم عن بكرة أبيها بنهاوند في خمسين ومائة ألف، يريدون استئصال المسلمين؟!!

قال: فقال له علي بن أبي طالب «عليه السلام»: الحيلة أن تبعث إليهم رجلا مجربا، قد عرفته بالبأس والشدة، فإنك أبصر بجندك، وأعرف برجالك، واستعن بالله، وتوكل عليه، واستنصره للمسلمين، فإن استنصره لهم خير من فئة عظيمة تمدهم بها، فإن أظفر الله المسلمين فذلك الذي تحب وتريد، وإن يكن الأخرى - وأعوذ بالله من ذلك - أن تكون رداء للمسلمين وكهفا يلجؤون إليه، وفئة ينحازون إليها.

قال: فقال له عمر: نعم ما قلت يا أبا الحسن! ولكني أحببت أن يكون

أهل البصرة وأهل الكوفة هم الذين يتولون حرب هؤلاء الأعاجم، فإنهم قد ذاقوا حربهم، وجربوهم، ومارسوهم في غير موطن.

فقال له علي «عليه السلام»: إن أحببت ذلك فاكتب إلى أهل البصرة أن يفترقوا على ثلاث فرق:

فرقة تقيم في ديارهم، فيكونوا حرسا لهم، يدفعون عن حريمهم.
والفرقة الثانية يقيمون في المساجد، يعمرونها بالاذان والصلاة، لكيلا يعطل الصلاة، ويأخذون الجزية من أهل العهد، لكيلا ينتقصوا عليك.
والفرقة الثالثة يسيرون إلى إخوانهم من أهل الكوفة.
ويصنع أهل الكوفة أيضا كصنع أهل البصرة.

ثم يجتمعون ويسيرون إلى عدوهم، فإن الله عز وجل ناصرهم عليهم، ومظفرهم بهم، فثق بالله ولا تياس من روح الله، إنه لا يياس من روح الله، إلا القوم الكافرون.

قال: فلما سمع عمر مقالة علي «عليه السلام»، ومشورته أقبل على الناس وقال:

ويحكم! عجزتم كلكم عن آخركم أن تقولوا كما قال أبو الحسن، والله! لقد كان رأيه رأبي الذي رأيته في نفسي.

ثم أقبل عليه عمر بن الخطاب فقال: يا أبا الحسن! فأشر علي الآن برجل ترتضيه ويرتضيه المسلمون أجعله أميرا، وأستكفيه من هؤلاء الفرس.

فقال علي «عليه السلام»: قد أصبته.

قال عمر: ومن هو؟!!

قال: النعمان بن مقرن المزني.

فقال عمر وجميع المسلمين: أصبت يا أبا الحسن! وما لها من سواه^(١).

ثم ذكر أن عمر كتب إلى النعمان بن مقرن المزني يوليه ذلك وفق ما أشار علي «عليه السلام» به عليه.

نص الطبري:

وذكر الطبري أن عمر قال للصحابة:

أفمن الرأي أن أسير فيمن قبلي، ومن قدرت عليه، حتى أنزل منزلاً واسطاً بين هذين المصرين، فأستنفرهم، ثم أكون لهم رداءً حتى يفتح الله عليهم، ويقضى ما أحب، فإن فتح الله عليهم أن أضربهم عليهم في بلادهم، وليتنازعوا ملكهم؟!!

فقام عثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله (عبيد الله)، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف في رجال من أهل الرأي من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» فتكلموا كلاماً، فقالوا: لا نرى ذلك. ولكن لا يغيبن عنهم رأيك وأثرك.

وقالوا: بإزائهم وجوه العرب، وفرسانهم وأعلامهم. ومن قد فض

(١) الفتوح لابن أعمش ج ٢ ص ٣٤-٤٠ و (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٢٩٠-٢٩٥.

جموعهم، وقتل ملوكهم، وبأشر من حروبهم ما هو أعظم من هذه. وإنما استأذنونك ولم يستصر خوك، فأذن لهم، واندب إليهم، وادع لهم.

وكان الذي ينتقد له الرأي إذا عرض عليه العباس رضي الله عنه.

(كتب إلي السري) عن شعيب، عن سيف، عن حمزة عن أبي حمزة، عن

أبي طعمة، قال:

فقام علي بن أبي طالب «عليه السلام» فقال: أصاب القوم يا أمير المؤمنين الرأي، وفهموا ما كتبت به إليك، وإن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه لكثرة ولا قلة، وإنما هو دينه الذي أظهر، وجنده الذي أعز، وأيده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ، فنحن على موعود من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده. ومكانك منهم مكان النظام من الخرز، يجمعه ويمسكه، فإن انحل تفرق ما فيه وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا..

والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثير عزيز بالاسلام، فأقم، واكتب إلى أهل الكوفة، فهم أعلام العرب ورؤساؤهم، ومن لم يحفل بمن هو أجمع وأحد وأجد من هؤلاء، فليأتهم الثلثان، وليقم الثلث.

واكتب إلى أهل البصرة أن يمدوهم ببعض من عندهم.

فسر عمر بحسن رأيهم، وأعجبه ذلك منهم، وقام سعد فقال: يا أمير

المؤمنين، خفض عليك فإنهم إنما جمعوا النعمة.

(كتب إلي السري) عن شعيب، عن سيف، عن أبي بكر الهذلي قال: لما

أخبرهم عمر الخبر، واستشارهم وقال: أوجزوا في القول، ولا تطيلوا،

فتنشق بكم الأمور. واعلموا أن هذا يوم له ما بعده من الأيام، تكلموا.

فقام طلحة ابن عبيد الله. (فأعرب عن انقياده لما يقرره عمر، وأن عمر هو صاحب الرأي).

فعاد عمر فقال: إن هذا يوم له ما بعده من الأيام، فتكلموا، فقام عثمان ابن عفان فتشهد وقال: أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم، وتكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم، ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصرين الكوفة والبصرة، فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين، فإنك إذا سرت بمن معك وعندك، قل في نفسك ما قد تكاثر من عدد القوم، وكنت أعز عزا، وأكثر.

يا أمير المؤمنين، إنك لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقية، ولا تمتنع من الدنيا بعزيز، ولا تلوذ منها بحريز. إن هذا اليوم له ما بعده من الأيام، فاشهده برأيك وأعوانك، ولا تغب عنه. ثم جلس.

(وفي الأخبار الطوال: فقال المسلمون من كل ناحية: صدق عثمان.

فقال عمر لعلي «عليه السلام»: ما تقول؟! ما تقول أنت يا أبا الحسن؟! فقال: إنك إن الخ..)^(١).

وعند الطبري في نص آخر: فعاد عمر فقال: إن هذا يوم له ما بعده من الأيام، فتكلموا.

فقام علي بن أبي طالب فقال: أما بعد يا أمير المؤمنين، فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم، سارت الروم إلى ذراريهم وإن أشخصت

(١) الأخبار الطوال ص ١٣٤.

أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم.

(زاد في نص آخر قوله: وإن أشخصت من بهذين الحرمين، انتقضت العرب عليك من أطرافها حتى يكون) (١) وإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات.

أقرر هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلى أهل البصرة، فليتفرقوا فيها ثلاث فرق، فلتقم فرقة لهم في حرمهم وذراريهم (حرساً لهم).
ولتقم فرقة في أهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم.
ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مددا لهم.

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً قالوا: هذا أمير العرب، وأصل العرب، فكان ذلك أشد لكلبهم، وألبتهم على نفسك (وأمدهم من لم يكن يمدهم) (٢).

وأما ما ذكرت من مسير القوم، فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره.

وأما ما ذكرت من عددهم، (في نص آخر: وأما ذكرك كثرة العجم، ورهبتك من جموعهم)، فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، ولكننا كنا نقاتل

(١) الإرشاد للمفيد ج ١ ص ٢٠٩.

(٢) الإرشاد للمفيد ج ١ ص ٢٠٩ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٤٠٦ وبحار الأنوار

ج ٤٠ ص ٢٥٥ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج ٣ ص ١٦٣.

بالنصر.

(وفي الأخبار الطوال: اكتب إلى أهل الشام أن يقيم منهم بشامهم الثلثان ويشخص الثلث، وكذلك إلى عمان، وكذلك سائر الأمصار والكور)^(١).

فقال عمر: أجل والله، لئن شخصت من البلدة لتتقطن علي الأرض من أطرافها وأكنافها، ولئن نظرت إليّ الأعاجم لا يفارقن العرصة، وليمدنهم من لم يمدهم. وليقولن: هذا أصل العرب. فإذا اقتطعتموه اقتطعتم أصل العرب^(٢).

وفي نص آخر، قال عمر: أجل، هذا الرأي، وقد كنت أحب أن أتابع عليه^(٣).

زاد المفيد قوله: وجعل يكرر قول أمير المؤمنين وينسقه إعجاباً به، واختياراً له^(٤).

(١) الأخبار الطوال ص ١٣٥ ونهج السعادة ج ١ ص ١٠٩.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ١٢٣ - ١٢٦ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ٩٦ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ٢٥٣ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ٢٠٧ - ٢١٠.

وكلامه «عليه السلام»: في نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٢ ص ٢٩.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ١٠١ والإرشاد ج ١ ص ٢١٠ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ٢٥٥ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٨.

(٤) الإرشاد للمفيد ج ١ ص ٢١٠ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ٢٥٥.

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم العديد من الوقفات، وهي التالية:

الرعب القاتل:

لقد بدا عمر بن الخطاب في هذا المقام مرعوباً خائفاً متهاكماً مرتعداً، يكاد يموت ويتلاشى من نفحة، يطلقها عليه طفل يلعب. - وإن كان محبوه - يحاولون تلطيف العبارات - بإستبدال الكلمات بينات حالتها فيعبرون أحياناً بكلمة غضب... وما هو ذاك، إنما الضعف المتناهي، الذي لا بد أن يكون قد ترك أسوأ الآثار على معنويات الناس..

فهل أن يكون هذا هو حاكم المسلمين؟! وهل هذا هو عمر الذي نعرفه يضرب هذا بدرّته، ويبادر ذاك بما يوجب إذلاله لمجرد أنه رآه يلبس ثوباً جديداً، ويطلب من النبي مرات ومرات أن يأذن له بقتل هذا أو ذاك حين يرى نفسه محمياً ومحصناً، أم أنه شديد في المواضع التي يكون فيها آمناً.. يحيط المسلمون به، ويمنعون من التعدي عليه، ومن الوصول إليه. إما إذا دعيت بنزال، ويكون لا بد من الدخول في القتال.. فالفرار يكون هو الخيار.. على القاعدة:

أسد عليّ، وفي الحروب نعامة نكراء، تنفر من صفير الصافر

الله إختار عمر للخلافة:

ونحن إن كنا لا نستغرب أن يبالغ الناس في الثناء وكيل المديح لزعمائهم ولكننا نتوقع أن يبقى ذلك في حدود التصويرات الشاعرية،

والتعابير الأدبية الفضفاضة..

ولا نتوقع - ولا سيما ممن يرون لأنفسهم مقاماً رفيعاً أن يتعمدوا تزوير الحقائق، وخداع الناس..

فإن هذا من شأنه أن يحط من مقام القائل، ويصغره في أعين الناس.

فلاحظ مدائح طلحة والزبير، وعبد الرحمان بن عوف لعمر.. حين استشار الناس في المسير إلى حرب الفرس.. فإن ما ذكروه له من مناقب لا يمكن التسويق له بين الناس، ونكتفي بذكر فقرتين:

أحدهما: تنسب إلى علي «عليه السلام»، وهي تلك التي تزعم أن الله هو الذي إختار لهم عمر للخلافة، مع أن الذي إختاره هو أبو بكر، ووافقه حزبه ومؤيدوه وفرضوه على أمير المؤمنين وسائر بني هاشم. وغيرهم من الكبار والخبير وسائر المسلمين وعلي «عليه السلام» لا يتكلم بما لا واقع له ويلحق بهذه الفقرة تلك الكلمات التي تقول: إنه أيمن أصحابه نقيبة، وأفضلهم راياء.. إلخ.

الثانية: تلك الفقرة التي تقول: ان الأخيار من الصحابة قد رضوه خليفة، ولم يكن الأمر كذلك، بل هو فرض عليهم من قبل أبي بكر.

يا أمير المؤمنين:

رأينا: أن النصوص المتقدمة تزعم: أن علياً «عليه السلام» خاطب عمر بـ: «أمير المؤمنين» عدة مرات.

ونحن نشك في صحة ذلك: عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد

أشرنا إلى هذا الأمر في موضع آخر من هذا الكتاب، فلا حاجة إلى الإعادة.

في القادسية، أم في نهاوند؟!:

ذكر المعتزلي: أنهم اختلفوا في هذا الكلام، هل قيل لعمر ذلك في القادسية، كما ذهب إليه المدائني. وذلك في السنة الرابعة عشرة؟! أم في غزاة نهاوند، كما ذكره الطبري؟!^(١).

ويبدو لنا: أن المدائني لم يقل ذلك، وإنما قال: إن علياً «عليه السلام» أشار على عمر بأن لا يخرج في القادسية. وسكت عن بيان الموضع الذي قيل فيه هذا الكلام.

والحقيقة هي: أن عمر قد استشار المسلمين في كل من القادسية ونهاوند، فأشار «عليه السلام» على عمر بعدم الخروج في كل منهما. لكن هذا الكلام قد قيل في مشورة نهاوند، كما صرح به الطبري، وابن أبي الحديد، وأبو حنيفة الدينوري، وابن أعثم الكوفي..

خطورة المسير لحرب الفرس:

وقد لا حظنا أن ثمة إصراراً عن المشيرين على عمر بالمسير لحرب الفرس، رغم أنهم رأوه يرتعد خوفاً ورعباً، بسبب كثرة حشودهم، وخطورة الصدام معهم.. فهل يمكن أن يعبر موقفهم هذا عن رغبة جامحة بالتخلص منه، لأنه شديد الوطأ عليهم. وهو يحكمهم بالسيف والسوط

(١) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ٩٦.

ويريدون أن ينالوا بعض ما حجبته عنهم، وكان عدد منهم يطمح إلى الفوز بنفس المقام الذي هو فيه، فإنه لا يروونه أكفأ منهم. وإن ذلك الثناء عليه، والمديح له لم يكن إلا للتوطئة لما يريدون الوصول إليه.. وربما لو أمكنهم أن ينقلبوا عليه لفعلوا ذلك، تماماً كما جرى لهم مع عثمان.

ونحن إذا تأملنا بواقع هؤلاء الذين شاركوا في انقلاب السقيفة فسئري أن ما كان يجمعهم هو مناوأتهم لعلي، والأمل بالوصول إلى هذا المنصب أو الإنتفاع منه بالمقدار الممكن.

أصلهم نار الحرب دونك:

وأما قول علي «عليه السلام» لعمر: فكن قطباً، واستدر الرحي بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب الخ.. فقد أراد به حكاية ما في خاطر عمر، وإظهار ما يجول في نفسه..

وقد نطق به علي «عليه السلام»، لعلمه بأن عمر كان يريد أن يجريه على لسان غيره، فكأنه قال له: إني أعرف ما في نفسك، فإنك لست ذلك الرجل الذي يستطيع أن يقود جيشه بنفسه إلى الحرب، ولعلك إن خرجت معهم ستكون عبئاً عليهم، وربما تكون سبباً لهزيمتهم، لا سيما وان حزنك ورعبك منهم وهم في بلادهم قد ظهرت آثاره بهذا الحد الذي رأيناه، فكيف إذا أصبح عندهم وفي متناول أيديهم وأسيافهم.

فالأولى هو أن تصليهم نار الحرب دونك.

أما رأي أولئك الذين أشاروا على عمر بالخروج إلى الحرب، فلعله كان أسوأ ما سمعه، ولعله أوجب زيادة غمه واشتداد حزنه.

رأي عثمان:

وبمراجعة النص المتقدم يظهر للعيان: أن علياً «عليه السلام» قد رد رأي عثمان، وفنده بصورة أظهرت مدى فساد، وأن عمر لو عمل بمشورة عثمان، لوقع الإسلام والمسلمون في شرٍّ عظيم، وخطر جسيم.

وقد لوحظ ما يلي:

١ - أن عثمان ركز على أن مسير عمر إلى العجم في هذا اليوم المفصلي، والتاريخي، يكسبه عزاً وشهرةً ومقاماً في المستقبل..

ولكنه نسي أن مسيره يحمل معه احتمالات من شأنها لو حصلت أن تقوض كل عزة، وأن تحيل الشهرة بالنصر إلى الشهرة بالهزيمة، وربما إلى الشهرة بما هو أضر وأشر، وأدهى وأمر.

٢ - إن عثمان قد اعتبر الكثرة هي سبب النصر، فلو أن عمر أخذ برأيه لتكرر ما جرى في حنين، حيث ظن المسلمون أنهم لن يغلبوا، وقال أبو بكر: لن نُغلب اليوم من قلة، فلما التقوا لم يلبثوا أن انهزموا. ولولا سيف علي «عليه السلام» لكانت الكارثة، ولقتل النبي «صلى الله عليه وآله».

وقد أنزل الله تعالى بذلك قرآناً يتلى إلى يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثُرْتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) ..

ولكن مشورة علي «عليه السلام» الصائبة على عمر بن الخطاب هنا قد

(١) الآيتان ٢٥ و ٢٦ من سورة التوبة.

أعدت الأمور إلى نصابها.

ومنطق علي «عليه السلام» هو منطق القرآن القائم على أساس: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (١).

تشابه الأحداث!!:

لقد تشابهت الأحداث هنا مع ما سبق، فقد تقدم ما يشبه هذه القصة حين استشارهم عمر في أمر القادسية، فخرج عمر بالناس إلى صرار، واستخلف علياً «عليه السلام» على المدينة حسب زعمهم.

ثم استشار الناس، فأشاروا عليه بالمسير إلى حرب الفرس، فأظهر لهم موافقته، ثم استشار ذوي الرأي، فأشاروا عليه بالبقاء، وإرسال شخص آخر، ثم يمدّه هو بالرجال..

وربما يكون السبب في تكرر الحدث هو أن عمر ظن أن الظروف قد اختلفت، وأنه لا بد من البحث عن آلية جديدة لمواجهة الخطر الآتي من جهة الشرق. فوجد هذه الآلية فيما قدمه «عليه السلام» من حلول صحيحة ودقيقة..

كثرة المشيرين:

إن رواياتهم حول حرب القادسية تظهر: أن المشيرين على عمر بعدم المسير بنفسه إلى حرب الأعداء كثيرون، مع أن من البدييات التاريخية: أن

(١) الآية ٢٤٩ من سورة البقرة

الذي أشار بذلك هو علي «عليه السلام».. ولذلك نقول:

أولاً: هل يريدون إظهار أن علياً «عليه السلام» لا يمتاز على من سواه في إطلاق هذه المشورة؟!!

ثانياً: إنه إذا كان الأمر بهذا الوضوح لذوي الرأي، فلماذا لم يظهر هذا الرأي لعمر بن الخطاب نفسه، ولم يبادر للأخذ به بمجرد طرحه عليه، ولماذا بقي متوقفاً فيه حتى مع كثرة المشيرين به عليه قبل أن يتكلم علي «عليه السلام»؟! لا سيما وهم الذين يبالغون في حنكة عمر السياسية والإدارية؟! إلا إن كان المقصود هو استدراج الناس للجهر بأرائهم..

وقد نسبت الرواية عند ابن أعثم، وعند الطبري، وغيره الكثير من الكلام لعلي «عليه السلام»، وطلحة والزبير، وابن عوف وعثمان في تمجيد رأي عمر في حصافته وصحته، وعمقه، وصوابيته.

ثالثاً: إذا كان هذا الأمر قد حصل في حرب القادسية، فلماذا لم يخطر هذا الرأي على بال أحد منهم؟!!

ولنفترض: أنهم قد استفادوا في قصة المسير إلى نهاوند من مشورة علي «عليه السلام» يوم القادسية. فأشاروا بنفس الرأي لتشابه الأمور بنظرهم في الموردين..

فيجاب: بالنقض عليهم بعمر بن الخطاب نفسه، فإن الأمر إن كان بهذا الوضوح لم يكن معنى لعودة عمر للإستشارة في هذه المرة أيضاً؟! ألم يكن الرأي الصواب قد ظهر لكل أحد من المرة الأولى؟!!

إلا إن كان هؤلاء يقولون: إن عمر أراد باستشارته هذه أن يجد العذر في

التخلف، دون أن يظن به أحد أنه يتحاشى الحضور في ساحات الحرب والقتال؟! والظاهر: أن المشيرين عليه كانوا يشيرون عليه بالمسير، فتوقف عن الأخذ برأيهم، حتى سمع مشورة علي «عليه السلام» بالمكوث فتلقفها بلهفة، حيث وافقت هواه.

مكان القيمِّ بالأمر:

وقد لفت نظرنا هنا حديثه «عليه السلام» عن القيمِّ بأمر المسلمين من نواحٍ مختلفة..

إحداها: أنه «عليه السلام» لم يقل لعمر: أنت القيمِّ بأمر المسلمين.. بل هو تحدث عن الموضوع بنحو القضية الحقيقية، التي يراد منها إثبات الحكم أو المحمول لطبيعي الموضوع، بغض النظر عن الواقع الخارجي والعملي، إن كان يوجد موضوع أو لا يوجد، ولذلك قال: «ومكان القيمِّ بالأمر مكان النظام من الخرز، يجمعه ويضمه إلخ..».

وهذا يدل على أنه «عليه السلام» كان يخشى على الأمة أن يتداعى نظامها، بسبب كثرة المنافقين والمتربصين..

الثانية: إنه «عليه السلام» لم يصرح بكلمة «خلافة» أو «إمامة» كما لم يشر إلى المسلمين، ولا إلى الدين، ربما لكي لا يفهم أحد أن لهذا الحاكم الفعلي أدنى قيمة على الناس، أو أي دور قد انجزه فعلاً في حفظ الدين.

الثالثة: إنه لم يقل: ومكان الحاكم، أو الخليفة، أو الملك أو السلطان، حتى لا يفهم منه أنه تقرير لإضافة هذه المناصب إلى شخص بعينه أيضاً.

فيفهم منه الإقرار له بمقام ديني، (كمقام الإمامة أو الخلافة للرسول) أو دنيوي يفهم منه الأهلية للسلطان، والملك، والحاكمة.

بل جاء بتعبير توصيفي غائم، لا يعطي لأحد حقاً في خلافة، ولا في ملك، ولا في ولاية على أحد، ولا في قيمومة على أي كان من الناس..

إنه «عليه السلام» تحدث عن قيم بالأمر، لا عن قيم على الناس، والقيم بالأمر يستبطن الحديث عن عبء يفترض فيه أن يحمله ويقوم به، سواء أكان تعرضه لحمله مشروعاً، أو على سبيل الإدعاء والإستثار، والمزاومة لصاحب الحق.

عناصر القوة في كلام الإمام علي عليه السلام:

وغني عن البيان أن أمير المؤمنين «عليه السلام»، قد حدد مقومات النصر الإلهي لأهل الإيمان بمعنى أن يصبح التدخل الإلهي لتحقيق النصر أمراً حتمياً بأمور ثلاثة:

الأول: وجود العنصر البشري، ليقابل عنصراً بشرياً آخر.

الثاني: الإلتزام بالإسلام، ولم يقل: بالدين، لكي لا يفهم أن الإلتزام بأي دين يمكن أن يكون له نفس هذا المستوى من التأثير.

الثالث: عنصر الإجتماع والتناصر والتعاقد، ووحدة النظرة والهدف، والسعي، وعدم التفرق والتشتت والتمزق. والقائد هو العنصر الأهم في جمع الناس، وتوجيههم، وتبلور عنصر القوة فيهم، فإنه كنظام الخرز، حسبها أوضحه «عليه السلام».

العرب في عهد عمر:

لقد جعل علي أمير المؤمنين «عليه السلام» المانع الأعظم أمام مسير عمر بن الخطاب لحرب الفرس هو الأمور التالية:
الأول: انه بنظر الناس هو الناظم والجامع للناس.

الثاني: أن العدو إذا عرف بوجود عمر، فسيزيده ذلك حرصاً على حسم الحرب لصالحه، من خلال سعيه لتسديد ضرباته لإسقاط هذا الناظم، وقد يستفيد من اساليب مختلفة، أخرى غير ما يجري في ساحات القتال..

الثالث: أن خروجه في هذا الوجه سوف يفسح المجال لانتقاض الداخل عليه، وسيؤدي إلى انفراط النظام، حتى لو لم يتمكن العدو نفسه من القيام بهذا الأمر..

وبذلك يكون الخطر مضاعفاً، وغير قابل للمعالجة، ولا يصح تعريض الإسلام والمسلمين لمثله، في جميع الأحوال..

الرابع: وهو السبب الأهم الذي لم يكن مجالاً للتصريح به، هو: أن حضور عمر قد يكون سبباً في وقوع الهزيمة على المسلمين. فقد انهزم في أحد، وفي حنين، وفي قريظة.

السؤال المحير:

تقدم تصريح أمير المؤمنين «عليه السلام»: بأنه إن ذهب عمر من هذه الأرض - يعني المدينة - انتقضت العرب عليه من أطرافها وأقطارها.. حتى

يكون ما يدع وراءه من العورات أهم إليه من حرب الفرس.

والسؤال هو: لماذا ينتقض عليه العرب يا ترى؟! أليس عكس ذلك هو الأولى والأجدر بهم؟! وقد يمكن لنا أن نجيب بما يلي:

إن العرب كانوا حديثي عهد بهذا الدين، ولم يكن الكثيرون منهم يعرفون منه وعنه إلا أقل القليل، وهم لم يعيشوه بعد في بُعد الروحي والأخلاقي. ولم تتعمق مفردات الإيمان في قلوبهم وعقولهم، ولم يتمازج مع نفوسهم، ومشاعرهم، وأرواحهم. ولم يذوقوا حلاوته في معانيه وقيمه الإنسانية، ولا وعوا ولا ألفوا الكثير من أحكامه وتعاليمه.. وإن كانوا قد مارسوا بعض العبادات بصورة ظاهرية ومحدودة فترة وجيزة، خلال سنوات يسيرة..

كما أنهم لم يكونوا قد استفادوا منه دنيوياً إلا القليل الذي لم يكن كافياً لإثارة اهتمامهم به، وبحفظه وصيانتته من العوادي والأخطار..

بل لعل بعض الممارسات الخاطئة والسياسات العنيفة التي عانوا منها بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قد أضرت بمستوى تعلقهم به، وحرصهم عليه. وجعلتهم يميلون للتخلص منه، ومن الحكام الذين يحكمون بإسمه..

وربما يشجع العرب على ذلك: أنهم عاشوا أكثر حياتهم بلا قيود، ولا حدود، ولا ضوابط، أو روابط، فلماذا لا يعودون إلى سابق عهدهم، فإن الحنين إلى حياة الانفلات من أي قيد، والتنكر لكل نظام لم يغادر قلوبهم بعد..

يضاف إلى ذلك: أن التمرد الذي جرى بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسياساتهم في الأموال والمناصب قد فتحت شهية الكثيرين من طلاب اللبانات إلى تحيّن الفرص للانقضاض على ما يعتبرونه فريسة لهم.

من المشير بالنعمان بن مقرن؟!:

وفي رواية سيف: أن عمر هو الذي اقترح إرسال النعمان بن مقرن المزني إلى حرب الفرس في نهاوند^(١).

لكن ابن أعثم يصرح: بأن علياً «عليه السلام» هو المشير عليه بالنعمان بن مقرن، وقد تقدم ذلك^(٢).

وربما يقال: إن رواية سيف قد حذفت المقطع الذي أشار فيه علي بتولية النعمان، واكتفت بالمقطع الذي يذكر أن عمر استشار المسلمين في ذلك، فلا مانع من أن يكون استشار علياً «عليه السلام»، فأشار عليه، ثم استشار المسلمين، فلما لم يشيروا عليه برجل بعينه أعلن لهم إسم النعمان ناسباً اقتراحه إلى نفسه..

وإن كنا نظن أن سيفاً قد حرف الرواية، ليبعد الأمر عن علي «عليه السلام»..

أما ادّعاء وجود مشورتين عامتين، لأجل تصحيح كلام سيف، فلا

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ١٢٦ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ١٨٠.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج ١ ص ٣٩-٤٠ و (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٢٩٥.

يؤيده سياق رواية ابن أعثم.

شيعة علي عليه السلام في الفتوحات:

وبعد.. فقد يتساءل البعض عن موقع شيعة علي «عليه السلام»، وأثرهم في الفتوحات، ونسارع هنا إلى القول: بأن من يتتبع الروايات يمكن أن يفهم: أن الذين أخرجوا جيش المسلمين في القادسية من الحرج الذي يواجههم، هم عظماء شيعة علي «عليه السلام».

فقد كان داعية ورائد جيش القادسية سلمان الفارسي «رحمه الله»^(١)، وكان هاشم بن عتبة (المرقال) على جند العراق، فإنهم بعد أن انتهوا من فتح دمشق ضربوا نحو سعد، «وأصحاب هاشم عشرة آلاف إلا من أصيب منهم، فأتموهم بأناس ممن لم يكونوا منهم، ومنهم قيس والأشتر»^(٢).

وكان هاشم المرقال على مقدمة سعد بن أبي وقاص^(٣)، بل إن شدة الحرج التي كان فيها المسلمون في حروب الفرس قد ألجأتهم إلى طلب

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٨٩ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ٩. والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥١٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٩٧ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٦٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٣١.

(٣) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٤٤٠ و ٤٤١ ولا بأس بمراجعة ص ٥٤٣ و ٥٥٢ والمجلد الرابع (ج ٧ و ٨) ص ٨ و ١٠ و ٢٦ و ٦٦ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ١٦.

المعونة، فأعانوهم بعشرة آلاف مقاتل كانوا يقاتلون في بلاد الشام، ويحققون أعظم الإنجازات، وألحقوهم بجيش المسلمين في بلاد فارس. وشاركوا في فتوح القادسية ونهاوند..

وكان حذيفة في نهاوند هو القائد الأول الذي جاء النصر على يديه^(١)، ولا يجهل أحد مكانة حذيفة عند علي «عليه السلام».

جند الله الذي أمده وأعدده:

ولعل من المفيد الإشارة أيضاً إلى ما يلي:

١ - لعله «عليه السلام» يشير هنا بقوله «أمده» إلى إمداد الله تعالى المسلمين بالملائكة، في بعض المواطن.

(١) راجع: الإستيعاب ج ٤ ص ١٥٠٦ وأسد الغابة ج ٥ ص ٣١ وتهذيب الكمال ج ٢٩ ص ٤٦٠ وراجع ج ٥ ص ٥٠٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ١٠١ وكنز العمال ج ٥ ص ٧١١ - ٧١٣ وإمتاع الأسماع ج ٩ ص ٣٢٢ وتاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ٢٠٤ و ٢١٨ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٢٢٦ والوافي بالوفيات ج ٢٧ ص ٨٥ وتاريخ خليفة بن خياط ص ١٠٦ و ١٠٧ والأخبار الطوال ص ١٣٦ و ١٣٧ والأمالي للطوسي ص ٧١٥ وبحار الأنوار ج ٣٢ ص ٦٩ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ١٢ ص ٢٨٧ وج ٤٤ ص ٣٩٥ ومعجم البلدان ج ٥ ص ٤٩ و ٣١٣ و ٣١٤ وفتوح البلدان ج ٢ ص ٣٧٥ والبداية والنهاية ج ٧ ص ١٢٦ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ١١٦ و ١١٧.

قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ
الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ الآيات (١).

وقال: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ
مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ، بَلَىٰ إِنَّ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ
رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (٢).

٢ - إنه «عليه السلام» يقرر: أن الإعداد أيضاً كان من الله تبارك
وتعالى، ولعل المقصود هو أن هذا الجند إنما استفاد قوة، وعزماً وتصميماً بما
هياه الله له من هداية، ورعاية، وتربية استفادوها من رسول الله «صلى الله
عليه وآله» مباشرة، أو من صحبه الذين نقلوا لهم سيرته وسنته وكلامه..

وكذلك بما هياه الله لهم من فوائده وعوائده، بسبب رعايتهم أحكام
دينه، والتزامهم وأدائهم - ولو بصورة جزئية - ففروض عبادته.

وقد يكون فيهم بعض أهل الصلاح والتقوى، الذين ببركتهم يرزقهم
الله الثبات والقوة، والعزيمة في ميادين القتال والجهاد..

٣ - على أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد دعا الله تبارك وتعالى في بدر
وقال: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد، وإن شئت أن لا تعبد لا
تعبد». فإذا كانت الحرب مصيرية، فإن علياً «عليه السلام»، وهو الإمام
الحق لا يمكن أن لا يطلب من الله حفظ أهل الإيثار..

(١) الآية ٩ من سورة الأنفال.

(٢) الآيتان ١٢٤ و ١٢٥ من سورة آل عمران.

وهو يعلم أن الله سبحانه قد أنزل السكينة على المسلمين في زمن رسول الله وربط على قلوبهم.

٤ - وإذا كان هذا الجند هو جند الله، فيفترض فيه أن يسير وفق ما رسمه الله تعالى، فلا عدوان إلا على الظالمين، ولا بد أن يراعي حدوده، ويلتزم بشرائعه وأحكامه في كل جهات تعامله..

٥ - ثم بين «عليه السلام»: أن هذا النصر قرار إلهي، وتدبير رباني، من حيث أنه تعالى وعد بأن يظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون، وقد حسم هذا الأمر حين قال: نحن على موعود من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده.

٦ - إن كونهم جند الله يعطي: أن ما يحصل لهم من نصر ليس بفضل هذا وذاك، بل هو بفضل الله تعالى وحده، فلا معنى لسرقة النصر وتجييره إلى فئة بعينها، ولا من العدل نسبة الفتوح إلى آراء الولاة، وحسن تدبير العاملين فيها، كما تفعله قريش، فقد قال «عليه السلام» في كلام آخر له عن قريش:

«ثم فتح الله عليها الفتوح، فأثرت بعد الفاقة، وتموّلت بعد الجهد والمخمصة، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً. وقالت: لولا أنه حق لما كان كذا.

ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الأمراء القائمين

بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم، وخمول آخرين إلخ..»^(١).

سلبيات الفتوحات:

ويرد هنا سؤال:

وهو أن من الواضح: أن الكثير من الممارسات التي حصلت في الفتوحات لم يكن مرضية من الناحية الشرعية، والإنسانية.. فهل يتحمل علي «عليه السلام» مسؤوليتها؟!

فإن المفروض: أن علياً «عليه السلام» وشيعته كانت لهم اليد الطولى في الفتوحات، إن لم نقل إن إنجاز ما هو أساسي منها قد تم على أيديهم، وتديبرهم، ومشاركتهم القوية والعميقة فيه..

ونجيب:

إن هناك فرقاً كبيراً بين انجاز الفتح الكبير الذي اريد به تحصين أهل الإسلام من عدوان تلك الدولة القوية والخطرة على كل وجودهم.. فكان لا بد لحفظ الإسلام وأهله من ضرب تلك القوة التي يمكن أن تتركهم وشأنهم، مع حالة الحرب التي تفرض نفسها على المحيط كله.

أما الممارسات الخاطئة فهي اما حدثت في حروب صغيرة كان يخوضها آخرون هنا وهناك.. أو أنها حصلت في دائرة الممارسات التي ظهرت بعد حصول الفتح، وأمسك الآخرون من أدوات الحكم بمقاليد الأمور.. ولم

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢٠ ص ٢٩٨ و ٢٩٩ والدرجات الرفيعة ص ٣٧

والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص ٧٢٨.

يعد لعلي «عليه السلام» وشيعته أي دور.. وربما يكون شطر من هذه الممارسات الخاطئة، قد حصل من عناصر غير منضبطة ولا مسؤولة. أو حصل بعضها أثناء الفتح، من قبل الذين لا يلتزمون بنظام، ولا يطيعون أوامر قادتهم، تماماً كما فعله خالد بن الوليد ببني جذيمة..

خيار الصحابة رضوا بعمر:

وذكر عثمان في كلامه لعمر: أن أبا بكر قد اختار لهم عمر بن الخطاب، ورضيه خيار الصحابة.. مع أن بعض هؤلاء الذين يتزلفون لعمر، ويشنون عليه، لم يرتض هذا الإختيار، واعترض على أبي بكر فيه..

إلا أن الذي يظهر لنا هو: أن عثمان كان يعرض بعلي «عليه السلام»، غامزاً من قناته، ومحرضاً عمر عليه، معتبراً إياه من غير الخيار من الصحابة، لأنه هو الذي لم يزل يعلن عدم رضاه بما جرى ويجري، ويعتبره مخالفاً لما قرره الله ورسوله..

وليت شعري إذا كان علي «عليه السلام» من غير الخيار من الصحابة، فمن هم الخيار منهم عند عثمان يا ترى؟!

هل هم الشجرة الملعونة في القرآن أم هم ابن عامر وابن كريز ومروان وابن عقبة وأضرابهم..

ولعل سياسات عثمان في أيام خلافته تدلنا على: أن خيار الصحابة عندهم هم: مروان، والوليد بن عتبة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، والحكم بن أبي العاص، وعبد الله بن عامر بن كريز، وأضرابهم.. ممن لعنهم الله ورسوله، وأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بقتلهم أو بنفيهم.

عمر يفند مشورة عثمان:

والغريب في الأمر أن عمر نفسه قد فند مشورة عثمان - حسب نص ابن أعثم - حيث بين له: أنه ليس في المدينة خيل ولا رجال يمكن أن تواجه مئة وخمسين ألف مقاتل..

فحول عثمان مسار المشورة لتصبح باتجاه استدعاء أهل الشام واليمن، ومكة والمدينة، والكوفة والبصرة، وافراغ البلاد من الرجال ليواجهوا الفرس..

ولكن ذلك لم يقنع عمر أيضاً، وبقي على ترده.

ثم جاءت مشورة علي «عليه السلام» لتوضح فساد هذا الرأي، وبوار هذا المنطق كما أوضحناه.

مدائح علي عليه السلام لعمر:

١ - أما ما نقله النص الذي أورده ابن أعثم وقد تضمن مدحاً وثناء من علي «عليه السلام» على عمر في مشورته، فلا نظمئن إلى صحة نسبته له «عليه السلام»، ولا نجد له مبرراً لا سيما قوله: «وقد حملك الله أمر رعيتك»، فإن علياً «عليه السلام» لم يزل يردد في حياته كلها إلى أن استشهد: أن الخلافة حق له، وقد اغتصب منه ظملاً وعدواناً.. فكيف يقول هنا: إن الله تعالى حمل عمر أمر الرعية؟!!

إلا أن يكون المقصود: أنه بعد أن أخذ هذا الأمر من صاحبه الشرعي قهراً؛ فإنه يتحمل أمام الله مسؤولية حفظ الرعية، وحفظ الدين. وأن الله

سبحانه سوف يطالبه لو ضيعها بأمرين:

الأول: اغتصابه أمراً ليس له..

والثاني: بتضييعه الرعية، وإيرادها المهالك..

٢- إنه «عليه السلام» قد اعتبر عمر أفضل أصحابه رأياً، وأيمنهم نقيبة، وهذا يخالف ما نعهده من رأي علي «عليه السلام» في عمر وقد يقال: إنه «عليه السلام» إنما قايس عمر بأصحاب عمر، لا بأصحابه وشيعته هو «عليه السلام»، ولا بغيرهم من الصحابة، فضلاً عن أن يقايسه بسائر الناس.

لذلك قال: أفضل أصحابك، ولم يقل: أفضل الصحابة، أو أفضلنا. بل قد يقال: إن المقصود هو خصوص هذا الرأي الذي هو مورد المحاوره حيث أظهرت حالة عمر أنه يبحث عن من يشير عليه بالبقاء لا بالشخص.. فإنه لم يرق له إيكال الأمر إليه، ولم يرق له الرأي الذي يأمره بالمسير بنفسه، فلم يبق إلا الرأي الذي يقضي بالبقاء، وإشخاص غيره.

هذا.. كله على فرض صحة نسبة هذه الكلمات إلى علي «عليه السلام»، ونحن لا نرى صحتها، بل نعتقد: أنها من المدسوس عليه «صلوات الله وسلامه عليه»، وهو ما لا مجال لقبوله، فإن مراجعة كلامه «عليه السلام» في وصف عمر في المناسبات المختلفة، تدل على أنه يرى فيه خلاف ذلك، فراجع الخطبة الشقشقية، وكثير غيرها تجد صحة ما قلناه..

الرعدة والنفضة والرأي المكنون:

وقد ذكرنا: أن هذا الرأي الذي أشار به «عليه السلام» على عمر، وإن

كان صواباً في نفسه، ولكن منطلق عمر في جنوحه إليه كان يختلف عن منطلقات غيره..

فقد بين علي «عليه السلام» مبررات تبنيه لهذا الرأي بما لا مزيد عليه. لكن عمر لم يفصح عنها، وربما كان محرراً جداً في إفصاحه عنها لو طُلب به. على أن ما ظهر من حاله لكل أحد، من اضطراب، ورعدة، ونفضة، إلى حد سماع المسلمين أطيح أضراسه، ومناداته في المسجد للمسلمين، وطلبه المعونة منهم. ثم رعدته على المنبر، يدل دلالة واضحة على أن سبب هذه الرعدة والنفضة والاضطراب هو الخوف، وليس الغضب ولذلك تراه يقول لعلي «عليه السلام»: «فما الحيلة في ذلك، وقد اجتمعت الأعاجم على بكرة أبيها بنهاوند في خمسين ومائة ألف، يريدون استئصال المسلمين»؟!.

ثم ورد في سياق كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» في مشورته، التصريح بخوف عمر من الفرس.. ولم يستدرك عمر عليه في ذلك.

ولعل دعوى الغضب قد جاءت لتخفف من وقع هذه الظاهرة التي ألمت بعمر، ولتحفظ بعض ماء الوجه لمن عرف عنه الخوف بل الفرار من مواقع القتال، وتحاشي ساحات الحرب والنزال..

وقد جاء قول عمر: عن مشاورة علي «عليه السلام»: لقد كان رأيه رأيي ليعبر عن حقيقة ما كان يسعى إليه عمر، بدافع من الخوف والرعب الذي كان يعيشه.

إختلاف يهدف إلى تجميع الحقيقة:

قد ذكر النص المنقول عن ابن أعثم: أن طلحة والزبير قد أوكلا الأمر إلى عمر بن الخطاب، ليتخذ القرار الذي يرتئيه، وليس عندهما إلا السمع والطاعة.

واما ابن عوف، فأشار بالمسير إلى حرب الفرس.
وقد ظهر التزلف لعمر في كلام الجميع.

لكن الطبري يذكر نصاً آخر يقول: إن طلحة والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، ورجالاً من أهل الرأي من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكذلك علي «عليه السلام» قد أشاروا على عمر بعدم الشخوص إلى العراق لحرب الفرس. فسّر عمر بحسن رأيهم، وأعجبه ذلك منهم..
وذكر الطبري أيضاً نصاً يقول: إن طلحة أشار بقبول كل ما يقرره عمر، وعثمان أشار عليه بالشخوص، وعلي «عليه السلام» أشار عليه بعدمه..

مع أن روايتي الطبري تنتهيان إلى سيف فما يظهر من سياق الكلام.
ونحن نقول: في كل واد أثر من ثعلبة، فإننا ما زلنا نتوقع مثل هذا التلاعب الظاهر في روايات هذا الرجل المتهم بالوضع، والتزييف، والتحريف.
غير أن من الواضح: أن سائر المصادر تقريباً تشير إلى علي «عليه السلام» على أنه هو المشير بعدم الشخوص. فلا وقع ولا اعتبار بروايات سيف، ولا قيمة لرأي من تبعه من دون تمحيص.

إلا أن يكون هؤلاء قد أدركوا خطأهم بعد سماعهم لقول علي «عليه السلام»، وعرفوا أن عمر يريد الأخذ برأي علي «عليه السلام»، فعادوا إلى ما يرغب به عمر، وعبروا عن قبولهم به وتأيدهم له، لا سيما وأن بعضهم يشرح نفسه للخلافة، ويسعى لإرضاء عمر لكي لا يستبعده من دائرة الاختيار..

فاختزل سيف الكلام، بهدف التحوير والتزوير..

العباس ينتقد الرأي لعمر:

هذا، وبالرغم من أننا لم نر للعباس أثراً في هذه الحوادث، لا في الإستشارة في أمر القادسية، ولا في المسير إلى الروم، وبلاد الشام، ولا في المسير إلى نهاوند.. فإننا نلاحظ: أن رواية الطبري عن نهاوند قد دست اسم العباس «رحمه الله»، بعنوان «ناقد» للرأي عند عمر، وهو منصب لم نجده في تاريخ الإسلام لأحد من الناس إلا للعباس في خصوص هذا المورد، مع أن سياق الحديث، لا يفهم منه أنه «رحمه الله» قد نبس بنت شفة هنا، بل كان الكلام محصوراً بين عمر، وطلحة والزبير، وابن عوف وعثمان وعلي «عليه السلام».

وكان ثمة من يرغب في أن يخفف من أهمية مشورة علي «عليه السلام»، ولو بأن يضعها موضع الريب الموجب لعرضها على ناقد الآراء، الذي يراد اعطاؤه بعض الوهج، لكي يخفت ولو قليلاً نور الإمامة والولاية، والتعظيم على نور رأي علي «عليه السلام».

الفصل الخامس:

ذو الرقعتين.. وبساط كسرى..

ورع عمر في الأموال:

عن ابن عمر قال: جمع الناس عمر بالمدينة، حين انتهى إليه فتح القادسية ودمشق، فقال: إني كنت امرءاً تاجراً، يغني الله عيالي بتجارتي، وقد شغلتموني بأمركم، فماذا ترون أنه يحل لي من هذا المال؟! فأكثر القوم، وعلي «عليه السلام» ساكت، فقال: ما تقول يا علي؟! فقال: ما أصلحك، وأصلح عيالك بالمعروف. وليس لك من هذا المال غيره.

فقال القوم: القول قول ابن أبي طالب^(١).

ونص آخر يقول: لما ولي عمر قعد على رزق أبي بكر الذي كانوا فرضوا له. فكان بذلك. فاشتدت حاجته، فاجتمع نفر من المهاجرين، منهم عثمان، وعلي، وطلحة والزبير. فقال الزبير: لو قلنا لعمر: نزيدها إياه في رزقه. فقال علي «عليه السلام»: وددنا قبَل ذلك، فانطلقوا بنا.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٦١٦ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ١١١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٢٢٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥٠٤ وغاية المرام ج ٥ ص ٢٦٩ وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٩٩.

فقال عثمان: إنه عمر، فهلموا فلنستبرئ ما عنده من وراء. نأتي حفصة، فنسألها، ونستكتمها، فدخلوا عليها وأمروها أن تخبر بالخبر عن نفر، ولا تسمى له أحداً إلا أن يقبل. وخرجوا من عندها.

فلقيت عمر في ذلك، فعرفت الغضب في وجهه، وقال: من هؤلاء؟

فقلت: لا سبيل إلى علمهم حتى اعلم رأيك!

فقال: لو علمت من هم لسؤت وجوههم، أنت بيني وبينهم، أنشدك بالله. ما أفضل ما اقتنى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بيتك من الملبس؟!

قالت: ثوبين ممشقين كان يلبسهما للوفد، ويخطب فيهما للجمع.

قال: فأبي الطعام ناله عندك أرفع؟!

قالت: خبزنا خبزة شعير، فصببنا عليها وهي حارة أسفل عكة لنا، فجعلناها هشّة دسمة. فأكل منها، وتطعم منها استطابة لها.

قال: فأبي مبسط كان يبسطه عندك كان أوطأ؟!

قالت: كساء لنا ثخين، كنا نربعه في الصيف، فنجعله تحتنا، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه، وتدثرنا بنصفه.

قال: يا حفصة، فأبلغنيهم عني: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قدر فوضع لنا الفضول مواضعها، وتبلغ بالترجية. وإني قدرت فوالله لأضعن الفضول مواضعها، ولا تبلغن بالترجية.

وإنما مثلي ومثل صاحبي، كثلثة سلكوا طريقاً، فمضى الأول وقد

تزود زاداً فبلغ. ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه، فأفضى إليه، ثم اتبعه الثالث، فإن لزم طريقهما، ورضي بزادهما لحق بهما، وكان معهما، وإن كان سلك غير طريقهما لم يجامعهما^(١).

ونقول:

أولاً: إن هاتين الروايتين متنافرتان، فالأولى تقول: إن عمر بن الخطاب كان إلى ما بعد فتح دمشق والقادسية ينفق من أمواله على نفسه وعياله.. وأنه هو الذي طلب من الصحابة أن يزيدوا في عطائه، فاستجابوا له.. أما الثانية فتقول: إنه قعد على رزق أبي بكر، فلما عرضوا عليه - بواسطة ابنته حفصة - زيادة عطائه رفض ذلك، ووجه إلى المقترحين كلمات قارصة، فأبي ذلك هو الصحيح؟!!

ثانياً: دعوى أنه اقتصر على رزق أبي بكر، أو أنه واجه حاجة شديدة، فقرروا له ما يصلحه ويصلح عياله بالمعروف، لا تصح، فقد كان فيما يظهر يملك التصرف بعشرات الألوف من الدراهم والدنانير، كما دلت عليه النصوص المختلفة..

فقد قالوا: إنه مهر زوجته أم كلثوم بنت علي «عليه السلام» أربعين

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٦١٦ و ٦١٧ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ١١٢ و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٣٣ و كنز العمال ج ١٢ ص ٦٣٥ و تاريخ مدينة دمشق ج ٤٤ ص ٢٧٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥٠٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ١٠٦.

ألف درهم^(١).

(١) جواهر الكلام ج ٣١ ص ١٥ والمبسوط للشيخ الطوسي، والسرائر (ط مركز النشر الإسلامي) ج ٣ ص ٦٣٧ وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢١ ص ٢٦٣ و (ط دار الإسلامية) ج ١٥ ص ١٩ وذخائر العقبى ص ١٧٠ وبحار الأنوار ج ٤٢ ص ١٠٧ والفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٤٥٥ و ٤٥٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٢٣٣ والذرية الطاهرة النبوية للدولابي ص ١٦٠ وأسد الغابة ج ٥ ص ٦١٥ والإصابة ج ٤ ص ٤٩٢ والبداية والنهاية ج ٧ و ١٥٦ و ج ٥ ص ٣٣٠ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤٢٥ والدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص ٦٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (عهد الخلفاء الراشدين) ص ١٦٦ والكامل لابن عدي ج ٤ ص ١٨٦ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٤ ص ٤٩١ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٥٠١ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٣ ص ٦٢٥ عن ابن سعد، والبيهقي في السنن، وابن أبي شيبة، وابن عساكر، وابن عدي في الكامل، وتاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج ٣ ص ٢٧٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢١ ص ٢٠٥ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٥٤ ونساء أهل البيت لخليل جمعة ج ١ ص ٦٦٠ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ١٥٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦١١ والمجموع ج ١٦ ص ٣٢٧ وذخائر العقبى ص ١٧٠ عن أبي عمر، والدولابي، وابن السمان، وإفحام الأعداء والخصوم ص ١٦٥ ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ج ٤ ص ٢٧٠ و ج ٩ ص ١٦١ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ٣١٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٢٢٧ و ج ١٥ ص ١٤٦ ونظم درر السمطين ص ٢٣٤ وتفسير الثعلبي ج ٣ =

أو أربعين ألف دينار^(١).

أو أربعين ألفاً بلا تعيين^(٢).

= ص ٢٧٧ والجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ١٠١ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ٤ ص ٧١ وعمدة القاري ج ٢٠ ص ١٣٧ وحياة الحيوان ج ١ ص ٤٩٤ والسيرة النبوية لابن إسحاق ص ٢٤٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٤٦٤ و (ط دار التحرير للطباعة والنشر) ج ٨ ص ٣٤٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٨ ص ١١٦ وج ١٩ ص ٤٦٨ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٢٨ وأحكام القرآن لابن العربي ج ١ ص ٤٧٠ وإمتاع الأسماع ج ٥ ص ٣٧٠ والمسائل السروية للشيخ المفيد ص ٩٠.

(١) التراتيب الإدارية ج ٢ ص ٤٠٥ عن المختار الكتبي في الأجوبة المهمة، نقلاً عن الحافظ الدميري.

(٢) راجع: المصادر في الهامشين السابقين. وتاريخ عمر بن الخطاب ص ٢٦٧ ونهاية الأرب ج ١٩ ص ٣٩١ والسيدة زينب لحسن قاسم ص ٦٤. وراجع: المغني لابن قدامة ج ٨ ص ٥ والغدير ج ٦ ص ٩٩ وعمدة القاري ج ٢٠ ص ١٣٧ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٨ ص ٥ والإستيعاب ج ٤ ص ١٩٥٥ والإصابة ج ٨ ص ٤٦٥ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج ١ ص ٢٩٦ وكنز العمال ج ١٣ ص ٦٢٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٤٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٤٨٦ وأسد الغابة ج ٥ ص ٦١٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٧٠ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٥٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٢٧٥ والوفائي بالوفيات ج ٢٤ ص ٢٧٢ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٩٣ و ١٥٧ والسيرة النبوية =

أو مائة ألف درهم^(١).

أو عشرة آلاف دينار^(٢).

أو أربعة آلاف درهم^(٣).

أو خمس مئة درهم^(٤).

ويبدو: أن الأرقام الأخيرة كانت مخففة جداً عن الرقم الصحيح، الذي كان ضخماً إلى حد احتاج عمر إلى الاعتذار عن بذله هذه الأموال الطائلة، بأن رغبته في مصاهرة رسول الله هي التي دعت به إلى ذلك، فقال: «وأعطيت هذا المال العريض إكراماً لمصاهرتي إياه»^(٥).

فمن أين حصل عمر على هذه الأموال؟!

ولماذا لم يلتزم بما ألزم به نفسه أمام حفصة؟! أو بما ألزمه به علي

= لابن إسحاق ج ٥ ص ٢٣٣ وأنساب الأشراف (ط مؤسسة الأعلمي) ص ١٨٩.

(١) أنساب الأشراف ج ٢ ص ١٦٠ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ١٨٩ عن هشام بن الكلبي.

(٢) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٤٩ و ١٥٠.

(٣) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص ٦٢ وبحار الأنوار ج ٤٢ ص ١٠٧ والمسائل السروية للشيخ المفيد ص ٩٠.

(٤) المسائل السروية للشيخ المفيد ص ٩٠ وبحار الأنوار ج ٤٢ ص ١٠٧.

(٥) التراتيب الإدارية ج ٢ ص ٤٠٥.

والمسلمون حينما جمعهم، وعرض عليهم مشكلته؟!

ثالثاً: لماذا هذا الحرص من علي وعثمان وطلحة على إخراج عمر من حالة الزهد والقناعة التي هو فيها؟!

وهل قرأ أحد أو سمع أن علياً، وهؤلاء حاولوا إخراج سلمان وأبي ذر، وسواهما من زهاد ذلك العصر من حالتهم تلك، فشجعوهم على الاستفادة من الأموال التي كانت تحت يدهم، أو أعانوهم بشيء من بيت المال حين أصبح تحت يدهم؟!

ألم يشاهد علي «عليه السلام» رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يعين الزهراء «عليها السلام» بأي شيء على الخروج مما هي فيه من مصاعب ومتاعب، بل يعوضها من ذلك تسبيح الزهراء، وتركها في معاناتها الصعبة؟!

ألم يأتي عقيل إلى أخيه علي «عليه السلام» ومعه أبناءه، وكان وجوههم قد سودت بالعظم، فطلب منه أن يعطيه، فأحس له حديدة، فأعطاه إياها - فلذعته^(١).

ولا بأس بذكر الحادثة على لسان علي «عليه السلام» حيث قال:

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٠ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ١٢٨ وكنز العمال ج ١٢ ص ٥٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٤ ص ٣٤٣ وراجع: فتوح الشام للواقدي ج ٢ ص ٢٠٧ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥١٧ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٧٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٧ ص ٤٥٥.

والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً، وأجر في الأغلال مصفداً، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام.

وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها والله لقد رأيت عقيلاً، وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنها سودت وجوههم بالعظم، وعاونني مؤكداً وكرر علي القول مردداً فأصغيت إليه سمعي فظن أني أبيع ديني وأتبع قياده مفارقاً طريقي، فأحيت له حديدة، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها.

فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجريني إلى نار سجرها جبارها لغضبه، أتئن من الأذى ولا أئن من لظى، وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها، ومعجونة شنتها كأنها عجنت بريق حية أو قيئها، فقلت أصلة أم زكاة أم صدقة فذلك محرم علينا أهل البيت.

فقال: لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية.

فقلت: هبلك الهبول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني، أمختبط أنت أم ذو جنة أم تهجر. والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت وإن دنياكم عندي لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى، نعوذ بالله

من سبات العقل، وقبح الزلل وبه نستعين^(١)..

علي عليه السلام لعمر: عفتت فعفت الرعية:

وفي السنة السادسة عشرة جيء إلى عمر بسيف كسرى، ومنطقته، وزبرجه، فقال: إن أقواماً أدوا هذا لذوو أمانة.

فقال علي: إنك عفتت فعفت الرعية^(٢).

ونقول:

إن أحداً لا يجزؤ على إخفاء سيف كسرى، ومنطقته، وزبرجه عن عمر بن الخطاب الذي سوف يلاحق من يفعل ذلك في جميع البلاد. وبين جميع العباد.. ولو فكر من يريد الاستئثار بهذه الأشياء لنفسه لعرف أنها لا تساوي هذه المتاعب التي سوف يتعرض لها.

إلا إن كان يريد أن يخرج بها من نطاق الدولة الإسلامية، ويدخل إلى بلاد الكفر والشرك من أجلها.. وليس ثمة ما يضمن له أنه سيبقى قادراً على الاحتفاظ بها في تلك البلاد أيضاً لا سيما ولأنه التي سوف لا يجد فيها

(١) نهج البلاغة ج ٢ ص ٢١٧ وراجع: مصادر نهج البلاغة ج ٣ ص ١٥٦.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٠ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ١٢٨ وكنز العمال ج ١٢ ص ٥٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٤ ص ٣٤٣ وراجع: فتوح الشام للواقدي ج ٢ ص ٢٠٧ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥١٧ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٧٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٧ ص ٤٥٥.

من يرعى له حرمة، أو يقيم له وزناً.

ولو فرضنا: أن أحداً سولت له نفسه أن يحتفظ بهذه الأشياء لنفسه، وأن يتكتم عليها... لن يتمكن من ذلك، لأن المفروض: أنه أخذها تحت نظر الجيش وبصره، ولا بد أن يشهدوا عليه بذلك، وأن يطالبوه بها، فكيف يمكنه إخفاء أمرها، وهي ترتبط برمز سلطة أهل الكفر، وكل الأعين مشدودة إلى أي شيء ينسب له، أو يعود إليه.

من أجل ذلك نقول:

إن الكلمة المنسوبة إلى علي «عليه السلام» حول عفة الرعية بعفة راعيها، لا يرتبط بهذه الحادثة جزماً، وإنما هو كلام ركب على كلام آخر، بهدف إثبات فضيلة لعمر على لسان علي «عليه السلام».

لكن الأدلة والشواهد تفضح تركيب هذا الكلام، وتسقطه عن الاعتبار.

ذو الرقعتين:

وأما ما ذكرته الخطبة المزعومة المنسوبة لعلي «عليه السلام»، من أن عمر كان كهفياً للفقراء، يعري نفسه ويكسوهم، فهو غير دقيق، فلاحظ ما يلي:

١ - في عهد عمر كان يعيش ذو الرقعتين، الذي لا شيء له سوى رقعتين يستر بإحدهما قبله، ويستر بالأخرى دبره^(١)، فلماذا لم يعر نفسه،

(١) المصنف للصنعاني ج ٦ ص ٢٦٧ والمغني لابن قدامة ج ٧ ص ٥٧٦ وكشاف القناع ج ٥ ص ١٠٤ وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٢٠٩ وكتاب الأم =

ويكسو هذا الرجل المسكين؟!!

٢- إن عمر هو الذي طالب الصحابة بأن يجعلوا له ما يكفيه من بيت المال، كما ذكرناه فيما سبق في هذا الكتاب.

٣- هل من يمهر زوجته عشر آلاف دينار، أو أربعين ألف درهم، أو أربعين ألف دينار، أو أربعين ألفاً بلا تعيين، أو مئة ألف^(١)، إلخ.. يكون ممن يجيع نفسه ويطعم الفقراء؟! ويعري نفسه ويكسوهم؟! ويكون كهفناً لهم؟!!

وهل ذلك كله من الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة؟!!

بشر الوارث:

وذكروا: أن عمر بن الخطاب أقطع علياً «عليه السلام» ينبع، ثم اشترى (أي علي «عليه السلام») أرضاً إلى جنب قطعته، فحفر فيها عيناً. فبينما هم يعملون فيها إذ انفجر عليهم مثل عنق الجزور من الماء، فأتي علي فبُشِّرَ بذلك.

= للشافعي ج ٥ ص ٨٧ والمجموع للنووي ج ١٦ ص ٢٥٥ و ٢٥٦ ومعرفة السنن ج ٥ ص ٣٤٨ وكنز العمال ج ٩ ص ٧٠٣ و ٧٠٤ والشرح الكبير ج ٧ ص ٥٣٣.

(١) تقدمت مصادر ذلك.

فقال: بشروا الوارث، ثم تصدق بها^(١).

وفي نص آخر: أنه قال ذلك عدة مرات. ثم وقف ذلك المال على الفقراء، وكتب به كتاباً في تلك الساعة^(٢).
ونقول:

١ - إن إقطاع عمر الأرض لعلي وقبوله «عليه السلام» ذلك منه لا يعني اعترافاً من علي «عليه السلام» بمشروعية تصرف عمر، بل هو يعني: إزالة عمر الموانع من طريق تصرف علي «عليه السلام» في تلك الأرض. وقد يحتاج الإنسان إلى استصدار بطاقة هوية لنفسه أو لأولاده، أو إلى الحصول على سند مالكية لبيته أو أرضه، أو تسجيل شركته في دوائر الدولة، من أجل حماية نفسه من التعديات، وإطلاق يده في التصرفات. وإن كان يرى أن تلك الدولة غاصبة وظالمة وغير شرعية.

٢ - إن علياً «عليه السلام» لم يكن يتملك الأرض لمجرد أن يمنع غيره من تملكها، أو من إحيائها، أو ليضيفها كرقم جديد إلى قائمة تملكاته.. بل كان «عليه السلام» يتملكها ليحييها، فإذا أحيأها، فإنه يجعل ذلك وسيلة لإنعاش المحيط الذي يعيش فيه، ويسد حاجاته، ويحل مشكلاته.

(١) الرياض النضرة ج ٣ ص ١٨٣ وذخائر العقبى ص ١٠٣ والغدير ج ٤ ص ١٤٤ والإمام علي لمحمد رضا المصري ص ١٧ وعن ابن السمان في الموافقة، وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٨ ص ٤٨.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ٧ ص ٢٩٠ والغدير ج ٤ ص ١٤٤.

٣- لقد قال «عليه السلام»: بشر الوارث، مردداً ذلك عدة مرات. ثم هو في نفس الساعة يوقف تلك الأرض على الفقراء.

فدلنا ذلك على أنه لا يقصد بالوارث من يرثه من ابنائه وأقاربه، بل قصد به أنهم أخطأوا حين خصوه هو بالبشارة، بل الإنصاف والمنطق ويقضي بأن تكون البشارة لوارثه.. فالكلام جاء على سبيل ضرب القاعدة للناس في مثل هذه الأحوال. فلا ضير في شموله لكل من يحق له أن يرث مسلماً.. حتى لو كان من الفقراء الذين يرثون الاستفادة من هذه الأرض بالذات.

الرفاهية في عهد علي عليه السلام:

إن الحقيقة هي: أن علياً «عليه السلام» هو الذي بلغ الناس في عصره حد الإكتفاء الذاتي، بل هم قد تجاوزوا ذلك إلى درجة الرفاهية.

فقد روى عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه، عن أبي معاوية، عن ليث، عن مجاهد، عن عبد الله بن سخريرة، عن علي «عليه السلام» قال: «ما أصبح بالكوفة أحد إلا ناعماً، إن أدناهم منزلةً ليأكل من البر، ويجلس في الظل، ويشرب من ماء الفرات»^(١).

(١) فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأحمد بن حنبل ص ٣٠ والمستدرک للحاکم (تحقیق یوسف عبد الرحمن المرعشلی) ج ٢ ص ٤٤٥ و (ط دار الکتب العلمیة) ج ٢ ص ٤٨٢ وعن فضائل علي للخوارزمي ج ١ ص ٣٦٨. وراجع: مناقب آل أبي =

وهذا حديث صحيح. ورواه الحاكم، من طريق أبي معاوية، عن الأعمش عن مجاهد، وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه^(١).
وقسم «عليه السلام» مرة حبلاً جيء بها من بعض البلاد، فأخذ بعضهم، وترك بعضهم^(٢).

ولم يكن علي «عليه السلام» يأخذ من بيت مال المسلمين شيئاً، بل كان

= طالب ج ١ ص ٣٦٨ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ٣٢٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ١٥٧ وكنز العمال ج ١٤ ص ١٧٢ وجامع المسانيد والمراسيل ج ١٦ ص ٣٦١ وفضائل الصحابة للنسائي (ط دار الكتب العلمية) ج ١ ص ٥٣١.

(١) المستدرک للحاکم (تحقیق یوسف عبد الرحمن المرعشلی) ج ٢ ص ٤٤٥ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٢ ص ٤٨٢.

(٢) فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ص ٢٩ والغارات للثقفی ج ١ ص ٨٣ وبحار الأنوار ج ٣٤ ص ٣٥١ وقال في هامشه:

وهذا رواه أيضاً عبد الله بن أحمد في الحديث (٥) من باب فضائل أمير المؤمنين من كتاب الفضائل ص ٨ (ط ١).

وقريباً منه رواه ابن عساكر في الحديث (١٢٣٣) من ترجمة أمير المؤمنين «عليه السلام» من تاريخ دمشق ج ٣ ص ٢٢٨ (ط ٢).

وليلاحظ ما رواه أحمد في مسند أمير المؤمنين تحت الرقم (٦٧٨ و ١١٣٥) من كتاب المسند ج ١.

وليراجع أيضاً الحديث (٣٤٧) من فضائل علي «عليه السلام» من كتاب الفضائل.

يبيع ويشترى، وينفق من أمواله يبيع^(١).

وفي نص آخر: كان علي يغدي ويعشي، ويأكل هو من شيء يجيئه من المدينة^(٢).

وهو الذي باع سيفه في رحبة الكوفة، وهو خليفة. ولطالما كشف به الكرب عن وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله». ولو كان عنده ثمن أزار ما باعه^(٣).

(١) فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لابن حنبل ص ٣٣ وكتاب الزهد لابن حنبل ص ١٣٠ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٤ وكنز العمال ج ١٣ ص ١٨٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ٣٣٠ وجامع المسانيد والمراسيل ج ١٦ ص ٢٧٩ وفضائل الصحابة ج ١ ص ٥٣٢ ومعرفة السنن والآثار ج ٤ ص ٣٦٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٤٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٢٩٤ وج ١٧ ص ٥٨٧.

(٢) فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأحمد بن حنبل ص ٤١ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٢٨٥ ومناقب علي بن أبي طالب «عليه السلام» للكوفي ج ٢ ص ٧٩ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٤٧ وعن حلية الأولياء ج ١ ص ٨٢ وعن الرياض النضرة ج ٣ ص ٢٢١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٢ ص ٢٣٦.

(٣) فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لأحمد بن حنبل ص ٤٦ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج ٢ ص ٥٥ والزهد لأحمد بن حنبل ص ١٣١ وحلية الأولياء ج ١ ص ١٧ وتاريخ الفسوي ج ٢ ص ٦٨٣ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٣ والغارات للثقفني ج ١ ص ٦٣ ومكارم الأخلاق للطبرسي =

عمر يحبس الأموال:

تقدم في فصل: عمر وعلي «عليه السلام»: أحداث ومواقف أن علياً «عليه السلام» دعا سلمان في إحدى الليالي وقال له: صر إلى عمر، فإنه حمل إليه من ناحية المشرق مال، ولم يعلم به أحد، وقد عزم أن يجبسه، فقل له: يقول لك علي: أخرج ما حمل إليك من المشرق، ففرقه على من جعل لهم، ولا تجبسه، فأضحك.

فقال سلمان: فمضيت إليه، وأديت الرسالة.

فقال: حيرني أمر صاحبك، فمن أين علم [هو] به؟!

فقلت: وهل يخفى عليه مثل هذا؟!

= ص ١١٤ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٦٦ وكشف المحجة لابن طاووس ص ١٢٤ وذخائر العقبى ص ١٠٧ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٤٨ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ٣٢٤ وج ٤١ ص ٤٣ و ١٣٦ وج ٧٦ ص ٣١٣ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرازي ص ٢١٩ ومجمع الزوائد ج ١٠ ص ٣٢٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ١٥٧ والمعجم الأوسط للطبراني ج ٧ ص ١٧٤ والإستيعاب ج ٣ ص ١١١٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٢٠٠ وكنز العمال ج ١٣ ص ١٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٤٨٢ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص ٩٠ ومطالب السؤل ص ١٨٤ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٢٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٩٠ و ٣٠١ وينابيع المودة ج ٢ ص ١٩٥ وغاية المرام ج ٦ ص ٣٤٦.

فقال: يا سلمان، اقبل مني ما أقول لك: ما علي إلا ساحر، وإني لمشفق [عليك] منه، والصواب أن تفارقه، وتصير في جملتنا.

قلت: بئس ما قلت، لكن علياً وارث من أسرار النبوة ما قد رأيت منه، وعنده ما هو أكثر (مما رأيت) منه.

قال: ارجع (إليه) فقل له: السمع والطاعة لأمرك.

فرجعت إلى علي «عليه السلام»، فقال: أحدثك بما جرى بينكما.

فقلت: [أنت] أعلم به مني، فتكلم بكل ما جرى بيننا، ثم قال: إن رعب الثعبان في قلبه إلى أن يموت^(١).

ونقول:

والسؤال هو: لماذا يريد عمر أن يحبس هذا المال؟ ولن سيعطيه؟ وبماذا يجب ربه يوم القيامة إذا سأله عن هذا المال؟

وهل حبس أموال الناس عنهم من الزهد في الدنيا، ومن سنن العدل فيها؟! إن حبس هذا المال لم يكن طاعة لله سبحانه بدليل خوف عمر من الفضيحة التي هدده بها علي «عليه السلام»، ثم مسارعة لتنفيذ أمر علي «عليه السلام»..

(١) مدينة المعاجز ج ٣ ص ٢٠٩ - ٢١١ وراجع: ج ١ ص ٤٧٨ والخرائج والجرائح

ج ١ ص ٢٣٢ وإثبات الهداة ج ٢ ص ٢٥٨ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٣١ - ٣٣

وج ٣١ ص ٦١٤ ج ٤١ ص ٢٥٦ و (ط حجرية) ج ٨ ص ٨٢ وتفسير الألويسي

ج ٣ ص ١٢٣ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص ٤٦٠.

وبعد.. فهل يمكن أن يقاس من يفعل هذا بمن يقول فيه عدوه معاوية: لو كان عنده بيتان بيت من تبر، وبيت من تبين لأنفق تبره قبل تبينه؟!!

حلي الكعبة:

قال ابن أبي الحديد: «روي: أنه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حلي الكعبة وكثرته، فقال قوم: لو أخذته فجهزت جيوش المسلمين كان أعظم للأجر». وما تصنع الكعبة بالحلي؟!!

فهمّ عمر بذلك. وسأل أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: إن هذا القرآن أنزل على محمد «صلى الله عليه وآله»، والأموال أربعة: أموال المسلمين، فقسمها بين الورثة في الفرائض.

والفيء. فقسمه على مستحقه.

والخمس. فوضعه الله حيث وضعه.

والصدقات، فجعلها الله حيث جعلها.

وكان حلي الكعبة فيها يومئذٍ، فتركه الله على حاله. ولم يتركه نسياناً، ولم يخف عنه مكاناً، فأقرّه حيث أقرّه الله ورسوله.

فقال عمر: لولاك لافتضحنا.

وترك الحلي بحاله^(١).

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ١٥٨ وراجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) =

ونقول:

يستوقفنا في هذه القضية عدة أمور، هي التالية:

التاريخ يعيد نفسه:

١- إن المنطق الذي أرادوا من خلاله تبرير التصرف بحلي الكعبة هو بعينه ما نسمعه اليوم من بعض الناس، حول الذهب الذي تحلى به قباب المشاهد المشرفة.. والتخف التي تهدى إليها.. فما أشبه الليلة بالبارحة، فقد تشابهت القلوب، رغم مرور الأحقاب، واختلاف الأزمان.

= ج ٤ ص ٦٥ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٣ ص ٢٥٤ و (ط دار الإسلامية) ج ٩ ص ٣٥٧ وبحار الأنوار ج ٣٠ ص ٦٩٤ وج ٩٦ ص ٦٩ وراجع ج ٤٠ ص ٢٣٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٠ ص ٧٦ والحدائق الناضرة ج ١٧ ص ٣٦٤ وغاية المرام ج ٥ ص ٢٦٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٢٠٣ وج ٣١ ص ٥٠٧ وراجع: مستدرك الوسائل ج ٩ ص ٣٥١ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣٦٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ١٨٩ والغدير ج ٦ ص ١٧٧ عن المصادر التالية: صحيح البخاري ج ٣ ص ٨١ في كتاب الحج، باب كسوة الكعبة، وفي الإعتصام أيضاً، وأخبار مكة للأزرقي، وسنن أبي داود ج ١ ص ٣١٧ وسنن ابن ماجة ج ٢ ص ٢٦٩ وسنن البيهقي ج ٥ ص ١٥٩ وفتوح البلدان للبلاذري ص ٥٥ ووالرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠ وربيع الأبرار للزنجشري في الباب الخامس والسبعين، وتيسير الوصول، وفتح الباري ج ٣ ص ٣٥٨ وكنز العمال ج ٧ ص ١٤٥.

٢ - إن المعيار ليس هو حاجة الكعبة للحلي، أو استغناؤها عنه، بل المعيار هو أثر وجود هذا الحلي في التعبير عن التقديس والتبجيل والاحترام لها. والتخرج من المساس بأي شيء له انتساب أو ارتباط بها. فإن هذا يؤثر في تعميق هذا التقديس، وتصفية إيمان الناس وتناميته، وتزكية قلوبهم..

وقد قلنا مرات عديدة إن السياسة الالهية في هداية الناس تقضي بتقريب الغيب إلى الشعور الإنساني.. الذي يبلغ الذروة في المشاعر الحسية.. ولذلك كان السعي لتحويل هذا الغيب إلى شهود وحضور، وتجسيده في أمور محسوسة، مثل الكعبة المشرفة، والحجر الأسود، وغير ذلك.

٣ - إن الحلي حين يكون على الكعبة، فإن منفعته تبقى وتستمر، فإن النفوس تتأثر به، ولا تفتأ الحشود ترد لزيارة بيت الله، وتُنشَدُ الأنظار إليه، وتتوافد عليه باستمرار، وتستفيد مما له من بركات وآثار.

أما إذا صرف هذا الحلي في الحروب، فإن الاستفادة تكون لمرة واحدة وينتهي الأمر. ولا يدري إن كان الموقع الذي أنفق فيه قد قصد به التقرب إلى الله، من خلال الذب عن حريم الاسلام، أو تقوية شوكته، أم قصد به بسط السلطة، والحصول على الجاه والمرءات، وتوسعة الملك وما إلى ذلك.

٤ - وقد كان هذا الحلي في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يتعرض له، ولا أشار إلى أنه قد فكر في ذلك..

٥ - والأهم من ذلك كله.. هذه النظرة السياسية الشاملة للإسلام تجاه الأموال، كما بينها علي أمير المؤمنين «عليه السلام» ليتخذ منها الحكم

والفيصل في هذا الأمر، والتي كانت في وضوحها وبداهتها بحيث جعلت عمر بن الخطاب يقر بأنه لو عمل بما كان يفكر فيه لكانت الفضيحة. لا سيما حين ألزمه «عليه السلام» بأن الله تعالى قد قسم الأموال وجعلها في مواضعها.. وكان حلي الكعبة ماثلاً للعيان.

ولا يمكن أن يقال: إن الله تعالى قد جهل مكان ذلك الحلي، أو نسيه.. لأن نسبة الجهل والنسيان إليه تعالى من موجبات الكفر. فذلك يعني أن الله يريد أن يبقى هذا الحلي على حاله.. وهكذا كان..

٦ - وعن الفضيحة التي نجا منها عمر نقول:

نعم، إنه لو تعرض لحلي الكعبة لكانت الفضيحة، لأن الناس جميعاً، سوف يتساءلون عن الحلي أين ذهب؟! وما المبرر؟! وسيدور في خلداهم: أن الله ورسوله لم يتعرضا له بقول ولا فعل، لا عن نسيان ولا عن جهل، فلماذا يتعرض له هؤلاء؟!!

فإما أن يكون ذلك عدواناً منهم على الحرمات، وجرأة على ارتكاب المحرمات، أو يكون جهلاً بأبسط أحكام الشريعة والدين. وكلا هذين فضيحة لمن جهل وتعدى، وفي مهالك الفضائح تردى..

٧ - إن علياً «عليه السلام» حين خشي أن يصبح ما يفعله عمر سنة تتداولها الأجيال، تدخل بهذه الطريقة التي جعلت عمر نفسه يتراجع عن موقفه. وينقض عزمه.

الهال القليل لصاحبه، كالهال الكثير:

عن يزيد بن أبي خالد، بإسناده إلى طلحة بن عبد الله، قال: أتى عمر بهال فقسمه بين المسلمين، ففضلت منه فضلة، فاستشار فيها من حضره من الصحابة، فقالوا: خذها لنفسك، فإنك إن قسمتها لم يصب كل رجل منها إلا ما لا يلتفت إليه.

فقال علي «عليه السلام»: إقسمها. أصابهم من ذلك ما أصابهم، فالقليل في ذلك والكثير سواء.

ثم التفت إلى علي «عليه السلام» فقال: ويدُّ لك مع أياد لم أجرك بها^(١). وقد فصلت ذلك رواية أبي البخري عن علي «عليه السلام» حيث قال: عمر بن الخطاب للناس: ما ترون في فضل فضل عندنا من هذا المال؟! فقال الناس: يا أمير المؤمنين، قد شغلناك عن أهلك، وضيعتك، وتجارتك، فهو لك.

فقال لي: ما تقول أنت.

فقلت: قد أشاروا عليك.

فقال لي: قل.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٦٣ و ٣٦٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ١٨٥ و شرح الأخبار ج ٢ ص ٣٠٩ و بحار الأنوار ج ٤٠ ص ٢٣٠ و عجائب أحكام أمير المؤمنين «عليه السلام» ص ٨.

فقلت: لم تجعل يقينك ظناً.

فقال: لتخرجن مما قلت.

فقلت: أجل والله، لأخرجن منه، أتذكر حين بعثك نبي الله «صلى الله عليه وآله» ساعياً، فأتيت العباس بن عبد المطلب، فمنعك صدقته، فكان بينكما شيء، فقلت لي: انطلق معي إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فوجدناه خائراً، فرجعنا ثم غدونا عليه، فوجدناه طيب النفس، فأخبرته بالذي صنع، فقال لك:

أما علمت أن عم الرجل صنو أبيه!؟

وذكرنا له الذي رأيناه من خثوره في اليوم الأول، والذي رأيناه من طيب نفسه في اليوم الثاني، فقال: إنكما أتيتاني في اليوم الأول، وقد بقي عندي من الصدقة ديناران، فكان الذي رأيتما من خثوري له، وأتيتاني اليوم وقد وجهتها، فذاك الذي رأيتما من طيب نفسي.

فقال عمر: صدقت والله لأشكرن لك الأولى والآخرة (١).

ونقول:

أولاً: إن هذه المشورة من قبل الصحابة الحاضرين لذلك المجلس، قد جاءت في غير محلها، فالمفروض: أن عمر كان يرتزق من بيت المال ما

(١) راجع: مسند أحمد ج ١ ص ٩٤ ومجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٣٨ ومسند أبي يعلى

ج ١ ص ٤١٤ وأمالي المحاملي ص ١٧٤ وكنز العمال ج ٧ ص ١٩٢ وشرح نهج

البلاغة للمعتزلي ج ٩٩.

يكفيه، فما المرجح لتخصيصه بهذه الفضلة دون سائر المسلمين.

ثانياً: لماذا لم يشيروا عليه بإعطاء هذه الفضلة لبعض فقراء المدينة، مثل ذي الرقعتين الذي كان لا يملك سوى رقعتين يستر بهما قبله ودبره؟! (١) وكان يعيش في عهد عمر (٢).

وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على أن الحكم لا يمارس العدل في توزيع الأموال، ويدل على ذلك أنه قد ورد عن أبي الحسن الأول «عليه السلام» رواية يقول في آخرها بعد أن ذكر أصناف المستحقين وسهامهم: «فلم يبق فقير من فقراء الناس، ولم يبق فقير من فقراء قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله» إلا وقد استغنى فلا فقير» (٣).

ثالثاً: إن كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الصحيح، فإن ذلك

(١) راجع: المجموع للنووي ج ١٦ ص ٢٥٦ والمغني لابن قدامة ج ٧ ص ٥٧٦ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٧ ص ٥٣٣ وكشاف القناع للبهوتي ج ٥ ص ١٠٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٢٠٩ والمصنف للصنعاني ج ٦ ص ٢٦٧ ومعرفة السنن والآثار ج ٥ ص ٣٤٨ وكنز العمال ج ٩ ص ٧٠٣.

(٢) راجع الهامش السابق.

(٣) تهذيب الأحكام ج ٤ ص ١٣١ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ٩ ص ٥١٤ و (ط دار الإسلامية) ج ٦ ص ٣٥٩ عن أصول الكافي ج ١ ص ٥٤٢ وشرح أصول الكافي ج ٧ ص ٣٩٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ٨ ص ٦١ و ٥٨٦ و ذخيرة المعاد (ط.ق) للمحقق السبزواري ج ١ ق ٣ ص ٤٨٦.

المال إن كان للمسلمين، فلا بد من إيصاله إليهم، ولا يجوز التصرف به إلا بإذن منهم، أو العلم بصرفهم نظرهم عنه..

فإن هذه الفضلة حتى لو كانت حبة من بر، وكانت ملكاً لشخص، فلا يجوز التصرف بها لأحد بغير رضاه، مهما كانت زهيدة بنظر الناس، فإن ذلك لا يخرجها عن ملكيته، ولا يسقط أحكام الملك عنها. وإن كانت غير قابلة للبيع، ولا يبذل العقلاء بإزائها مالا.

رابعاً: إن عمر قد اعتبر هذه المشورة يداً لعلي «عليه السلام» عنده، يستحق عليها المكافأة، لأنها تؤدي إلى حفظ ماء وجهه، وتأكيد التزامه في موضوع الأموال بالحدود الشرعية التي تعطيه صفة الزاهد والعاذل..

كما أن عمر قد أقر بأن لعلي «عليه السلام» أيادٍ عنده لم يجزه بها، مما يعني: أن علياً «عليه السلام» لم يكن يتعامل معه على أساس أنه يريد أن يمكر به، وأن يظهر أخطائه، وأن يفضحه بين الناس في علمه أو في تقواه، أو في أي شأن من الشؤون، بل كان «عليه السلام» يريد حفظ الشريعة وحفظ حقوق الناس^(١).

لماذا هند دون ذي الرقعتين؟!:

قال ابن أبي الحديد: «روى الطبري أيضاً: أن هنداً بنت عتبة بن ربيعة

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٦٣ و ٣٦٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ١٨٥

وشرح الأخبار ج ٢ ص ٣٠٩ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ٢٣٠ وعجائب أحكام

أمير المؤمنين «عليه السلام» ص ٨.

قامت إلى عمر، فسألته أن يقرضها من بيت المال أربعة آلاف درهم، تتجر فيها وتضمنها.

فخرجت بها إلى بلاد كلب، فباعت واشترت الخ..»^(١).
ونقول:

١ - ليت عمر أقرض ذا الرقعتين ألفاً واحداً - وليس أربعة آلاف - ليتجر بها، وليشتري لنفسه كسوة تحجب عريه وفقره عن الناس، وليكن ذلك من ماله أو من بيت المال.

٢ - ليت عمر أعطى ذا الرقعتين من ماله مئة درهم، كما أعطى قريبه ألفاً هبة منه.

٣ - وهل كانت هند بحاجة إلى هذه الأموال، وإلى هذه التجارات؟!

٤ - لماذا لا يعطيها زوجها وأبنائها، ولا سيبها معاوية الذي كان عمر يشاطر عماله ويحاسبهم دونه؟!

٥ - هل كان عمر يقرض جميع المسلمين من بيت المال، كما أقرض هنداً؟!

وهل؟! وهل؟!

وقد اعتذر عثمان عن إعطائه الأموال لأقاربه وأهل بيته بقوله: «إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان من بني هاشم، فحبا أهله، ووصلهم،

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٩٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٨٧

وتاريخ مدينة دمشق ج ٧٠ ص ١٨٥.

وجعل لهم الخمس نصيباً، ووفره عليهم، ونحلهم صفو الأموال، وأغناهم عن السؤال.

وإن أبا بكر حبا أهله وخصهم بما شاء من المال.

وإن عمر حبا بني عدي، واصطفاهم، وخصهم بالإكرام والإعظام، وأعطاهم ما شاء من المال.

وإن بني أمية وعبد شمس أهلي وخاصتي، وأنا أخصهم بما شئت من المال الخ..»^(١).

ولكننا لا يمكن أن نوافق عثمان على مساواته بين عطايا النبي «صلى الله عليه وآله» لأهل بيته، وبين عطايا أبي بكر وعمر لبني تيم وعدي.. فإن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يطبق أحكام الله، وينفذ شريعته. فإن حكم الخمس لذوي القربى تشريع إلهي، ونص قرآني، كما أن ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب يكون خاصاً للرسول «صلى الله عليه وآله»، وله أن يعطيه لمن يشاء بخلاف عطايا أولئك لقومهم، فإنه يعطيهم ما لا

(١) الجمل للمفيد ص ١٨٣ و ١٨٤ وأشار في هامشه إلى المصادر التالية: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٦٤ وأنساب الأشراف ق ٤ ج ١ ص ٥١٢ و ٥١٤ و ٥٣٨ و ٥٨٠ وأمالي المفيد ص ٧٠ و ٧١ والشافي ج ٤ ص ٢٧٢ - ٢٧٩ وتلخيص الشافي ج ٤ ص ٩٧ و ٩٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٣ ص ٣٣ - ٣٩ والرياض النضرة المجلد الثاني ص ٧٣ والتمهيد والبيان ص ١٦٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ص ٤٣٢ والبداية والنهاية ج ٧ ص ١٥٢.

حق لهم فيه، بل يكون حقهم فيه كحق غيرهم من المسلمين كما هو ظاهر..

بساط كسرى:

وفي السنة السادسة عشرة جيء إلى عمر ببساط كسرى، فاستشار عمر الناس في البساط. فاختلفت آراؤهم.

فقام علي حين رأى عمر يأبى حتى انتهى إليه، فقال: لم تجعل علمك جهلاً، ويقينك شكاً؟! إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت فأمضيت، أو لبست فأبلت، أو أكلت فأفنت.

قال: صدقتني.

فقطعه، فقسمه بين الناس، فأصاب علياً قطعة منه، فباعها بعشرين ألفاً. وما هي بأجود تلك القطع^(١).

ونقول:

تضمنت هذه الرواية ما يلي:

أولاً: إن علياً «عليه السلام» يتهم عمر بأنه يجعل علمه جهلاً، ويقينه شكاً. وهذا أمر لا يُقبل ممن يضع نفسه في موقع المعلم، والمربي، والأمين على الحق والدين.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٢٢ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ١٣٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥١٨ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٧٨ وفتح الشام للواقدي ج ٢ ص ٢٠٧.

ثانياً: لعل علياً «عليه السلام» أحسّ أن عمر كان يريد أن يكون بساط كسرى للخليفة باعتباره الرجل الأول، كما كان كسرى هو الرجل الأول في قومه.

كما أنه لا يمكن إعطاء البساط لفرد آخر بعينه، لأن قيمته تفوق حد التصور، ولا مبرر لإعطاء هذا المقدار لأحد من الناس كائناً من كان. ومن جهة ثالثة: لعل عمر رأى أن تقطيع البساط سوف ينقص من قيمته، أو يضيع بعض جهات القيمة فيه، مما يكون من مظاهر البساط ومعاله في حالته العادية.

ويدل على صحة الإحتمال القاتل بأن عمر كان يريد البساط لنفسه قول علي «عليه السلام» ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيت، فأمضيت، أو لبست فأبليت، أو أكلت فأفانيت.

والفقرة الأولى ليس محلها هذا المورد، فإن عمر لا يعطيهم من مال نفسه، ليكون ذلك هو نصيبه من دنياه.. فظهر أن الفقرة الثانية هي التي تنطبق عليه بنحو أو بآخر.

الباب السابع:

من سياسات عمر..

الفصل الأول:

الدواوين في عهد عمر..

علي عليه السلام وتدوين الدواوين:

قال الواقدي: في سنة عشرين دون عمر الدواوين^(١).

وقيل: لما أراد عمر وضع الديوان في السنة الخامسة عشرة قال له علي وعبد الرحمن بن عوف: ابدأ بنفسك.

قال: لا، بل أبدأ برسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض للعباس، وبدا به، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف الخ..^(٢).

وعن جبير بن الحويرث: أن عمر بن الخطاب استشار المسلمين في تدوين الدواوين، فقال له علي بن أبي طالب: تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال، فلا تمسك منه شيئاً.

وقال عثمان بن عفان: أرى مالاً كثيراً يسع الناس، وإن لم يحصوا حتى

(١) نور الأبصار (ط سنة ١٣٢١هـ) ص ٥٤ والبداية والنهاية ج ٧ ص ١١٥.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٦١٤ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ١٠٩ والكمال في التاريخ ج ٢ ص ٥٠٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٦٢١ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ١٠٦ وراجع: كنز العمال ج ٤ ص ٥٧٤ وفتوح البلدان للبلاذري ج ٣ ص ٥٥٦.

تعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر.

فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة: يا أمير المؤمنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديواناً، وجندوا جنداً؛ فدوّن ديواناً وجند جنداً.
فأخذ بقوله، فدعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم. وكانوا من نساب قريش، فقال: اكتبوا الناس على منازلهم، فكتبوا، فبدأوا ببني هاشم، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم عمر وقومه على الخلافة.
فلما نظر فيه عمر قال: لوددت والله أنه هكذا. ولكن ابدأوا بقرابة رسول الله «صلى الله عليه وآله» الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله^(١).

قال العلايلي: «كان العمل زمن النبي «صلى الله عليه وآله» وأبي بكر جارياً على التسوية العامة، إلا أن عمر رأى - وخالفه علي - ألا يجعل من قاتل رسول الله، كمن قاتل معه، فجعل الامتياز بحسب السابقة، فالذي قاتل يوم بدر يفضل على من قاتل في فتوح العراق والشام».

ومن هنا حدث التفاوت الملموس في الأعطيات، وتشكل في طبقات ومراتب، فطائفة تأخذ عطاء كبيراً، وأخرى عطاء متوسطاً. والأكثرية

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٠٩ و ٢١٠ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ٢٧٨ و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٩٤ و كنز العمال ج ٤ ص ٥٦٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢٩٥ و فتوح البلدان ج ٣ ص ٥٤٩.

يأخذون عطاء ضئيلاً الخ..»^(١).

ونقول:

إن كلام العلابي غير دقيق، ولا صحيح، فإن التمييز في العطاء كان قائماً على أمور أخرى باطلة، لم يكن يمكن لعلي «عليه السلام» القبول بها..
وبيان ذلك يحتاج أولاً إلى الاملاح إلى حقيقة ما جرى، وهو كما يلي:

تفاصيل ديوان عمر:

قالوا: فرض لأهل بدر من المهاجرين، وقريش، والعرب، والموالي خمسة آلاف درهم^(٢).

وفرض لبني هاشم، والحسن، والحسين لكل واحد منهم خمسة آلاف درهم^(٣).

(١) الإمام الحسين للعلابي ص ٢٣٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢١٩ و (ط دار صادر) ج ٣ ص ٣٠٤.

وراجع: المغني لابن قدامة ج ٧ ص ٣١٠ وكشاف القناع للبهوتي ج ٣ ص ١١٦

وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٤٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٢١٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٥٩ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٤١ والسنن الكبرى

ج ٦ ص ٣٥٠ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٤ وشرح معاني الآثار ج ٣ ص ٣٠٥

وتاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ٢٣٨ وج ١٤ ص ١٧٦ وتهذيب الكمال ج ٦

ص ٢٣٢ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص ١٣٥ وترجمة الإمام الحسين

لابن عساكر ص ٢٠٥ وترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص ٦١ =

وللعباس بن عبد المطلب (اثني عشر ألفاً^(١))، ولمن شهد بدرًا من المهاجرين والأنصار خمسة آلاف درهم.

(وقيل: لأهل بدر من الأنصار أربعة آلاف^(٢)).

وللأنصار ومواليهم، ولمن شهد أحداً أربعة آلاف درهم.

ولعمر بن أبي سلمة، ولأسامة بن زيد أربعة آلاف درهم.

(وقيل: فرض لأسامة خمسة آلاف^(٣)).

ولمن هاجر قبل الفتح، ولعبد الله بن عمر ثلاثة آلاف درهم.

واعترض ابن عمر لزيادة أسامة بن زيد عليه، فقال عمر: زدته لأنه

كان أحب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منك. وكان أبوه أحب إلى

= وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص ٣٠.

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٣٧٧ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٤ وشرح معاني

الآثار ج ٣ ص ٣٠٥ وتاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ١١٠.

(٢) المغني لابن قدامة ج ٧ ص ٣١٠ والشرح الكبير لابن قدامة ج ١٠ ص ٥٥٢

وكشاف القناع للبهوتي ج ٣ ص ١١٦ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٤٦ وشرح نهج

البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٢١٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢١٩.

(٣) المجموع للنووي ج ١٨ ص ٣٤ وفيض القدير ج ١ ص ٦١٨ وأسد الغابة ج ١

ص ٦٥ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦١٧

والإستيعاب ج ١ ص ٧٦.

رسول الله من أبيك^(١).

وفرض لصفية بنت عبد المطلب (عمة رسول الله «صلى الله عليه وآله») ستة آلاف درهم. ولأهل بدر والمهاجرين ستة آلاف درهم. وفرض لأزواج النبي «صلى الله عليه وآله»، فضل عليهن عائشة، ففرض لها اثني عشر ألف درهم، ولسائرهن عشرة آلاف، عشرة آلاف غير جويرية، وصفية فرض لهما ستة آلاف^(٢).

وفرض لأبناء البدرين، ولمسلمة الفتح لكل رجل منهم ألفي درهم. وفرض لأسماء بنت عميس، ولأم كلثوم بنت عقبة، ولأم عبد الله بن مسعود ألف درهم.

وفرض للمنفوس^(٣) واللقيط مئة درهم، وفرض للمتعرع مائتي

(١) ذكر أخبار إصبهان ج ٢ ص ٢٩٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢٩٧

وفتوح البلدان للبلاذري ج ٣ ص ٥٥١ وراجع: الإيضاح لابن شاذان ص ٢٥٣

والإستذكار لابن عبد البر ج ٣ ص ٢٤٨ والعثمانية للجاحظ ص ٢١٦.

(٢) مسند ابن راهويه ج ٢ ص ٢٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٢١٤

وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٢٨٢ وفتوح البلدان للبلاذري ج ٣ ص ٥٥٦ و ٥٥٧

وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ١٠٩ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥٠٣ والسنن

الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٧٢.

(٣) والمراد بالمنفوس الممولود - والمتعرع هو الولد الذي نشأ وشبّ.

درهم^(١).

ومهما يكن من أمر، فإن تفضيله العرب على العجم في العطاء أمر معروف ومشهور^(٢). فإنه كتب الناس على قدر أنسابهم، فلما انقضت العرب ذكر العجم^(٣).

قال ابن شاذان: «فلم تزل العصبية ثابتة في الناس منذ ذلك إلى يومنا هذا»^(٤).

المعيار في هذا الديوان:

فاتضح من هذا العرض: أن المعيار لم يكن هو السابقة، فإن تفضيل أسامة على ابن عمر لم يكن لأجل سابقته. وكذلك الحال بالنسبة لتأخير بعض نساء النبي، وتقديم بعضهن ولا سيما عائشة..

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢١٩ و (ط دار صادر) ج ٣ ص ٣٠٤.
 (٢) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٨ ص ١١١ والغارات للثقفى ج ٢ ص ٨٢٤ و ٨٢٨ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٣٥ وج ٣٣ ص ٢٦٢ والعثمانية للجاحظ ص ٢١١ و ٢١٩ والإستغاثة لأبي القاسم الكوفي ج ١ ص ٤٥ ونفس الرحمن في فضائل سلمان للطبرسي ص ٥٦٨ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج ٢ ص ٦٤ وشرح إحقاق الحق (المحقات) ج ٣٢ ص ١٦٤ وبناء المقالة الفاطمية لابن طاووس ص ٤٠٠ وكتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص ٢٨٢.

(٣) إقتضاء الصراط المستقيم ص ١٥٩.

(٤) الإيضاح لابن شاذان ص ٢٥٢.

كما أن تقديم المهاجرين على الأنصار، بصورة مطلقة لم يكن في محله، فإن بعض المهاجرين لم يكن له سابقة على كثير من الأنصار.

وكذلك الحال بالنسبة لإحاقة العباس بن عبد المطلب بأهل بدر..

كما لا وجه لتقديم أبي بكر وقومه، ثم عمر وقومه كما هو الحال في الخلافة.

إلى غير ذلك مما يدل على أن المعيار عنده كان أموراً مختلفة، وغير متسقة، وكلها تفوح منها رائحة العصبية والعشائريات، والسياسات الهادفة إلى تكريس هيمنة فئة على أخرى، وعرق على آخر..

ولنفترض: أن عمر قد لاحظ معايير العدل والإنصاف في ديوانه هذا.

غير أننا نقول حينئذٍ:

إن المعيار، إن كان هو الحاجة، فالعدل يقتضي: أن ينظر إلى الناس بحسب ما يحفظ لهم حياتهم، ويسدّ خلتهم في ضروريات حياتهم، وذلك يقتضي توحيد العطاء، بسبب وحدة مناشئهم وموجباته..

وإن كان المعيار هو العمل والجهد كما يظهر من مشورة الوليد بن هشام، فلا بد أن ينظر إليهم، بحسب العمل المطلوب منهم إنجازهم ويعطى بحسبه، وأن لا ينظر إلى عرق العامل أو عشيرته، أو غير ذلك..

وإن كان المعيار هو الموقع والوظيفة، واعتبارهم مجرد جند للإسلام، يدافعون عنه، ويحفظونه من أعدائه ومناوئيه، فهذا يقتضي توحيد العطاء للجميع، لوحدة المطلوب، وانبساطه عليهم بصورة متساوية، فالكل متأهب ومنتظر لما يطلب منه في هذا السبيل، فلماذا التمييز، في العطاء مع وحدة موجبه ومنشأه؟! إلا إن كان هناك قادة لهم مسؤولياتهم ومكائنتهم

التي تقتضي زيادة تناسب ذلك.

وذلك كله يجعلنا نرفض الرواية التي تقول: إن علياً «عليه السلام» هو الذي أشار على عمر بالديوان، وأن يبدأ فيه بنفسه.

والصحيح هو: الرواية الأخرى التي صرحت بأن علياً أمره بأن يقسم كل سنة ما اجتمع إليه، فلا يمسك منه شيئاً.. ومن دون أي تمييز بين الناس. إلا فيما تفرضه ضرورات الحياة ومتطلباتها..

فإن هذا هو نفس ما كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يفعله، وهو موافق للعقل، والشرع، والدين..

ولكن عمر ترك قول علي «عليه السلام» هذا الحاكي لفعل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأخذ بالسنة التي ابتدعتها ملوك الدنيا، الذين لا يراعون العدل، والشرع، في قراراتهم، بل المعيار عندهم هو أهواؤهم ومصالحهم، وحساباتهم الدنيوية.

ومما يدل على أن الميزان عند عمر هو العرق وتقوية فئة على أخرى، وغير ذلك.. وليس هو الدين والإسلام: أنه حين أعطي جويزيه ستة آلاف، وأعطى عائشة اثني عشر ألفاً قال: «لا أجعل سبية كابنة أبي بكر الصديق»^(١).

ولا ندري إن كان إسقاط سهم أهل البيت «عليه السلام» من الخمس، واستلاب فدك من الزهراء «عليها السلام»، كان يجري على قاعدة التمييز

(١) راجع: أنساب الأشراف ج ١ ص ٤٤٢.

العنصري المشار إليها؟! أم أن هناك معايير أخرى فرضت هذه السياسة على خصوص بني هاشم؟!

سواد العراق فيء، وليس غنيمة:

وقالوا: إنه بعد حرب القادسية، وافتتاح الشام قال عمر للناس: اجتمعوا، فأحضروني علمكم فيما أفاء الله على أهل القادسية وأهل الشام. فاجتمع رأي عمر وعلي على أن يأخذوا من قبل القرآن، فقالوا: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾^(١) أي إلى الله وإلى الرسول، من الله الأمر، وعلى الرسول القسم..

فأخذوا الأربعة أخماس على ما قسم عليه الخمس في من بدأ به، وثنى وثلث، وأربعة أخماس لمن أفاء الله عليهم المغنم، ثم استشهدوا على ذلك أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾^(٢) فقسم إلى الأخماس على ذلك.

واجتمع على ذلك عمر وعلي، وعمل به المسلمون بعده^(٣).

(١) الآية ٧ من سورة الحشر.

(٢) الآية ٤١ من سورة الأنفال.

(٣) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٦١٧ و ٦١٨ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ١١٢ والمواعظ والإعتبار للخطيب القزويني.

ونقول:

١ - الغنيمة هي ما حصل بقتال. والفيء هو ما نيل منهم من دون حرب.. وقد حكم الله تعالى في آيات سورة الحشر: أن الفيء لا يعطى منه أحد من المسلمين، بل هو لرسول الله «صلى الله عليه وآله». ثم دل الله رسوله على مواضع صرفه، وهي التالية:

منه ما يختص بالله، فيصرف وينفق في سبيل الله.

ومنه ما يأخذه الرسول لنفسه.

ومنه ما يعطى لقرابة رسول اله «صلى الله عليه وآله».

ومنه ما يعطى للفقراء والمساكين، وأبناء السبيل من قرابته «صلى الله عليه وآله» أيضاً، كما يشعر به سياق الآية، وهو المروي عن أهل البيت «عليهم السلام» أيضاً.

٢ - لا معنى لقوله في النص المتقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ أي لله الأمر، ومن الله القسم، فإن هذا يخالف ظاهر الآية، فإن ظاهرها أنه ملك لله وملك للرسول «صلى الله عليه وآله».

كما لا معنى لقولهم: إن ذكره تعالى في الآية جاء للتبرك بإسمه جل وعلا، فإنه خلاف الظاهر أيضاً.

٣ - وزعموا: أن عمر عمل في سواد العراق بما تضمنته الآية الشريفة، فاعتبرها عامة للمسلمين، محتجاً بها على الزبير، وبلال، وسلمان الفارسي، وغيرهم، حين طلبوا منه قسمة السواء على الغانمين بعقاره وعلوجه. ووافقهم على ما أراد علي وعثمان وطلحة، بل وافقه الذين خالفوه أولاً، بعد

أن قال في خطبته: اللهم اكفني بلائاً وأصحابه^(١).

ونقول:

إن قولهم هذا لا يمكن قبوله لعدة جهات:

فأولاً: إن المشهور في كتب المغازي: أن السواد فتح عنوة، وهو يقتضي كونه غنيمة فيقسم على الغانمين^(٢).

(١) راجع: روح المعاني ج ٢٨ ص ٤٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣١٨ وج ٩ ص ١٣٨ والمجموع للنووي ج ١٩ ص ٤٥٦ والمبسوط للسرخسي ج ١٠ ص ١٦ والمغني لابن قدامة ج ٢ ص ٥٨٠ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٦٣ وكشاف القناع ج ٣ ص ١٠٧ والشرح الكبير لابن قدامة ج ١٠ ص ٥٣٩ وعون المعبود ج ٨ ص ١٩٧ ومعرفة السنن والآثار ج ٧ ص ٩٠ وكنز العمال ج ٤ ص ٥١٦ وتفسير الألوسي ج ٢٨ ص ٤٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٩٦ و ١٩٧.

(٢) راجع: روح المعاني ج ٢٨ ص ٤٠ وتفسير الألوسي ج ٢٨ ص ٤٦ ونصب الراية ج ٤ ص ٣١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٩١ و ١٩٧ وعون المعبود ج ٨ ص ١٩٦ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج ٢ ص ١٣٠ وتاريخ بغداد ج ١ ص ٣٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٢٨٧ والمعارف لابن قتيبة ص ٥٦٩ ومعجم البلدان ج ١ ص ٤١ و ٤٢ و ٤٤ وج ٣ ص ٢٧٥ وفتوح البلدان ج ٢ ص ٣٢٦ و ٣٢٩ و ٤٧٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٥٧٦ وج ٣ ص ٨٧ و ٨٨ و ١٣٩ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٣٨٥ ومعجم ما استعجم للأندلسي ج ١ ص ٢٢٣.

وادعاء أن عمر استطاب قلوب الغانمين حتى تركوا حقهم، يحتاج إلى إثبات. إلا أن يكون قد قرر هو ذلك، انطلاقاً من سياسته القاضية بأنه لا رق على عربي.

ثانياً: كيف يوافق علي «عليه السلام» على ذلك، والحال أنه يخالف نص الآية المباركة التي تصرح بأن الفيء لرسول الله «صلى الله عليه وآله» خاصة، ثم بينت له «صلى الله عليه وآله» مصارفه.

وأما إعطاء الفقراء المهاجرين من الفيء فلا ينافي ما ذكرناه في معنى الآية، لأن المراد هو بيان المصدق لما يصرف في سبيل الله (المشار إليه بقوله: ﴿فَلِلَّهِ﴾).

فإعطاء المهاجرين إنما هو من حيث كونه صرفاً له في سبيل الله..

ويدل على ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» في فيء بني النضير، أعطى فقراء المهاجرين، وثلاثة فقراء من الأنصار هم: أبو دجانة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمة^(١).

(١) راجع: عون المعبود ج ٨ ص ١٣٢ - ١٣٣ وتخرج الأحاديث والآثار ج ٣ ص ٤٤١ و ٤٤٢ وجوامع الجامع ج ٣ ص ٥٣٥ ومجمع البيان ج ٩ ص ٤٣١ والميزان ج ١٩ ص ٢٠٥ وتفسير الثعلبي ج ٩ ص ٢٧٢ وتفسير السمعاني ج ٥ ص ٤٠٠ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٣١٦ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٥٤٥ وج ٤ ص ٢١٣ وزاد المسير ج ٧ ص ٣٣٦ والتفسير الكبير للرازي ج ٢٩ ص ٢٨٥ والجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١١ والبحر المحيط ج ٨ ص ٢٤٤ وتفسير أبي السعود ج ٨ =

فإن هذا يشير إلى أنه «صلى الله عليه وآله» قد صرفه فيهم، من حيث أنه في سبيل الله، لا بما أنهم شركاء في الفيء.

ثالثاً: إن شخصية بلال ومقامه لا تصل إلى شخصية وموقع الزبير بين المسلمين، فكيف بسلامن. فلماذا خص عمر دعاءه ببلال، وجعل سلمان والزبير أصحاباً له.

رابعاً: لماذا حصر الرواي الموافقين لعمر بثلاثة، وهم علي، وعثمان، وطلحة؟! وأين كان سائر الصحابة الكبار الذين لا يمكن تجاهل مواقفهم؟! فإن فيهم من هو أهم من بلال، فهل كانوا مؤيدين أو معارضين، أو كانوا لا رأي لهم؟!!

٤- إن من المعلوم لدى كل أحد: أن سياسة عمر القاضية بحرمان أهل البيت من الفيء والخمس، وسهم ذوي القربى كانت حاسمة، فهل عد علي «عليه السلام» موافقاً لعمر في ذلك يراد به تبرئة عمر من تبعات هذه السياسة؟!!

منع بني هاشم من سهم ذوي القربى:

ويدل على أن عمر قد منع بني هاشم من سهم ذوي القربى: أن نجدة الحروري كتب إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذوي القربى وأشياء أخرى.

= ص ٢٢٩ وتفسير الألوسي ج ٢٨ ص ٤٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٢ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٦٩ والروض الأنف ج ٣ ص ٢٥١ عن غير ابن إسحاق، وبهجة المحافل ج ١ ص ٢١٦.

فكتب إليه ابن عباس: «تسألني عن سهم ذوي القربى الذي ذكره الله عز وجل من هم؟! وإنا كنا نرى أن قرابة رسول الله «صلى الله عليه وآله» هم نحن، فأبى ذلك علينا قومنا»^(١).

وقال المعتزلي نقلاً عن النقيب أبي جعفر: قد أطبقت الصحابة إطباقاً واحداً على ترك كثير من النصوص لما رأوا المصلحة في ذلك، كإسقاطهم سهم ذوي القربى، وإسقاط سهم المؤلفلة قلوبهم^(٢).

(١) مسند أحمد ج ١ ص ٢٤٨ و ٢٩٤ و ٣٠٨ وسنن الدارمي ج ٢ ص ٢٢٥ والنص والإجتهد ص ٥٢ والسنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٤٨٤ وشرح معاني الآثار ج ٣ ص ٢٣٥ و ٢٣٨ و ٣٠٤ والمعجم الأوسط للطبراني ج ٧ ص ٥٥ ومعرفة السنن والآثار ج ٦ ص ٤٩٩ والإستذكار ج ٥ ص ٨٣ وجامع البيان ج ١٠ ص ٩ والميزان ج ٩ ص ١٠٤ وتفسير الثعلبي ج ٤ ص ٣٥٨ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٢٥ والدر المنثور ج ٣ ص ١٨٦ وفتح القدير ج ٢ ص ٣١٢ وأضواء البيان ج ٢ ص ٦٣ وتهذيب الكمال ج ٢٧ ص ٣١٧ والفصول المهمة للسيد شرف الدين ص ٩٠ وراجع: صحيح مسلم ج ٥ ص ١٩٨ وكتاب الأم للشافعي ج ٤ ص ١٦٠ و ٢٧٢ والمغني لابن قدامة ج ٧ ص ٣٠١ والمحلى لابن حزم ج ٧ ص ٣٢٩ والشرح الكبير لابن قدامة ج ١٠ ص ٤٩٤ والمبسوط للسرخسي ج ١٠ ص ١١ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣٤٥ وج ٩ ص ٢٢ و ٥٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٦٩٩ و ٧٠٠ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٢ ص ٦٤٨.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٨٣.

منع بني هاشم من الفيء:

وجاء في خصومة علي «عليه السلام» والعباس عند عمر تصريح عمر في فيء بني النضير: بأن أبا بكر وعمر قررا أن يعطيا من الفيء نفقة أهل النبي سنتهم، ثم يجعلان الباقي في بيت المال. فراجع (١).

منع بني هاشم من الخمس:

وأما منع عمر بني هاشم من الخمس، فقد كان هو الآخر من موارد أسئلة نجدة الحروري لابن عباس، فأجابه بقوله: «هو لنا وأبى علينا قومنا ذلك» (٢).

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ١١٣-١١٥ (ط كتاب الشعب) وج ٥ ص ٨٨ وج ٩ ص ١٢٢ و (ط دار الفكر) ج ٨ ص ١٤٦-١٤٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٢٩٨-٢٩٩ وعمدة القاري ج ٢٥ ص ٤١-٤٢.

(٢) مسند أحمد ج ١ ص ٢٢٤ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٩٧ والسنن الكبرى ج ٩ ص ٢٢ وشرح مسلم للنووي ج ١٢ ص ١٩١ والمعجم الكبير ج ١٠ ص ٣٣٦ و ٣٣٧ ومعرفة السنن والآثار ج ٦ ص ٤٩٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٢١٢ وحلية الأولياء ج ٣ ص ٢٠٥ والطرائف لابن طاووس ص ٢٦١ والخصال للصدوق ص ٢٣٥ ومستدرك الوسائل ج ٧ ص ٢٨٨ وغوالي اللائي ج ٢ ص ٧٦ وبحار الأنوار ج ٩٣ ص ١٩٨ و ٢٠٠ وج ٩٧ ص ٣١ وج ١٠٠ ص ١٦١ وجامع أحاديث الشيعة ج ٨ ص ٥٧١ وتفسير العياشي ج ٢ ص ٦١ ومجمع البيان ج ٤ ص ٤٧٠ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٥٩ ونهج الحق وكشف الصدق ص ٣٦١.

الفصل الثاني:

الدفاع عن السنة النبوية..

علي عليه السلام والسنة: بداية وتوطئة:

لا شك في أن قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفعله وتقريره حجة على الأحكام، وعلى السياسات والأخلاق، والإعتقادات التي لا سبيل لمعرفة إلا النقل والمفاهيم، والقيم و.. و.. إلخ..

وروي عنه «صلى الله عليه وآله» أنه قال: أوتيت القرآن ومثله معه^(١).

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

فكان لا بد للناس من أن يتداولوا هذه الحكمة، وتلك الأقوال

(١) راجع: نيل الأوطار ج ٨ ص ٢٧٨ ومسند أحمد ج ٤ ص ١٣١ وتحفة الأحوذى ج ٥ ص ٣٢٤ ومسند الشاميين ج ٢ ص ١٣٧ وكشف الخفاء ج ٢ ص ٤٢٣ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤ والبرهان للزركشي ج ٢ ص ١٧٦ والإتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٤٦٧ وفتح القدير ج ٢ ص ١١٨ وج ٣ ص ١٨٧ ولسان الميزان ج ١ ص ٣ ومنهاج الكرامة ص ١٩.

(٢) الآية ٢ من سورة الجمعة.

والأفعال، وأن ينقلوها إلى غيرهم..

وقد صدرت الأوامر الكثيرة للناس منه وعنه «صلى الله عليه وآله»، بأن يكتبوا أقواله وأفعاله، وسيرته وسياساته، وغير ذلك^(١).

(١) راجع على سبيل المثال لا الحصر ما يلي: جامع بيان العلم ج ١ ص ٧٦ و ٣٤ و ٨٥ و ٨٤ و ٧٢ و ج ٢ ص ٣٤ وكشف الأستار ج ١ ص ١٠٩ وتيسير المطالب في أمالي الإمام أبي طالب ص ٤٤ والغدير ج ٨ ص ١٥٤ وتحفة الأحوزي (المقدمة) ج ١ ص ٣٤ و ٣٥ ومروج الذهب ج ٢ ص ٢٩٤ والبحار ج ٢ ص ١٤٤ و ١٥٢ و ٤٧ و ج ٧١ ص ١٣٩ و ١٣٠ والبداية والنهاية ج ١ ص ٦ و ج ٥ ص ١٩٤ وتقييد العلم ص ٦٥ - ٧٠ و ٧٢ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٨ و ٨٩ وميزان الاعتدال ج ١ ص ٦٥٣ ولسان الميزان ج ٢ ص ٢٩٨ و ج ٤ ص ٢١ و ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٣ ووفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٨٧ ومسند أحمد ج ١ ص ١٠٠ و ٢٣٨ و ج ٢ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ و ٤٠٣ و ١٦٢ و ١٩٢ و ٢١٥ و ج ٤ ص ٣٣٤ و ج ٥ ص ١٨٣ والمعجم الصغير ج ١ ص ١٦٢ و ١١٤ والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٤ ص ١٠٦ وفتح الباري ج ١ ص ١٨٤ و ١٨٢ و ١٩٩ و ٢٠٣ و ٢٤٦ و ٢٤٧ والعقد الفريد ج ٢ ص ٢١٩ والبيان والتبيين ج ٢ ص ٣٨ وسنن الدارمي ج ١ ص ١٢٥ - ١٢٧ وذكر أخبار أصبهان ج ٢ ص ٢٢٨ وحسن التنبية ص ١٩٤ ومجمع الزوائد ج ١ ص ١٥١ و ١٥٢ و ١٣٩ والمنار ج ١ ص ٧٦٣ والتراتب الإدارية ج ٢ ص ٢٤٤ - ٢٤٩ و ٢٥٠ و ١٩٩ و ٢٢٥ و ٢٢٣ و ٢٢٧ و ٣١٦ و ٣١٧ والثقات ج ١ ص ١٠ وتدريب الراوي ج ٢ ص ٦٦ والأدب المفرد =

وقد امتثل الكثير الصحابة أمره، وكتبوا الكثير من أحاديثه وسننه^(١)،

= ص ١٢٩ والمصنف للصنعاني ج ١١ ص ٢٥٤ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٤٢
وتأويل مختلف الحديث ص ٩٣ وأدب الإملاء والاستملاء ص ٥ والمعارف
ص ٢٠٠ وكنز العمال ج ١٠ ص ١٥٧ ومن ص ٧٥ حتى ص ١٩٥ وج ٤
ص ١٠٠ والإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ص ١٤٥ وشرح معاني الآثار
ج ٤ ص ٣١٨ - ٣٢٠ والضعفاء الكبير للعقيلي ج ٣ ص ٨٣ وتهذيب تاريخ
دمشق ج ٧ ص ٣٧٧ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٢٦٨ و ٢٧٣ و ٤٤٢ وتاريخ
الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٣٧ وعن البخاري ج ١ ص ١٤٨ والباعث الحثيث
شرح اختصار علوم الحديث ص ١٣٢ و ١٣٣ وعلوم الحديث لأبي الصلاح
ص ١٦١ وشرف أصحاب الحديث ص ٣٥ و ١٤ - ٢٣ و ٣١ و ٨٠ وبحوث في
تاريخ السنة المشرفة ص ٢١٩ و ٢٢٠ وصحيح البخاري (ط سنة ١٣٠٩) ج ١
ص ١٥ و ١٨ و ٢٠ و ٢١.

(١) يمكن مراجعة ما تقدم في عدد من المصادر التي ذكرناها في الهامش المتقدم، ونزيد
على ذلك ما يلي: بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٢٢٢ - ٢٢٩ عن مصادر كثيرة،
وراجع: الجامع الصحيح للترمذي، كتاب الأحكام باب اليمين مع الشاهد وعلوم
الحديث ومصطلحه ص ٢٢ و ٢٣ وجامع بيان العلم ج ١ ص ٨٤ و ٧٥ وج ٢
ص ٣٤ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٣ و ٤٢ و ١٢٣.

والمحجة البيضاء ج ٥ ص ٣٠٢ والمصنف للصنعاني ج ١١ ص ١٨٣ و ٤٢٥ و ٢٥٩ وج ٨
ص ٤١ والتراتب الإدارية ج ٢ ص ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٣١٩ و ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٥٤ =

= و ٢٥٦ و ٢٦٠ - ٢٦٢ و ٢٧٧ و ٣١٢ وأدب الإملاء والاستملاء ص ١٢ - ١٨ وإحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٧١ والعلل ومعرفة الرجال ج ١ ص ١٠٤ ومجمع الزوائد ج ١ ص ١٥١ و ١٥٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ ص ٣٢٤ وج ٤ ص ٨٥ - ٩٠ ومشكل الآثار ج ١ ص ٤٠ و ٤١ والغدير ج ٨ ص ١٥٦ وبحار الأنوار ج ١٢ ص ١٥٢ وسنن الدارمي ج ١ ص ١٢٨ و ١٢٧ و ١٢٤ والمعرفة والتاريخ ج ٢ ص ٢٧٩ و ١٤٢ و ١٤٣ و ٦٦١ وربيع الأبرار ج ٣ ص ٢٣٦ وتأويل مختلف الحديث ص ٢٨٦ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٥٩٩ والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع بهامش الحلبية) ج ٣ ص ١٧٩ ولسان الميزان ج ٦ ص ٢٢ والكفاية في علم الرواية ص ٨٢ وعلوم الحديث ص ١٣ و ١٤ و ٢٥ و ٢٢ وتقييد العلم ص ٩٦ و ٦٠ - ٦٣ و ٩٠ و ٩٢ و ١٣٦ و ٣٩ و ٧٢ - ٨٩ و ٩١ و ٩٣ - ١١٥ وشرف أصحاب الحديث ص ٩٧ وتهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٣٦ وج ٧ ص ١٨٠ ومستدرك الحاكم ج ١ ص ٣٩٠ - ٣٩٨ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط صادر) ج ٥ ص ٣٧١ و ٣٦٧ و ١٧٩ وج ٢ ص ٣٧١ وج ٦ ص ٢٢٠. و (ط ليدن) ج ٤ ق ٢ ص ٨ و ٩ وج ٧ ص ١٤ و (ط مؤسسة دار التحرير) ج ٦ ص ١٧٩ و ١٧٤ والأسماء والصفات ص ٣٠ وأضواء على السنة المحمدية ص ٥٠ وصحيح البخاري (ط سنة ١٣٠٩ هـ) ج ٤ ص ١٢٤ و ١٢١ وج ١ ص ٢١ والزهد والرقائق ص ٣٥١ و ٥٤٩ وجزء نعيم بن حماد ص ١١٧ وشرح معاني الآثار ج ٤ ص ٣١٨ - ٣٢٠ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٧ ص ١٧٨ وج ٥ ص ٤٥١ و ٤٥٢ وكنز العمال ج ١٠ ص ١٤٥ و ١٧٨ و ١٨٩ والضعفاء الكبير ج ٣ ص ٨٣ و ٣١٤ ومختصر تاريخ دمشق ج ١٧ =

ومن الذين كتبوا شيئاً من ذلك أبو بكر وعمر أيضاً^(١).

المنع من الحديث ومن تدوينه:

ولكن الغريب في الأمر أنه بعد موت رسول الله «صلى الله عليه وآله» مباشرة بادر أبو بكر إلى محو ما كان قد كتبه في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٢).

فدل ذلك على أن مرحلة جديدة بدأت.. وأن ثمة سياسات خطيرة يراد انتهاجها، وإن كانت ارهاصات هذه السياسة قد بدأت في عهد رسول

= ص ١٠ وعلوم الحديث لابن الصلاح ص ١٦١ وإختصار علوم الحديث (الباعث الخيث) ص ١٣٢ و ١٣٣ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج ٢ ص ٣٩٠ وعن تاريخ المذاهب الفقهية ص ٢٤ وعن السير الخيث ص ٩.

(١) راجع: تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥ وكنز العمال ج ١٠ ص ١٧٤ عن مسند الصديق لعلماد الدين ابن كثير، عن الحاكم. والنص والاجتهاد ص ١٥١ ومكاتيب الرسول (الطبعة الأولى) ج ١ ص ٦١ وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٢٢١. وحلية الأولياء ج ١ ص ٣٣١ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٧١٠ ومسند أحمد ج ١ ص ١٦.

(٢) راجع: تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥ وكنز العمال ج ١٠ ص ١٧٤ عن مسند الصديق لعلماد الدين ابن كثير، عن الحاكم. وراجع: النص والاجتهاد ص ١٥١ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٦١ الطبعة الأولى وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٢٢١.

الله «صلى الله عليه وآله»^(١) أيضاً.

ولعل قول عمر في مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «حسبنا كتاب الله كان من هذه الإرهاصات.

أما في عهد عمر، فقد بلغت هذه السياسة ذروتها، فقد اهتم بتكريس هذا المنع إلى الحد الذي يظهر للناظر: أن هذا الأمر هو أعظم ما يشغل بال الخليفة، وأنه لا شيء يوازيه عنده في أهميته وحساسيته إلا الخلافة نفسها.

فكان يصر على منع الرواية عن النبي «صلى الله عليه وآله»، والمنع من كتابتها، ويراقب، ويعاقب، ويضرب، ويتخذ الإجراءات، ويعلم القرارات، ويوصي بذلك ولاته وبعوثه وجيوشه، ويشيخهم أميالاً بهذه الوصايا، ويتهدد من يتجاوز أو امره هذه بالطرد والنفي، بعد ما ينزله به من الإهانة والضرب^(٢)

(١) راجع: تيسير المطالب في أمالي الإمام أبي طالب ص ٤٤ و تقييد العلم ص ٨٠ وانظر ص ٧٤ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٢ و تحفة الأحوذى ج ١ ص ٣٥ (من المقدمة) و سنن الدارمي ج ١ ص ١٢٥ و سنن أبي داود ج ٣ ص ٣١٨ و مسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ١٦٢ و ١٩٢ و نقله في هامش تقييد العلم ص ٨١ عن المصادر التالية: المحدث الفاصل ج ٤ ص ٢ و عن الإلماع ص ٢٦ و عن جامع بيان العلم ج ١ ص ٧١ و عن معالم سنن أبي داود ج ٤ ص ١٨٤ و تيسير الوصول ج ٣ ص ١٧٦ و حسن التنبيه ص ٩٣ و راجع: المستدرک ج ١ ص ١٠٤ و ١٠٥ و بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٢١٨.

(٢) راجع: البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ١ ص ٤٨٠ و غريب الحديث لابن =

ويسومه الذل والهوان .

ثم بقي شهراً يجمع ما كتبه الصحابة عن النبي «صلى الله عليه وآله» بحجة أنه يريد أن يؤلف منها كتاباً واحداً، جامعاً، يرجعون إليه، حتى لا تدرس سنة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

= سلام ج ٤ ص ٤٩ و حياة الشعر في الكوفة ص ٢٥٣ والغدير ج ٦ ص ٢٩٤ و ٢٦٣ والأم ج ٧ ص ٣٠٨ وفيه قال قرظة: لا أحدث حديثاً عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبداً. وراجع: سنن الدارمي ج ١ ص ٨٥ وسنن ابن ماجه ج ١ ص ١٦ ومستدرک الحاكم ج ١ ص ١٠٢ وجامع بيان العلم ج ٢ ص ١٢٠ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣ وشرح النهج للمعتزلي ج ٣ ص ١٢٠ وكنز العمال ج ٢ ص ٨٣ والحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» ص ٧٨ و ٧٩ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٢٥٧ و ٢٥٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦ ص ٧. وراجع أيضاً: أضواء على السنة المحمدية وشيخ المضيرة، والسنة قبل التدوين، وأبو هريرة للسيد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله، وراجع: بحوث مع أهل السنة والسلفية، وأي كتاب يبحث حول أبي هريرة أو يترجم له. وراجع أيضاً: الكنى والألقاب ج ١ ص ١٨٠ وقواعد في علوم الحديث ص ٤٥٤ وشرف أصحاب الحديث ص ٨٨ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ١٢٣ وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٨٨ والمجروحون ج ١ ص ١٢ وحديث طلب البيعة من المغيرة أو أبي موسى الأشعري موجود في كتاب الاستئذان في مختلف كتب الحديث تقريباً فلا حاجة إلى تعداد مصادره.

ثم أمر بإحراق جميع ما اجتمع لديه، وأمر من كان عنده شيء من هذه الصحائف فليمححه^(١).

(١) راجع ما تقدم، كلاً أو بعضاً في المصادر التالية: سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٦٠١ و ٦٠٢ ومختصر جامع بيان العلم ص ٣٣ وجامع بيان العلم ج ١ ص ٧٧ وتقييد العلم للخطيب ص ٤٩ - ٥٣ وإحراقه للحديث ص ٥٢ وكتابه إلى الأمصار في ص ٥٣ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صادر) ج ٥ ص ١٨٨ وج ٦ ص ٧ وج ٣ ص ٢٨٧ وتدريب الراوي ج ٢ ص ٦٧ عن البيهقي، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢ و ٧ و ٨ وغريب الحديث لابن سلام ج ٤ ص ٤٩ والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٠٧ والغدير ج ٦ ص ٢٩٥ وغير ذلك من صفحات هذا الجزء وتاريخ الخلفاء ص ١٣٨ ومستدرك الحاكم ج ١ ص ١٠٢ وتلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامشه) نفس الجزء والصفحة، وسنن الدارمي ج ١ ص ٨٥ والمصنف للصنعاني ج ١١ ص ٢٥٧ - ٢٥٨ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٢٥٧ و ٢٥٨ والضعفاء الكبير ج ١ ص ٩ و ١٠ وراجع: كنز العمال ج ١٠ ص ١٨٣ و ١٧٩ و ١٨٠ عن ابن عبد البر، وأبي خيثمة، وابن عساکر، وابن سعد. وسنن ابن ماجة ج ١ ص ١٢ والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٣٦٩ عن البخاري في كتاب البيوع، وراجع: فقه السيرة للغزالي ص ٤٠ و ٤١ عن البخاري ومسلم، وعن أبي داود، والإستيعاب. والتراتب الإدارية ج ٢ ص ٢٤٨ وأضواء على السنة المحمدية والحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» ص ٧٨ و ٧٩ عن مصادر كثيرة. وحيث إن مصادر ذلك كثيرة جداً فإننا نكتفي بها ذكرناه.

ثم إنه حسب كبار الصحابة في المدينة، وقرر أن لا يفارقوه ما عاش، فبقوا فيها إلى أن مات.. وذلك بعد أن طالبهم بما أفشوه من حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).

ثم منع الناس من السؤال عن معاني آيات القرآن^(٢).

- (١) حياة الصحابة ج ٣ ص ٢٧٢ و ٢٧٣ وج ٢ ص ٤٠ و ٤١. ويمكن مراجعة المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٤٢٦ حوادث سنة ٣٥ هـ. ومروج الذهب ج ٢ ص ٣٢١ و ٣٢٢ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٠ وج ١ ص ١١٠ وكنز العمال ج ١٠ ص ١٨٠ عن ابن عساكر، وابن صاعد، والدارمي، وابن عبد البر وغيرهم. والمجروحون ج ١ ص ٣٥ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢٠ وشرف أصحاب الحديث ص ٨٧ ومجمع الزوائد ج ١ ص ١٤٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٢٣٩ ط صادر وط ليدن ج ٤ ص ١٣٥ وج ٢ ق ٢ ص ١٠٠ و ١١٢ وحياة الشعر في الكوفة ص ١٦١ والفتنة الكبرى (عثمان) ص ١٧ و ٤٦ و ٧٧ وسيرة الأئمة الاثني عشر ج ١ ص ٣١٧ و ٣٣٤ و ٣٦٥ والتاريخ الإسلامي والمذهب المادي في التفسير ص ٢٠٨ و ٢٠٩ والغدير ج ٦ ص ٢٩٤ - ٢٩٥ عن بعض من تقدم، وعن: المعتصر ج ١ ص ٤٥٩. ونقل ذلك أيضاً عن المحدث الفاضل ص ١٣٣ وعن الموضوعات ج ١ ص ٩٤.
- (٢) راجع في ذلك وغيره: تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٤٦ - ١٤٨ وكشف الأستار عن مسند البزار ج ٣ ص ٧٠ ومجمع الزوائد ج ٨ ص ١١٣ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٢٥٨ و ٢٥٩ والغدير ج ٦ ص ٢٩٠ - ٢٩٣ عن المصادر التالية: =

فبقي الناس من جراء هذه السياسة بلا كتاب وبلا سنة!!

لمن الفتوى؟! ومن البديل؟!

ثم حصر الفتوى بالأمراء.. ثم بأناس بأعيانهم، مثل عائشة، وزيد بن ثابت، وأبي موسى الأشعري، ثم سمح بذلك لأبي هريرة بعد أن كان منعه وضربه^(١).

من البدائل أيضاً:

ومن البدائل عن حديث رسول الله: التشجيع على الشعر، وإنشاده، والتغني به. والحث على تداول الانساب، والأخذ من ترهات وأباطيل أهل الكتاب^(٢). وهذا هو البديل الذي كان أعظم خطراً، وأبعد أثراً، وأشد ضرراً على الإسلام وأهله.

= إحياء علوم الدين ج ١ ص ٣٠ و سنن الدارمي ج ١ ص ٥٤ و ٥٥ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ٣٨٤ وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢٣٢ والإتقان ج ٢ ص ٥ وكنز العمال ج ١ ص ٢٢٨ و ٢٢٩ عن نصر المقدسي، والأصبهاني، وابن الأنباري، واللالكائي وغيرهم. والدر المنثور ج ٦ ص ١١١ و ٣٢١ وفتح الباري ج ٨ ص ١٧ و ج ١٣ ص ٢٣٠ والفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٤٤٥.

(١) راجع النصوص ومصادرها حول ذلك في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج ١ ص ٩١-٩٧.

(٢) راجع: الصحيح من سيرة النبي «صلى الله عليه وآله» ج ١ ص ١٠٩-١٣٢.

واحتل القصاصون من أهل الكتاب، بتدبير وتشجيع من عمر نفسه مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليقصوا على الناس ترهاتهم وأباطيلهم، وينشروا فيهم إسرائيلياتهم ودسائسهم، وتوسعوا في ذلك، وعم هذا الأمر سائر البلاد والعباد^(١).

(١) راجع حول سائر ما تقدم: المصنف للصنعاني ج ٣ ص ٢١٩ و ٢٢٠ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ١ ص ١١ و ١٢ و راجع ص ١٠ و ١٥ و ١٣ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٤٦ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٣ ص ٣٦٠. وراجع: الخطط للمقرئبي ج ٢ ص ٢٥٣. وحول أن عمر قد أمر تميمياً الداري بأن يقص، وأنه أول من قص راجع: الزهد والرقائق ص ٥٠٨ وصفة الصفوة ج ١ ص ٧٣٧ وأسد الغابة ج ١ ص ٢١٥ وتهذيب الأسماء ج ١ ص ١٣٨ ومسند أحمد ج ٣ ص ٤٤٩ و ٤٥١ ومجمع الزوائد ج ١ ص ١٩٠ والإصابة ج ١ ص ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٦ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٨ ص ٣٧٨ و ٣٧٩ وفيه: أنه تعلم ذلك من اليهود والنصارى، وأرجع في الهامش إلى: طبقات ابن سعد ج ١ ص ٧٥. وراجع: الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ص ١٦١ وكنز العمال ج ١٠ ص ١٧١ و ١٧٢ عن المروزي في العلم وعن أبي نعيم، وعن العسكري في المواعظ والتراتب الإدارية ج ٢ ص ٣٣٨ وعن الضوء الساري للمقرئبي ص ١٢٩ ومختصر تاريخ دمشق ج ٥ ص ٣٢١ وتهذيب الكمال ج ٤ ص ٣١٤ و راجع: القصاص والمذكرين ٢٠ و ٢١ و ٢٩ و ٢٢ ص ٤٤ و ٤٥ و ٥٠ و ٥٨ و ٦٢ و ٣٢ والمعرفة والتاريخ ج ١ ص ٣٩١ ومتمم طبقات ابن سعد ص ١٣٦.

آثار ونتائج:

وقد نتج عن هذه السياسات أنه لم يبق من الإسلام إلا اسمه، ومن الدين إلا رسمه، كما روي عن علي «عليه السلام»^(١).

وروى مالك، عن عمه أبي سهيل بن مالك، أنه قال: «ما أعرف شيئاً مما أدركت الناس عليه إلا النداء بالصلاة»^(٢).

قال الزرقاني، والباجي: «يريد الصحابة، وأن الأذان باق على ما كان عليه، ولم يدخله تغيير، ولا تبديل، بخلاف الصلاة، فقد أخرجت عن أوقاتها، وسائر الأفعال دخلها التغيير الخ..»^(٣).

٣- أخرج الشافعي من طريق وهب بن كيسان، قال: رأيت ابن الزبير يبدأ بالصلاة قبل الخطبة، ثم قال: «كل سنن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد غيرت، حتى الصلاة»^(٤).

٤ - يقول الزهري: دخلنا على أنس بن مالك بدمشق، وهو وحده

(١) نهج البلاغة الحكمة رقم ٣٦٩ ورقم ١٩٠.

(٢) الموطأ (مطبوع مع تنوير الحوالك) ج ١ ص ٩٣ وجامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٤٤.

(٣) شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ٢٢١ وتنوير الحوالك ج ١ ص ٩٣ - ٩٤ عن البايجي.

(٤) كتاب الأم للشافعي ج ١ ص ٢٠٨ و (ط دار الفكر) ج ١ ص ٢٦٩ والغدير ج ٨ ص ١٦٦ و ٢٦٤ عنه، ومكاتب الرسول ج ١ ص ٦٦٩ ومعرفة السنن والآثار ج ٣ ص ٤٦.

بيكي، قلت: ما بيكيك؟!

قال: «لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وقد ضيعت»^(١).

٥ - وقال الحسن البصري: «لو خرج عليكم أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما عرفوا منكم إلا قبلتكم»^(٢).

ولكننا نقول:

حتى القبلة غيرت أيضاً، وجعلوها إلى بيت المقدس، حيث الصخرة
قبلة اليهود، كما أوضحناه في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى
الله عليه وآله»..

٦ - وقال أبو الدرداء: «والله لا أعرف فيهم من أمر محمد «صلى الله

(١) جامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٤٤ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٢ ص ٢٠٠ وراجع:
ضحى الإسلام ج ١ ص ٣٦٥ والجامع الصحيح ج ٤ ص ٦٣٢ والزهد والرقائق
ص ٣١ وفي هامشه عن طبقات ابن سعد ترجمة أنس، وعن الترمذي، والبخاري
ج ١ ص ١٤١ و (ط دار الفكر) ج ١ ص ١٣٤ والطرائف لابن طاووس ص ٣٧٨
والصراط المستقيم ج ٣ ص ٢٣١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٢٦٧ وبحار
الأنوار ج ٢٨ ص ٣١ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٦٦٩ والدرجات الرفيعة
ص ٣١ والتعديل والتجريح للباجي ج ٢ ص ١٠١٦ وإحقاق الحق (الأصل)
ص ٢٧٠ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص ٥٩٦.

(٢) جامع بيان العلم ج ٢ ص ٢٤٤ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٢ ص ٢٠٠
ومكاتب الرسول ج ١ ص ٦٦٩.

عليه وآله» شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً»^(١).

٧ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ أنه قال: «لو أن رجلين من أوائل هذه الأمة خلوا بمصحفيهما في بعض هذه الأودية، لأتيا الناس اليوم ولا يعرفان شيئاً مما كانا عليه»^(٢).

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» - وقد ذكرت هذه الأهواء عنده - فقال: «لا والله، ما هم على شيء مما جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا استقبال الكعبة فقط»^(٣).

٨ - وحينما صلى عمران بن حصين خلف علي «عليه السلام» أخذ بيد مطرف بن عبد الله، وقال: لقد صلى صلاة محمد، ولقد ذكرني صلاة محمد. وكذلك قال أبو موسى، حينما صلى خلف علي «عليه السلام»^(٤).

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٦ ص ٢٤٤ و (ط دار صادر) ج ٦ ص ٤٤٣ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٦٧٠.

(٢) الزهد والرقائق ص ٦١ ودراسات وبحوث ج ١ ص ٨١ عنه.

(٣) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٩١ وقصار الجمل ج ١ ص ٣٦٦.

(٤) راجع: أنساب الأشراف ج ٢ ص ١٨٠ ط الأعلمي وسنن البيهقي ج ٢ ص ٦٨ وكنز

العمال ج ٨ ص ١٤٣ عن عبد الرزاق وابن أبي شيبة والمصنف للصنعاني ج ٢ ص ٦٣

ومسند أبي عوانة ج ٢ ص ١٠٥ ومسند أحمد ج ٤ ص ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٤١ و ٤٤٤

و ٤٠٠ و ٤١٥ و ٣٩٢ في موضعين و ٤٣٢ والغدير ج ١٠ ص ٢٠٢ و ٢٠٣

وكشف الأستار عن مسند البزار ج ١ ص ٢٦٠ والبحر الزخار ج ٢ ص ٢٥٤. =

لماذا هذه السياسات!؟

وأما بالنسبة لدوافعهم لاعتماد هذه السياسة، فيمكن هنا الإشارة إلى ما يلي:

١ - لقد برر عمر بن الخطاب مبرراً إحراقه ما كتبه الصحابة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بأنه لا يريد أن يصير للمسلمين مشناة (أو مثناة) كمشناة (كمشناة) أهل الكتاب.

ولكنه هو نفسه اطلق للقصاصين أن يقصوا على مشناتهم في مساجد المسلمين.

فقد قال لهم: «ذكرت قوماً كانوا قبلكم، كتبوا كتباً، فأكبوا عليها، وتركوا كتاب الله. وإني - والله - لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً».

أو قال: «لا كتاب مع كتاب الله».

وكتب إلى الأمصار: «من كان عنده شيء منها فليمحه».

وقد بلغ من تشدده في هذا الأمر - كما يذكرون في ترجمة أبي هريرة -: أنهم ما كانوا يستطيعون أن يقولوا: «قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى قبض عمر»^(١).

= وعن المصادر التالية: صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٠٩ وصحيح مسلم ج ١ ص ٢٩٥ وسنن النسائي ج ١ ص ١٦٤ وسنن أبي داود ج ٥ ص ٨٤ وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٢٩٦ وفتح الباري ج ٢ ص ٢٠٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج ١ ص ٢٤١.

(١) راجع ما تقدم، كلاً أو بعضاً في المصادر التالية: سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٦٠١ و ٦٠٢ ومختصر جامع بيان العلم ص ٣٣ وجامع بيان العلم ج ١ ص ٧٧ وتقييد =

والمشناة: هي روايات شفوية دونها اليهود، ثم شرحها علماءهم، فسمي الشرح جماراً، ثم جمعوا بين الكتابين، فسمي مجموع الكتابين «الأصل والشرح» أعني: «المشناة وجمارا» بـ «التلمود».

وهذا يدل على: أن عمر قد أخذ الأمر عن أهل الكتاب، تأثراً منه

= العلم للخطيب ص ٤٩ - ٥٣ وإحراقه للحديث ص ٥٢ وكتابته إلى الأمصار في ص ٥٣ والطبقات الكبرى ط صادر ج ٥ ص ١٨٨ وج ٦ ص ٧ وج ٣ ص ٢٨٧ وتدريب الراوي ج ٢ ص ٦٧ عن البيهقي وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢ و ٧ و ٨ وغريب الحديث لابن سلام ج ٤ ص ٤٩. والبداية والنهاية ج ٨ ص ١٠٧ والغدير ج ٦ ص ٢٩٥ وغير ذلك من صفحات هذا الجزء وتاريخ الخلفاء ص ١٣٨ ومستدرك الحاكم ج ١ ص ١٠٢ وتلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامشه) نفس الجزء والصفحة، وسنن الدارمي ج ١ ص ٨٥ والمصنف للصنعاني ج ١١ ص ٢٥٧ - ٢٥٨ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٢٥٧ و ٢٥٨ والضعفاء الكبير ج ١ ص ٩ و ١٠ وراجع: كنز العمال ج ١٠ ص ١٨٣ و ١٧٩ و ١٨٠ عن ابن عبد البر، وأبي خيثمة، وابن عساكر، وابن سعد. وسنن ابن ماجه ج ١ ص ١٢ والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٣٦٩ عن البخاري في كتاب البيوع وراجع: فقه السيرة للغزالي ص ٤٠ و ٤١ عن البخاري ومسلم، وعن أبي داود، والاستيعاب. والتراتب الإدارية ج ٢ ص ٢٤٨ وأضواء على السنة المحمدية والحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» ص ٧٨ و ٧٩ عن مصادر كثيرة.

بأجوائهم، وقد كان في زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يدرس عندهم في مدارس (ماسكة) وكانوا يجبونه، بل لم يكن أحد من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» أحب إليهم منه فراجع^(١)..

وقد ظهرت آثار هذه العلاقة حين فرض سياسته القاضية بإستبعاد كلام الرسول «صلى الله عليه وآله» وسنته والتمكين لأهل الكتاب لأن يشيعوا ثقافتهم التي كانت تحمل للناس الكثير من الترهات والأباطيل، مؤثراً لها على ما عن رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

٢- إنه إذا كان الحكام غير قادرين على الإجابة على المسائل التي تطرح عليهم، ولا على حل المعضلات التي تواجههم، وفق ما دل عليه القرآن، ويئنه رسول الله «صلى الله عليه وآله». فإن أخطاءهم في إجاباتهم ستظهر، وستكثر الإعتراضات عليهم، والشكوى منهم.

وستضعف نتيجة لذلك شوكتهم، وتتلاشى هيبتهم.

فلا بد من منع الناس من الجهر بما قاله رسول الله «صلى الله عليه

(١) راجع حول ذلك: جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٢٣ - ١٢٤ وكنز العمال عن كلامه، وعن الشعبي، وعن قتادة، والسدي ج ٢ ص ٢٢٨ والدر المنثور ج ١ ص ٩٠ عن ابن جرير، ومصنف ابن أبي شيبة، ومسند إسحاق بن راهويه، وابن أبي حاتم. والإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ص ١٠٧ و ١٠٨. وكون اسم مدارس اليهود (ماسكة) المذكور في مصادر أخرى.

وآله»، وتخصيص الرواية عنه بأشخاص بأعيانهم، وحصر الفتوى بالأمرء والحكام..

كما أن ذلك يقتضي منع كبار الصحابة من السفر إلى البلاد، ومن الإتصال بالعباد، حتى لا يفتشوا حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله» بينهم، ويصير الناس قادرين على المقايسة بينه، وبين ما يرونه، ويسمعونه مباشرة، أو ينقل لهم عن خلفائه..

كما أن عمر لا يعطي كبار الصحابة مجالاً لإظهار فضلهم، وعلمهم للناس، لأنه كان يخشى أن يكون من بينهم من يسعى لتحقيق طموحات يخشاها الحكام كل الخشية. وأما علي «عليه السلام» فكان يخلصه من المشكلات وينقذه من المآزق، فلم يكن يجد بداً من القبول منه والأخذ عنه.

والخلاصة: إن عمر كان يعرف أن إفساح المجال للصحابة ليتصلوا بالناس سيستج عنه: أن يصبح في متناول أيدي الناس الكثير من المفردات التي تبرر لهم السعي، لاستبدالهم بمن هم أفضل وأعلم منهم..

٣ - ثم إن هناك الكثير الكثير من الأمور التي حدثت في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله». وكان له «صلى الله عليه وآله» موقف، أو سجل تجاهها قولاً.. وهي تعني أناساً هم من الرموز الأساسية في الحكم، ولعل بعضهم من أركانه، أو لهم دور فاعل في تأييده، وتشييده.. فلو شاعت أقوال ومواقف النبي «صلى الله عليه وآله» من هؤلاء، فسيكون هؤلاء الحكام في موقع حرج جداً.

٤ - يضاف إلى ذلك: أن هناك مواقف تأييد وثناء وتمجيد، وتسديد،

وإخبارات عن النبي «صلى الله عليه وآله»، أوحاها إليه رب الأرض والسماء بحق أناس لا يطيق الغاصبون للخلافة ومحبوهم أن تظهر لهم تلك المناقب والكرامات، والمواقف والمقامات، وما حباهم الله به، وحملهم إياه من مسؤوليات..

وعلى رأس هؤلاء علي «عليه السلام» وأهل بيته، وشيعتهم الأخيار، مثل: سلمان، والمقداد، وأبي ذر، وعمار وغيرهم.

حيث إن ظهور ذلك سوف ينتهي بفضيحة لا يمكن تحملها، ولربما يكون له تفاعلات خطيرة على حكوماتهم، وعلى مواقعهم، ويحرمهم من أية فرصة للإستمرار في سلطان بدأوه بالجرأة على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واتهامهم إياه بالهجر والهديان، وواصلوا بعده العدوان على أقدس الناس، وأطهر الناس، وأكرم الناس على الله، وهم أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وقد أشرنا إلى ذلك في العديد من الموارد.

٥ - إن هؤلاء كانوا يرغبون باستبدال بعض ما صدر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ببعض آرائهم التي يرون أنها تلبي حاجاتهم وطموحاتهم.. وهو ما سُمِّي بعد ذلك بـ: «سنة الشيخين».. ولم يكن يمكنهم ذلك إلا بالمنع من تداول أقوال رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأفعاله لكي لا يبقى للناس مفرّ من العمل بالسنة التي يفرضونها عليهم..

وعلي عليه السلام ماذا يقول:

أما أمير المؤمنين «عليه السلام»، وشيعته، والواعون من رجال هذه

الأمة، فقد تصدوا بصلاية وحزم لهذه السياسة التي تستهدف حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى لقد رفض «عليه السلام» في الشورى عرض الخلافة في مقابل اشتراط العمل بسنة الشيخين.

وقد طرد «عليه السلام» القصاصين من المساجد، ورفع الحظر المفروض على رواية الحديث عن النبي «صلى الله عليه وآله»^(١).

ورواوا عن علي «عليه السلام»: أنه قال: «قيدوا العلم، قيدوا العلم» مرتين. ونحوه غيره^(٢).

كما أنه «عليه السلام» يقول: «من يشتري منا علماً بدرهم؟! قال الحارث الأعور: فذهبت فاشتريت صحفاً بدرهم، ثم جئت بها».

(١) سرگذشت حديث (فارسي) هامش ص ٢٨ وراجع: كنز العمال ج ١٠ ص ٢٨١ عن المروزي في العلم، والنحاس في ناسخه، والعسكري في المواعظ. وعن قوت القلوب ج ٢ ص ٣٠٢.

وراجع: الحوادث والبدع ص ١٠٠ والجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٦٢ والدر المنثور ج ١ ص ١٠٦.

(٢) تقييد العلم للخطيب البغدادي ص ٨٩ عن الحارث، وص ٩٠ عن حبيب بن جري، وبهامشه قال: «وفي حض عليّ على الكتابة انظر: معادن الجواهر للأمين العاملي ج ١ ص ٣».

وراجع: الثاقب في المناقب ص ٢٧٨ وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم البحراني ص ٢٦١.

وفي بعض النصوص: «فكتب له علماً كثيراً»^(١).

وعن علي «عليه السلام» قال: تزاوروا، وتذاكروا الحديث، ولا تتركوه يدرس^(٢).

وعنه «عليه السلام»: «إذا كتبتم الحديث فاكتبوه بإسناده، فإن يك حقاً كتبتم شركاء في الأجر، وإن يك باطلاً كان وزره عليه»^(٣).
ومثل ذلك كثير عنه «عليه السلام»^(٤).

علي عليه السلام أكثر الصحابة حديثاً:

وقد كتب علي «عليه السلام» كتباً كثيرة أملاها عليه رسول الله «صلى

-
- (١) التراتيب الإدارية ج ٢ ص ٢٥٩ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٦ ص ١١٦ و (ط صادر) ج ٦ ص ١٦٨ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٥٧ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٨ ص ٣٥٢ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٦١ وتقييد العلم ص ٩٠ وفي هامشه عن تقدم، وكتاب العلم لأبي خيثمة ص ٣٤ والمحدث الفاصل ج ٤ ص ٣ و (ط دار الفكر سنة ١٤٠٤ هـ) ص ٣٧٠. والغارات للثقفى ج ٢ ص ٧١٨ والعلل لابن حنبل ج ١ ص ٢١٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٦ ص ٣٠١.
- (٢) كنز العمال ج ١٠ ص ٣٠٤ ومعرفة علوم الحديث ص ٦٠.
- (٣) كنز العمال ج ١٠ ص ٢٢٢ عن المستدرک، وأبي نعيم، وابن عساکر.
- (٤) راجع على سبيل المثال: كنز العمال ج ١٠ كتاب العلم..

الله عليه وآله»، وتوارثها عنه الأئمة من ولده «صلوات الله عليهم»^(١).
ومع أنه «عليه السلام» كان أكثر أصحاب رسول الله «صلى الله عليه
وآله» حديثاً، حتى لقد سئل هو عن سبب ذلك، فقليل له: ما بالك أكثر
أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» حديثاً؟!.
فقال: كنت إذا سألته أنبأني، وإذا سكت ابتدأني^(٢).

(١) ذكر العلامة الأحمدي في كتابه مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٧١ - ٨٩ طائفة من
المصادر لذلك، لكنه أضاف في الطبعة الثانية لهذا الكتاب عشرات النصوص
والمصادر الأخرى، ويمكن مراجعة: وسائل الشيعة، كتاب القضاء، وكتاب
الحدود، والكافي ج ٧ ص ٧٧ و ٩٤ و ٩٨ و ج ٢ ص ٦٦ و كنز العمال ج ١ ص ٣٣٧
ورجال النجاشي ص ٢٥٥ وأدب الإملاء والإستملاء ص ١٢ و حياة الصحابة
ج ٣ ص ٥٢١ - ٥٢٢ و مسند أحمد ج ١ ص ١١٦ والغدير ج ٨ ص ١٦٨
والمراجعات (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٣٠٥ و ٣٠٦ و ربيع الأبرار ج ٣
ص ٢٩٤ والبحار ج ٧٢ ص ٢٧٤ وراجع: صحيح البخاري (ط سنة ١٣٠٩
هـ) ج ١ ص ٢٠ - ٢١ و البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٥١ وراجع: طبقات ابن سعد
ج ٥ ص ٧٧ وعلوم الحديث لابن الصلاح ص ١٦١ و الباعث الحثيث شرح
اختصار علوم الحديث (متناً وهامشاً) ص ١٣٢ و تقييد العلم ص ٨٨ و ٨٩
والرحلة في طلب الحديث ص ١٣٠.

(٢) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٩٨ و ترجمة الإمام علي بن أبي طالب
«عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٤٥٦ وكتاب =

نعم. رغم ذلك، فإنهم يزعمون: أن ما روي عنه «عليه السلام» هو مئة وثمانية وخمسون حديثاً فقط.. في حين أن ما رووه عن أبي هريرة، الذي لم ير النبي «صلى الله عليه وآله» إلا بمقدار يسير جداً قد بلغ ٥٣٧٤ حديثاً،

= الأربعين للماحوزي ص ٤٥٨ وفيض القدير ج ٤ ص ٤٧٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٣٣٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣٧٧ و ٣٧٨ و ٣٨٦ وراجع: الأمالي للصدوق ص ٣١٥ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٠١ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٢٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤٩٥ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٤٢.

وراجع: خصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص ١١٢ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٩ وتهذيب الكمال ج ١٥ ص ٣٧٢ وكتر العمال ج ١٣ ص ١٢٠ و ١٢٨ ومستدرک الوسائل ج ١٧ ص ٣٤٢ وتهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٩٧ ومطالب السؤول ص ١٠٦ وبنایع المودة ج ٢ ص ١٨٤ و ٣٩٤ وغاية المرام ج ٢ ص ١٠١ وج ٣ ص ١١٤ وج ٦ ص ٤٨ و ١٠٣ وعجائب أحكام أمير المؤمنين ص ٢١٧ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج ١ ص ٣٣٣ والعمدة لابن البطريق ص ٢٨٣ و ٤٠٣ وعيون الحكم والمواعظ للواسطي ص ٣٩٧ وذخائر العقبي ص ٩٤ والمحاضر للحلي ص ١٥٨ والصراط المستقيم ج ٣ ص ٢٥٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٣٠٩ و ٤٧٩ وبحار الأنوار ج ٢٦ ص ١٥٣ وج ٣٧ ص ٧٣ وج ٤٠ ص ١٨٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٥١٩ و ٥٢٣ وج ١٧ ص ٥٠ و ٤٦٢ وج ٢٣ ص ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٥ و ١٠٦ وج ٣٠ ص ٣٤٨.

فتبارك الله أحسن الخالقين^(١).

محاولة فاشلة:

هذا.. وقد بذلت من الفريق الحاكم محاولة للوقوف في وجه علي «عليه السلام»، وصدّه عن إشاعة أحكام الله تبارك وتعالى، فوجدوا منه الموقف الحازم والحاسم، الذي اضطرهم إلى التراجع والإعتذار.

فقد روي العياشي، عن عبد الله بن علي الحلبي، عن أبي جعفر وأبي عبد الله «عليه السلام»، قال: حج عمر أول سنة حج وهو خليفة، فحجّ تلك السنة المهاجرون والأنصار.

وكان علي «عليه السلام» قد حجّ في تلك السنة بالحسن والحسين «عليه السلام»، وبعبد الله بن جعفر، قال: فلما أحرم عبد الله لبس إزاراً ورداءً، ممشقين - مصبوغين بطين المشق - ثم أتى، فنظر إليه عمر وهو يلبي، وعليه الإزار والرداء، وهو يسير إلى جنب علي «عليه السلام»، فقال عمر من خلفهم: ما هذه البدعة التي في الحرم؟!.

(١) أضواء على السنة المحمدية للشيخ محمود أبي رية ص ٢٢٤ و ٢٢٥ وراجع: أبو هريرة للسيد شرف الدين ص ٤٦ ومستدركات علم رجال الحديث ج ٨ ص ٤٧٥ وأضواء على الصحيحين للشيخ محمد صادق النجمي ص ٩٩ ومسند ابن راهويه ج ١ ص ٨ و ٤٧ وشيخ المضيرة أبو هريرة لأبي رية ص ١٢٤ و ١٣٢ والأعلام للزركلي ج ٣ ص ٣٠٨ وغريب الحديث لابن سلام ج ٤ ص ١٧٩.

فالتفت إليه علي «عليه السلام» فقال له: يا عمر، لا ينبغي لأحد أن يعلمنا السنّة!!.

فقال عمر: صدقت يا أبا الحسن، لا والله، ما علمت أنكم هم^(١).
فإن تراجع عمر المباشر يدل على أن ما زعمه بدعة لم يكن كذلك، لأنه لو كان بدعة فلا ينبغي، بل لا يجوز له أن يتراجع، حتى لو كان العامل بالبدعة هو علي «عليه السلام»، ولا أقل من أن يبين له ذلك، ويقيم عليه الحججة فيه..

على أن نفس جواب علي «عليه السلام» يفيد: أن ما فعله ليس خارجاً عن السنّة، وأنه كان بها عارفاً. بل هو أعرف بها من كل أحد..

لا يقطعون أمراً دون علي عليه السلام:

وقد ذكر الراغب الأصفهاني: أن عمر قال لابن عباس عن علي «عليه السلام»: «لا جرم، فكيف ترى؟! والله ما نقطع أمراً دونه، ولا نعمل شيئاً حتى نستأذنه..»^(٢).

(١) تفسير العياشي ج ٢ ص ٣٨ وبحار الأنوار ج ٩٦ ص ١٤٢ و ٢٢٧ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ٤٩ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٢ ص ٤٨٣ و (ط دار الإسلامية) ج ٩ ص ١٢٢ وجامع أحاديث الشيعة ج ١١ ص ٤١.

(٢) محاضرات الراغب ج ٧ ص ٢١٣ (وط. أخرى) ج ٢ ص ٤٧٨ واليقين لابن طاووس ص ٥٢٣ وبحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢١٢ والغدير ج ١ ص ٣٨٩ ومناقب علي بن =

ونقول:

١ - ورد في بعض الروايات أيضاً ما يدل على هذه السياسة، وأن عمر قد قال لأعوانه: «لا تعصوا عليّ أمراً». وقد ذكرنا ذلك في هذا موضع آخر من الكتاب.

ويؤيد ذلك مراجعات عمر لعلي في الأمور المشكّلة، وفي كثير من الأحكام، وقول عمر: لولا علي لهلك عمر، حتى قيل: إنه قال ذلك في سبعين موطناً^(١).

وكان يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن^(٢).

= أبي طالب «عليه السلام» لابن مردويه الأصفهاني ص ١٢٦ وأعيان الشيعة ج ٦ ص ١٦١.

(١) الأنوار العلوية ص ٩٥ عن سعيد بن المسيب، ومصباح الهداية في إثبات الولاية ص ٦٢ و ٣٠٩.

(٢) ينابيع المودة ج ٢ ص ١٧٢ عن أحمد، وأبي عمر، وذخائر العقبى ص ٨٢ وشرح الأخبار ج ٢ ص ٥٦٥ ودلائل الإمامة ص ٢١ والعمدة لابن البطريق ص ٢٥٧ والطرائف لابن طاووس ص ٤٧٣ والصراط المستقيم ج ١ ص ٢٢٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٥٤٥ وعن كفاية الطالب ص ٩٥ والصواعق المحرقة ص ٧٦ وتذكرة الخواص ص ١٥٤ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٤٨ و ٣٠٠ وج ٥٥ ص ١٦٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٤٥٥ و ٤٥٩ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرازي ص ١٩٣ و ٢٠١ والغدير ج ٣ ص ٩٨ =

وأخرج أحمد في المناقب: أن عمر بن الخطاب إذا أشكل عليه شيء أخذ من علي^(١).

وسئلت عائشة عن المسح على الخفين، فقالت: أتت علياً فأسأله^(٢).

= ومستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٢٧٠ و ٤٢٨ وفتح الباري ج ١٣ ص ٢٨٦
وتأويل مختلف الحديث ص ١٥٢ والإستيعاب ج ٣ ص ١١٠٢ ونظم درر
السمطين ص ١٣١ وفيض القدير ج ٤ ص ٤٧٠ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٣
وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٩٦ ومطالب السؤل ص ١٦٣ ونهج الإیمان
ص ١٤٧ و ٢٨٣ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٢٠١ وجواهر المطالب
لابن الدمشقي ج ١ ص ١٩٥.

(١) ينابيع المودة ج ٢ ص ١٧٢ وذخائر العقبى ص ٧٩ وراجع: العمدة لابن البطريق
ص ١٣٦ و ٢٥٨ والطرائف لابن طاووس ص ٥٣ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٤٢٤
وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ٢٩٥ وج ٣٧ ص ٢٦٦ وكتاب الأربعين للماحوزي
ص ٨١ و ٢٠١ و ٢٠٢ والمراجعات ص ٢٠٠ والغدير ج ٣ ص ٩٨ وج ٦
ص ٢٥٠ ومستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٣٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢
ص ١٧١ وج ٥٩ ص ٧٤ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ١٩٧ و ٢٩٧
وغاية المرام ج ٢ ص ٣٠ و ٣٧ و ٦٤ و ٢٠٥ و ٢٥٨ وشرح إحقاق الحق
(الملحقات) ج ٥ ص ١٩٤ وج ٧ ص ٦٣٢ وج ١٦ ص ١٣ وج ٢١ ص ١٧١
وج ٣٠ ص ٤٩٨ وج ٣١ ص ٥٣٨ و ٥٣٩.

(٢) ينابيع المودة ج ٢ ص ١٧٢ وذخائر العقبى ص ٧٩ ومناقب أهل البيت «عليهم =

والشواهد على ذلك في عهد أبي بكر، وعمر وعثمان، ومعاوية كثيرة..
وقد ذكرنا في كتابنا هذا شطراً وافراً منها، فلا حاجة إلى تكثير
النصوص هنا..

٢ - إنها السياسة التي ظهرت بوجهين مختلفين إلى حد التباين، أشار

= السلام» للشيرواني ص ١٩٥ ومسند أحمد ج ١ ص ١٠ و ١٤٦ و ج ٦ ص ١١٠
وصحيح مسلم ج ١ ص ١٦٠ وسنن ابن ماجة ج ١ ص ١٨٣ والسنن الكبرى
للبيهقي ج ١ ص ٢٧٢ و ٢٧٥ و ٢٧٧ ومسند أبي داود الطيالسي ص ١٥ والسنن
الكبرى للنسائي ج ١ ص ٩٢ ومسند أبي يعلى ج ١ ص ٢٢٩ وشرح مسلم
لننوي ج ٣ ص ١٧٥ والمصنف للصنعاني ج ١ ص ٢٠٢ و ٢٠٣ ومسند
الحميدي ج ١ ص ٢٥ ومسند ابن الجعد ص ٣٧١ وصحيح ابن خزيمة ج ١
ص ٩٨ وأمالى المحاملي ص ١٥٨ ومسند أبي حنيفة ص ٧٣ والإستيعاب ج ٣
ص ١١٠٧ والأذكار النووية ص ٣١٣ ونصب الراية ج ١ ص ٢٥١ وكنز العمال
ج ٩ ص ٦٠٦ وشرح مسند أبي حنيفة ص ٢٥٩ والتفسير الكبير للرازي ج ١١
ص ١٦٤ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ١٩٧ وكشاف القناع ج ١
ص ١٣٤ والمعجم الأوسط للطبراني ج ٥ ص ٢٣٧ و ٢٩٩ والإستذكار ج ١
ص ٢٢٠ والتمهيد لابن عبد البر ج ١١ ص ١٤٢ و ١٥٣ ونصب الراية ج ١
ص ٢٣٩ وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٢٤٥ و ٢٤٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٣
ص ٦٥ وسير أعلام النبلاء ج ٤ ص ١٠٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣١
ص ٤٦٢.

إليها الكميت الأسدي رحمه الله، وهو يوازن بين سياسة أهل بيت العصمة «عليهم السلام» من جهة.. وسياسة بني أمية من جهة أخرى، فيقول:
 سياسة لا كمن يرى الناس سواء ورعية الأنعام
 جزدي الصوف وانتقاء لذي المخة — نعقاً ودعدعاً بالبهام
 فعمر ينتهج سياسة تقول: كل شيء يهون في سبيل وصوله إلى الخلافة،
 والإحتفاظ بها، وإبعاد علي وبني هاشم عنها.

فلا مانع من ضرب الزهراء «عليها السلام»، وإسقاط جنينها، ولا
 إشكال في اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» - وهو يسمع - بأنه يهجر،
 ويهذي.

ولا مانع من نقض البيعة التي أعطها لعلي «عليه السلام» في غدِير
 خم.

ولا مانع من بذل المحاولة لاغتيال علي «عليه السلام».. وربما
 التحريض أو التدبير لاغتيال سعد بن عباد.. ونحو ذلك مما يدخل في هذا
 السياق.

فإذا حصلوا على ما يريدون، وتحكموا بالبلاد والعباد، فلا مانع من
 إسكات علي «عليه السلام» وتحاشي اعتراضاته على أخطائهم في بيان
 الأحكام، ومعالجاتهم للقضايا، بإعطائه دوراً فاعلاً في هذا المجال، ليظهروا
 للملأ أنهم منصفون، ومتسامحون، وأنهم ليس لديهم مشكلة مع علي.. وأن
 ما جرى إنما كان بمثابة سحابة صيف أبرقت، وأرعدت، ثم انقشعت دون
 أن تمطر.

وسيكونون سعداء إذا أدت هذه السياسة إلى إزالة ما في قلب علي «عليه السلام» تجاههم، أو إذا أدت إلى أن يسألوا هذا الأمر، ويرضى بهذا الدور الذي أوكل إليه، وتصير دعوته لهم، ويصبح من الأقدار التي تدور في فلکهم، وتسبح في مدارهم.

فأساس هذه السياسة هو الإحتفاظ بالخلافة، وسلامة مصلحتهم الشخصية أو الفتوية بأي ثمن.. ومن دون أية حدود أو قيود.. أما سياسة علي وأهل بيته «عليهم السلام»، فمحورها حفظ الدين، وسلامة الشريعة، مهما ناله هو وأهل بيته «عليهم السلام» من ظلم وحيث، على قاعدة: «لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة»^(١).

وأهم شيء بالنسبة للمسلمين هو حفظ دينهم، وتبليغهم وتعليمهم الأحكام، وصيانة حقائق الإيمان من التزييف والتحريف. ويتم ذلك بإفهام الناس: أن أهل البيت «عليهم السلام» هم المرجعية الإلهية في ذلك كله، وأن كل من عداهم لا يحق له أن يدعي هذا المقام لنفسه.

وقد استطاع علي «عليه السلام» أن يحقق هذا الهدف، بصورة جلية

(١) راجع: نهج البلاغة (شرح عبده) ج ١ ص ١٢٤ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ٦١٢ والإمام علي بن أبي طالب «عليهم السلام» للهمداني ص ٧٠٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ١٦٦.

وواضحة..

ولم يمنعه ذلك من أن يذكر الناس باستمرار بحقه المغتصب، الذي جعله الله تعالى له.. وتبقى مسؤولية نصرته ومعونته على استرجاع هذا الحق تقع على عاتق الناس أنفسهم، على قاعدة:

إن لنا عليكم حقاً برسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكم علينا حق به، فإن أنتم أدبتم لنا الحق، وجب علينا الحق لكم^(١).

لأنه «عليه السلام» قد حفظ معنى الإمامة لهم، وأبقاه حياً وواضحاً في عقولهم وقلوبهم، وفي وجدانهم على مدى الدهور والعصور، وإلى أن تقوم الساعة. ومنع من تسرب أي ضعف أو خلل أو وهن إليه، كما أنه أفهمهم أن مرجعيتهم الحقيقية في الدين ومفاهيمه، وعقائده وشرايعه منحصرة بأهل البيت «عليهم السلام».

فعليهم هم أن يقوموا بواجب النصرة والمعونة، فإخلاقهم بواجبهم يلحق الضرر بهم، ولا يرتب عليه صلوات الله وسلامه عليه أية مسؤولية.

(١) راجع: روضة الواعظين ص ٢٢٦ ومقاتل الطالبين ص ٣٧٦ والإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٢٦٢ وبحار الأنوار ج ٤٩ ص ١٤٦ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» للخطاردي ج ١ ص ١٢٢ وأعيان الشيعة ج ٢ ص ١٩ وإعلام الوري ج ٢ ص ٧٤ والدر النظيم ص ٦٨٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٣٣ ص ١٧٩.

الفصل الثالث:

دفاع عن التاريخ الهجري..

علي عليه السلام ووضع التاريخ الهجري:

ويقول المؤرخون: إن أول من أرخ بالهجرة النبوية، هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وأكثرهم يذكر: أن اختياره الهجرة مبدأ للتاريخ كان بإشارة علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه^(١).

(١) راجع: تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٧٦ والكامل لابن الأثير (ط دار صادر) ج ٢ ص ٥٢٦ وتاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ١١٢ وج ٣ ص ١٤٤ وسبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٣٨ وتاريخ يعقوبي (ط صادر) ج ٢ ص ١٤٥ والتنبيه والإشراف ص ٢٥٢ ومحاضرة الأوائل ص ٢٨ وتهذيب تاريخ ابن عساکر ج ١ ص ٢٣ وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٢٠٦ وتاريخ الخلفاء ص ١٣٢ و ١٣٦ و ٢٣ و ١٣٨ عن البخاري في تاريخه، وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ٢١٨ وج ٥٨ ص ٣٥٠ - ٣٥١ بعد تصحيح أرقام صفحاته وج ٤٠ ص ٢١٨ وسفينة البحار ج ٢ ص ٦٤١ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٤٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٤٠٦ عن الطبري، ومجاهد في تاريخيهما، والإعلان بالتوبيخ ص ٨٠ و ٨١ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج ٣ ص ٢٢ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٤٩ وعلي والخلفاء ص ١٣٩ =

وبعض منهم يقول: إن المشير عليه بذلك ليس علياً فقط، بل معه بعض الصحابة أيضاً^(١).

وربما تكون إضافة بعض الصحابة تهدف إلى التخفيف من وهج الحدث.. وإلا فلماذا لا يذكر معظمهم سوى مشورة علي «عليه السلام»؟! قال ابن كثير: «قال الواقدي: وفي ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة ست عشرة، أو سبع عشرة، أو ثمان عشرة^(٢) - كتب عمر بن الخطاب التاريخ، وهو أول من كتبه.

قلت: قد ذكرنا سببه في سيرة عمر، وذلك: أنه رفع إلى عمر صك مكتوب لرجل على آخر بدين، يحل عليه في شعبان.

فقال: أي شعبان؟! أمن هذه السنة، أم التي قبلها، أم التي بعدها؟! ثم جمع الناس (أي أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله») فقال: ضعوا

= ١٤١ وكنز العمال ج ١٠ ص ٣١٠ وقاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ٣٧٢ والتاريخ الصغير للبخاري ج ١ ص ٤١ والتاريخ الكبير للبخاري ج ١ ص ٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ١ ص ٤٤ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٢٢٠ عن الوسائل للسيوطي ص ١٢٩ وسيأتي جانب من المصادر لذلك فيما يأتي.

- (١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٧٤ والوزراء والكتاب ص ٢٠ ومآثر الإنافة ج ٣ ص ٣٣٦.
 (٢) الوزراء والكتاب ص ٢٠ والبدایة والنهاية ج ٣ ص ٢٠٦ و ٢٠٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٧ ص ٨٥ و (ط مكتبة المعارف) ج ٤ ص ٧٣.

للناس شيئاً يعرفون به حلول ديونهم.

فيقال: إنهم أراد بعضهم (وهو الهرمزان)^(١): أن يؤرخوا كما تؤرخ
الفرس بملوكهم، كلما هلك ملك أرخوا من تاريخ ولاية الذي بعده،
فكرهوا ذلك.

ومنهم من قال (وهم بعض مسلمي اليهود)^(٢): أرخوا بتاريخ الروم،
من زمان إسكندر، فكرهوا ذلك لطوله أيضاً.

وقال قائلون: أرخوا من مولد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقال آخرون: من مبعثه.

وأشار علي بن أبي طالب «عليه السلام» وآخرون:

«أن يؤرخ من هجرته إلى المدينة، لظهوره لكل أحد، فإنه أظهر من

(١) صرح باسم (الهرمزان) في صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٤١ عن تاريخ أبي الفداء، وقد
ذكر: أن عمر أرسل إليه فاستشاره، وليراجع أيضاً: البحار ج ٥٨ ص ٣٤٩ و
٣٥٠ بعد تصحيح أرقام صفحاته، وسفينة البحار ج ٢ ص ٦٤١ وتاريخ ابن
الوردى ج ١ ص ١٤٥ والأنس الجليل في أخبار القدس والخليل ج ١ ص ١٨٧
والخطط للمقرئبي ج ١ ص ٢٨٤ وفيه: أن عمر استدعاه.

(٢) هذه الفقرة في الإعلان بالتوبيخ ص ٨١ وبحار الأنوار ج ٥٨ ص ٣٥٠ وفي نزهة
الجليل ج ١ ص ٢٢ عن تاريخ ابن عساكر: أن النصارى كانوا يؤرخون بتاريخ
الإسكندر.. كما أن كتاب تاريخ مختصر الدول لابن العبري النصراني: قد جرى
على تاريخ الإسكندر..

المولد، والمبعث، فاستحسن عمر ذلك والصحابة.

فأمر عمر: أن يؤرخ من هجرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).

(١) راجع جميع ما تقدم في: البداية والنهاية ج ٧ ص ٧٣ و ٧٤ وليراجع أيضاً ج ٣ ص ٣٠٦ و (ط دار إحياء التراث) ج ٣ ص ٢٥١ و ج ٧ ص ٨٥ وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٧٥ و ٧٦ وتهذيب تاريخ ابن عساکر ج ١ ص ٢٢ و ٢٣ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٧٤ وعجائب الآثار ج ١ ص ٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢٨٧ وسبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٣٨ وغاية المرام ج ٥ ص ٢٦٨ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص ١٨٢ وعلي والخلفاء ص ٢٤٠ عنه ملخصاً.

وراجع: الإعلان بالتوبيخ ص ٧٩ و ٨٠ و ٨١ ومنتخب كنز العمال (هامش مسند أحمد) ج ٤ ص ٦٧ والكامل لابن الأثير (ط صادر) ج ١ ص ١٠ وكنز العمال ج ١٠ ص ١٩٥ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٠ ص ٣١٣ عن المستدرک، وعن البخاري في الأدب، وراجع ص ١٩٣ عن ابن أبي خيثمة، وتفسير الألوسي ج ١٠ ص ٩٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ١ ص ٤٠ و ٤١ وبحار الأنوار ج ٥٥ ص ٣٤٩ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٦٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٧٤ وجواهر العقود ج ٢ ص ٤٧٩ ونزهة الجليس ج ١ ص ٢١ وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف بمصر) ج ٢ ص ٣٨٨ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ١١١ والوزراء والكتاب ص ٢٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩ وصبح الأعشى ج ٦ ص ٢٤١ عن ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب: أن أبا موسى =

وعن سعيد بن المسيب قال: «جمع عمر الناس فسألهم: من أي يوم يكتب التاريخ؟!»

فقال علي بن أبي طالب «عليه السلام»: من يوم هاجر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وترك أرض الشرك، ففعله عمر رضي الله عنه.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الأسناد، ولم يخرجاه^(١).

وقال اليعقوبي في حوادث سنة ١٦ هـ: «وفيها أرخ الكتب، وأراد أن يكتب التاريخ منذ مولد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم قال: من المبعث،

= كتب إلى عمر أنه يأتينا من قبلك كتب لا نعرف نعمل فيها قد قرأنا صكاً محلّه شعبان فما ندرى أي الشعبانين هو: الماضي؟ أو الآتي؟ فجمع الصحابة الخ ما في المتن. وليراجع أيضاً: الأوائل لأبي هلال العسكري ج ١ ص ٢٢٣.

(١) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٤ وتلخيص المستدرک للذهبي هامش الصفحة ذاتها وصححه أيضاً، والإعلان بالتبويخ ص ٨٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩ والطبري (ط دار المعارف) ج ٢ ص ٣٩١ وج ٣ ص ١٤٤ وتاريخ عمر بن الخطاب ص ٧٦ وتهذيب تاريخ ابن عساکر ج ١ ص ٢٣ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ٤ ص ٦٧ وعلي والخلفاء ص ٢٣٩ و ٢٤٠ وكنز العمال ج ١٠ ص ١٩٣ و ١٩٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٢١٩ عن ابن عساکر، والمقرئزي في كتاب الخطط والآثار ج ١ ص ٢٨٤ والشماريخ للسيوطي (ط ليدن) ص ٤ والتاريخ الكبير للبخاري ج ١ ص ٩ والكامل (ط دار صادر) ج ١ ص ١٠.

فأشار عليه علي بن أبي طالب «عليه السلام»: أن يكتبه من الهجرة»^(١).
إلى غير ذلك من النصوص، التي تقول: إن عمر هو أول من وضع
التاريخ الهجري الإسلامي.

الرأي الأمثل:

ولكننا بدورنا نشك كثيراً في صحة هذا القول، ونعتقد: أن التاريخ
الهجري وضع من زمن النبي «صلى الله عليه وآله»، وقد أرخ به النبي «صلى
الله عليه وآله» نفسه أكثر من مرة، وفي أكثر من مناسبة^(٢).
وما حدث في زمن عمر هو فقط: جعل مبدأ السنة شهر محرم بدلاً من
ربيع الأول، كما أشار إليه الصاحب بن عباد^(٣).

من المشير بمحرم!:

أما من الذي أشار بمحرم بدلاً من ربيع الأول، فقد اختلفت الروايات

(١) تاريخ يعقوبي (ط صادر) ج ٢ ص ١٤٥.

(٢) تحدثنا عن ذلك في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».

(٣) عنوان المعارف وذكر الخلائف ص ١١. وراجع: تفسير الألوسي ج ٢ ص ٦٠

وتاريخ مدينة دمشق ج ١ ص ٤٥ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٥٢ والسيرة النبوية

لابن كثير ج ٢ ص ٢٨٩ وسبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٣٧ و ٣٨ وفيض

القدير ج ١ ص ١٣٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١١١ والكامل في التاريخ

ج ١ ص ١١ والمجموع للنووي ج ١٧ ص ٢٠٨.

فيه أيضاً، فيقال: إن ذلك كان بإشارة عثمان بن عفان^(١).
وقيل: بل هو رأي عمر نفسه^(٢). لتكون الأشهر الحرام في سنة واحدة^(٣).
مع أن الأشهر الحرم ستبقى في سنة واحدة حتى لو كان مبد السنة ربيع
الأول أيضاً..

وبعضهم قال: إن عبد الرحمن بن عوف أشار بشهر رجب، فأشار علي
«عليه السلام» في مقابل ذلك بشهر محرم، فقبل منه^(٤).
ويقول آخرون: إن عمر ابتداءً من المحرم، بعد إشارة علي «عليه

(١) نزهة المجلس ج ١ ص ٢١ وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩ والإعلان بالتوبيخ ص ٨٠
ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج ٤ ص ٦٧ والشماريخ (ط
سنة ١٩٧١م) ص ١٠ وكنز العمال ج ١٧ ص ١٤٥ عن ابن عساكر وج ١٠
ص ١٩٣ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٠ ص ٣١١ عن أبي خيثمة في تاريخه،
وتاريخ مدينة دمشق ج ١ ص ٤٥ وسبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٣٨.

(٢) الإعلان بالتوبيخ ص ٧٩، وليراجع الوزراء والكتاب ص ٢٠ وفتح الباري ج ٧
ص ٢٠٩ ومآثر الانافة ج ٣ ص ٣٣٧ والأوائل ج ١ ص ٢٢٣ وراجع الهامش التالي.
(٣) الأوائل ج ١ ص ٢٢٣ وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٨٠ والبداية
والنهاية ج ٤ ص ١٠٧.

(٤) الإعلان بالتوبيخ (ط القاهرة) ص ٨١ وقال ص ٨٢: إن الديلمي في الفردوس، وولده
روى ذلك عن علي، وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٢٢٠ عن الإعلان.

السلام» وعثمان بذلك^(١).

وفريق آخر يقول: فاستفدنا من مجموع هذه الآثار: أن الذي أشار بالمحرم عمر، وعثمان، وعلي «عليه السلام»^(٢).

ولكننا نستبعد كثيراً: أن يكون علي «عليه السلام» قد أشار بترك ربيع الأول، والأخذ بشهر محرم، الذي كان أول السنة عند العرب في الجاهلية^(٣)، بل نكاد نجزم بخلافه، وأنه «عليه السلام» كان مصراً على شهر ربيع الأول مدة حياته صلوات الله وسلامه عليه.

ولم يكن ذلك رأيه وحده، بل كان هذا هو رأي جمع كبير من المسلمين الأبرار، والصحابة الأخيار، وقد ذكرنا بعضهم في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» فليراجع..
غير أننا نشير هنا إلى ما يلي:

١ - تقدم: أنه «عليه السلام» أشار عليهم بأن يكتبوا التاريخ من «يوم هاجر»، أو من «يوم ترك النبي «صلى الله عليه وآله» أرض الشرك» كما هو

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٨ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٤٨.

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن يذم التاريخ ص ٨٠ وإرشاد الساري ج ٦ ص ٢٣٤ وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩ - ٢١٠.

(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٠٧ و ٢٠٨ و (ط دار إحياء التراث) ج ٣ ص ٢٥٣ وبحار الأنوار ج ٥٥ ص ٣٦٨ و ٣٧٦ و ج ٥٦ ص ١٢٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٢٨٨ و ٢٨٩ والميزان ج ٣ ص ٢٣٢.

صريح رواية ابن المسيب المتقدمة.

وهذا يدل على أنه «عليه السلام» يريد أن يكون مبدأ التاريخ هو شهر ربيع الأول لا شهر محرم، لأن يوم هجرته «صلى الله عليه وآله» كان أول يوم من شهر ربيع الأول.

٢ - جاء فيما كتبه علي «عليه السلام» على عهد أهل نجران العبارة التالية: «وكتب عبد الله^(١) بن أبي رافع، لعشر خلون من جمادى الآخرة، سنة سبع وثلاثين، منذ ولج رسول الله «صلى الله عليه وآله» المدينة»^(٢).
وإنما ولجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» في شهر ربيع الأول كما هو واضح، وهذا يدل على ما قلناه أيضاً..

ما فعله عمر:

أما ما فعله عمر فهو: أنه أراد أن يلغي التاريخ الذي وضعه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتصدى له علي «عليه السلام» بطريقة محرجة، واضطره إلى القبول ببقاء التاريخ الهجري..

ولكن عمر أبى إلا أن يترك بصماته على هذا الأمر، فجعل ابتداء حساب السنة من المحرم، وألغى شهر ربيع الأول، إما بقرار مباشر منه، أو باقتراح من عثمان بن عفان..

وقد ظهر لمسلمة اليهود آراء في ذلك الاجتماع، وآراء لغيرهم، كانت

(١) الظاهر أنه: عبيد الله.

(٢) الخراج لأبي يوسف ص ٨١ وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٨٢ رقم ٥٣ عنه.

كلها تسعى لالغاء التاريخ الهجري، واستبداله بعام الفيل، أو ببعض تواريخ الأعاجم، أو بتاريخ الاسكندر «وكثر القول، وطال الخطب في تواريخ الأعاجم وغيرها» على حد تعبير المسعودي^(١).

ولكن علياً «عليه السلام» أرجعهم إلى الحق.. وأصر على أن تبقى هجرة النبي «صلى الله عليه وآله» من دار الشرك، هي المحور والأساس.. فقد أعز الله تعالى بها هذا الدين، وانتشر الإسلام في طول البلاد وعرضها. ونشرت اعلامه، وظهرت دلائله في البلاد والعباد..

وأما التاريخ المتداول في هذه الأيام، والذي يبدأ بميلاد المسيح «عليه السلام»، فهو قد حدث في وقت متأخر.

وكان علماء النصارى يؤرخون بتاريخ الإسكندر إلى وقت قريب.. وتاريخ مختصر الدول لابن العبري الملطي شاهد صدق على ذلك، فإنه يعتمد تاريخ الإسكندر، كما يظهر لكل من رجع إليه ولاحظه..

كما أن ادعاء أن ميلاد السيد المسيح «عليه السلام» كان في الخامس والعشرين من شهر كانون الأول غير دقيق، فقد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» تكذيب هذه الدعوى، وأنه ولد في النصف من حزيران، ويستوى الليل والنهار في النصف من آذار^(٢).

(١) التنبيه والإشراف ص ٢٥٢.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٢٦٠ وتحف العقول ص ٣٧٥ ومستدرک سفينة البحار ج ٩ ص ٢٩٨ ومختصر التاريخ لابن الكازروني ص ٦٧ ومروج الذهب ج ٢ ص ١٧٩ و ١٨٠.

الفصل الرابع:

سياسات عمر في التمييز العنصري

بداية:

كان عمر بن الخطاب هو الذي بدأ سياسات التمييز العنصري في المجتمع الإسلامي، وعمل على تكريس ذلك بصورة قوية وشاملة.. وكان لعلي «عليه السلام» موقف من هذه السياسة بل سياسة أخرى تناقضها، فلا بد من عرض - ولو موجز - للسياسات والمواقف.. ونقتصر على ما كان لعلي فيه أثر ظاهر، فنقول:

سياسة عمر تجاه غير العرب:

قد ذكرنا طائفة من هذه السياسات في كتابنا: «سلمان الفارسي في مواجهة التحدي»، ونقتصر هنا على اقتباس بعض النماذج منها، ونحيل القارئ الكريم إلى ذلك الكتاب، فنقول:

روى شريك وغيره: أن عمر أراد بيع أهل السواد، فقال له علي «عليه السلام»: إن هذا مال أصبتم، ولن تصيبوا مثله، وإن بعتم فبقي (كذا) من يدخل في الإسلام لا شيء له.

قال: فما أصنع؟!

قال: دعهم شوكة للمسلمين.

فتركهم على أنهم عبيد.

ثم قال علي «عليه السلام»: فمن أسلم منهم فنصيبي منه حر (١).
ونقول:

المراد بأهل السواد: خصوص غير العرب منهم.
ومن أقوال عمر المشهورة قوله: «من كان جاره نبطياً، واحتاج إلى ثمنه
فليبعه» (٢).

كما أن عمر بن الخطاب لم يُقَدِّ النبطي من عبادة بن الصامت، حين
ضربه فشجه، لأن عبادة طلب منه أن يمسك له دابته فرفض، واكتفى
بإعطائه دية الضربة (٣).

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٦٥ وبحار الأنوار ج ٤٠ ص ٢٣٣.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ١٣٠ وبغداد لطيفور ص ٣٨ و ٤٠ والمحاسن
والمساوي ج ٢ ص ٢٧٨ والزهد والرقائق (قسم ما رواه نعيم بن حماد) ص ٥٢
ومحاضرة الأدباء ج ١ ص ٣٥٠ وقاموس الرجال للتستري ج ١٢ ص ١٥٠
ومعجم البلدان ج ٤ ص ٢٣٣ وراجع: الإيضاح لابن شاذان ص ٤٨٦ وراجع:
قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ص ٢٦٤ عن ابن قتيبة والحموي.

(٣) تهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٦ وتذكرة الحافظ ج ١ ص ٣١ والسنن الكبرى
للبيهقي ج ٨ ص ٣٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٦ ص ٤١٩ وتاريخ مدينة دمشق
ج ١٩ ص ٢٩٧ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٣١ وجامع المسانيد والمراسيل
ج ١٤ ص ٤٦٠ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٤٠ وكنز العمال ج ١٥ ص ٩٤
والغدِير ج ٦ ص ١٣٣.

وقد اعترض على أمير مكة نافع بن علقمة، لأنه ولي على مكة ومن بها من قريش رجلاً من الموالي، وهو عبد الرحمان بن أبزى^(١).

وحين الكلام عن تدوين الدواوين قلنا: إنه فضل العرب على العجم حتى بالنسبة لنساء رسول الله «صلى الله عليه وآله» فراجع.

ونهى عمر أيضاً أن يتزوج العجم من العرب، وقال: لأمنعن فرجوهن (فروج ذوات الأنساب) إلا من الأكفاء. أو قال: لأمنعن فروج العربيات إلا من الأكفاء^(٢).

(١) حياة الصحابة ج ٣ ص ١٥٠ وكنز العمال ج ٥ ص ٢١٦ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٣ ص ٥٦٠ عن أبي يعلى، والمصنف للصنعاني ج ١١ ص ٤٣٩ وفي هامشه عن مسلم وأبي يعلى ومنتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج ٥ ص ٢١٦ ومسند أبي يعلى ج ١ ص ١٨٦.

(٢) الإيضاح لابن شاذان ص ٢٨٠ و ٢٨٦ وفي هوامشه عن مصادر عديدة. وراجع: الإستغاثة ص ٤٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ١٣٣ والمصنف للصنعاني ج ٦ ص ١٥٢ و ١٥٤ ونفس الرحمان (ط حجرية) ص ٢٩ ومحاضرات الأدباء المجلد الثاني ج ٣ ص ٢٠٨ والمبسوط للسرخسي ج ٤ ص ١٩٦ والمغني لابن قدامة ج ٧ ص ٣٧٢ و ٣٧٥ وكشاف القناع للبهوتي ج ٥ ص ٧٣ والغارات للثقفى ج ٢ ص ٨٢٢ والمسترشد ص ٧٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ٤٦٦ و سنن الدارقطني ج ٣ ص ٢٠٦ ومعرفة السنن والآثار ج ٥ ص ٢٥٩ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٧ ص ٤٦٢ و ٤٦٦ وكنز العمال ج ١٦ ص ٥٣٤ والجرح =

ويقصد بالعجم: كل من ليس بعربي.

وقال الجاحظ: (وكان أشد منه (أي من أبي بكر) في أمر المناكح)^(١).

وقد أبى عمر أن يورث أحداً من الأعاجم إلا أحداً ولد في العرب^(٢).

زاد رزين قوله: أو امرأة جاءت حاملاً فولدت في العرب^(٣).

ودخل عمر بن الخطاب السوق، فلم ير فيه في الغالب إلا النبط،

فاغتم لذلك^(٤).

وقال: لا يدخل الأعاجم سوقنا حتى يتفقهوا في الدين^(٥).

ولكنه لم يمنع العرب من السوق حتى يتفقهوا في الدين، كما صنع مع

= والتعديل للرازي ج ٢ ص ١٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٧ ص ١٤٧ وج ١٩ ص ١٩٣.

(١) العثمانية للجاحظ ص ٢١١.

(٢) الموطأ لمالك ج ٢ ص ٥٢٠ والغدير ج ٦ ص ١٨٧ عنه، والمحلى لابن حزم ج ٩

ص ٣٠٣ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٤٠ والنص والإجتهد ص ٢٦٧ وتحفة

الأحوذى ج ١ ص ٦٣ وبداية المجتهد ج ٢ ص ٣٥١ وراجع: الإستذكار لابن

عبد البر ج ٥ ص ٣٧٢ وكنز العمال ج ١١ ص ٢٩ وتيسير الوصول ج ٢ ص ١٨٨

والمدونة الكبرى لمالك ج ٣ ص ٣٣٨ و ٣٦٥ و ٣٨٣.

(٣) تيسير الوصول ج ٢ ص ١٨٨ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٤٠.

(٤) التراتيب الإدراية ج ٢ ص ٢٠ وراجع ص ٢١.

(٥) التراتيب الإدراية ج ٢ ص ١٧.

الأعاجم؟!

وقال عمر بن الخطاب: عليكم بالتجارة، ولا تفتنكم هذه الحمراء على دنياكم.

قال أشهب: كانت قريش تتجر، وكانت العرب تحقر التجارة^(١).

وكان عمر لا يترك أحداً من العجم يدخل المدينة^(٢).

والحمراء: هم الموالي^(٣).

سليم بن قيس يتحدث:

وقد جمع سليم بن قيس سياسات عمر هذه بصورة أوضح وأتم، فهو يقول: وإخراجه من المدينة كل أعجمي.

وإرساله إلى عماله بالبصرة بحبل طوله خمسة أشبار، وقوله: «من

(١) التراتيب الإدارية ج ٢ ص ٢٠ عن العتبية، عن مالك.

(٢) راجع: مروج الذهب ج ٢ ص ٣٢٠ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٧٤ وراجع:

مجمع الزوائد ج ٩ ص ٧٥ عن الطبراني، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣

ص ٣٤٩ والمجروحون ج ٣ ص ٣٥٠ وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي

ص ٢٣٨ و ٢٤١ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٢٩.

(٣) راجع: لسان العرب ج ٤ ص ٢١٠ والنهاية في غريب الحديث ج ١ ص ٤٣٨

والغارات للثقفى ج ٢ ص ٨٣٠ وبحار الأنوار ج ٣٢ ص ٥٢٣ وج ٣٤ ص ٣١٩.

أخذتموه من الأعاجم فبلغ طول هذا الحبل، فاضربوا عنقه»^(١).
 وجاء في رسالة معاوية لزياد ما يلي:
 «وانظر إلى الموالي ومن أسلم من الأعاجم، فخذهم بسنة عمر بن
 الخطاب، فإن في ذلك خزيهم وذلمهم.
 أن تنكح العرب فيهم، ولا ينكحوهم.
 وأن ترثهم العرب ولا يرثوهم.
 وأن تقصر بهم في عطائهم وارضاقهم.
 وأن يُقدموا في المغازي، يصلحون الطريق، ويقطعون الشجر.
 ولا يؤم أحد منهم العرب في صلاة.
 ولا يتقدم أحد منهم في الصف الأول، إذا حضرت العرب، إلا أن
 يتموا الصف.
 ولا تولي أحداً منهم ثغراً من ثغور المسلمين، ولا مصراً من أمصارهم.
 ولا يلي أحد منهم قضاء المسلمين، ولا أحكامهم.
 فإن هذه سنة عمر فيهم وسيرته»..
 إلى أن يقول:

(١) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٦٨٢ وراجع: نفس الرحمان ص ٥٦٨ - ٥٧٠
 ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج ٢ ص ٣٣٤ وبحار الأنوار ج ٣٠
 ص ٣٠٩ وج ١٠٠ ص ١٦٥ ومستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ١٠٩.

«لولا أن عمر سن دية الموالي على النصف من دية العرب - وذلك أقرب للتقوى - لما كان للعرب فضل على العجم».

إلى أن قال: «وبحسبك ما سنه عمر فيهم فهو خزي لهم وذل».

إلى أن قال: «وحدثني ابن أبي معيط أنك أخبرتته: أنك قرأت كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري، وبعث إليه بحبل طوله خمسة أشبار. وقال له: اعرض من قبلك من أهل البصرة، فمن وجدته من الموالي، ومن أسلم من الأعاجم قد بلغ خمسة أشبار، فقدمه فاضرب عنقه».

فشاورك أبو موسى في ذلك فنهيته، وأمرته أن يراجع عمر فراجعته، وذهبت أنت بالكتاب إلى عمر.

وإنما صنعت ما صنعت تعصباً للموالي، وأنت يومئذ تحسب أنك منهم، وأنت ابن عبيد، فلم تزل بعمر حتى رددته عن رأيه، وخوفته فرقة الناس، فرجع.

وقلت له: ما يؤمنك - وقد عادت أهل هذا البيت - أن يثوروا إلى علي، فينهض بهم، فيزيل ملكك؟» فكف عن ذلك.

وما أعلم يا أخي: «أنه ولد مولود في آل أبي سفيان أعظم شؤماً عليهم منك، حين رددت عمر عن رأيه، ونهيته عنه».

إلى أن قال: «فلو كنت يا أخي لم ترد عمر عن رأيه لجرت سنة، ولا استأصلهم الله، وقطع أصلهم. وإذن لاستنتت به الخلفاء من بعده، حتى لا

يبقى منهم شعر، ولا ظفر، ولا نافخ نار، فإنهم آفة الدين»^(١).

الحبل الذي طوله خمسة أشبار:

وللحبل الذي طوله خمسة أشبار نظير آخر في سياسات عمر للناس وهو الحبل الذي أرسله في صبيان سرقوا بالبصرة، وقال: من بلغ طول هذا الحبل فاقطعوه^(٢).

وروى ابن أبي مليكة: أن عمر كتب في غلام عراقي سرق: أن اشبروه، فإن وجدتموه ستة أشبار فاقطعوه، فشبر، فوجد ستة أشبار تنقص منه أنملة، فترك^(٣).

ثم جاء بعد ذلك من استفاد من حبل عمر ذي الأشبار الخمسة، فيأمر بقتل كل من يتهمه إذا بلغ خمسة أشبار، فإن إبراهيم الإمام أرسل إلى أبي

(١) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٧٤٠-٧٤٥ و (ط أخرى) ص ٢٨٢ ونفس الرحمان ص ٥٦٨ - ٥٧٠ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ٢٦٢ - ٢٦٤. وراجع: الغارات للثقي ج ٢ ص ٨٢٤.

(٢) كتاب سليم بن قيس ج ٢ ص ٦٨٣ و (ط أخرى) ص ٢٣٢ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج ٢ ص ٣٣٤ وبحار الأنوار ج ٣٠ ص ٣١٠ و ج ١٠٠ ص ١٦٥ وغاية المرام ج ٦ ص ١٣٤.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ج ٦ ص ٤٧١ و ٤٧٢ والمصنف للصنعاني ج ١٠ ص ١٧٨ وكنز العمال ج ٥ ص ٥٤٤ والغدير ج ٦ ص ١٧١ وجامع المسانيد والمراسيل ج ١٤ ص ٤٤٦.

مسلم يأمره «بقتل كل من شك فيه، أو وقع في نفسه شيء منه. وإن استطاع أن لا يدع بخراسان من يتكلم العربية إلا قتله فليفعل. وأي غلام بلغ خمسة أشبار يتهمه فليقتله الخ..»^(١).

سياسات عمر تجاه العرب:

ثم كانت لعمر بن الخطاب سياسات تكريس الإمتيازات، وتأكيد تفوق العرب على كل من عداهم، وتتجلى هذه السياسات، في أقواله ومواقفه وتصرفاته التالية:

تقدم: أنه لم يقتص للنبطي من عبادة بن الصامت، بل اكتفى بإعطائه الدية..

وتحدثنا عن تمييزه للعرب على غيرهم في العطاء وفي الأرزاق..
وأشرنا إلى منعه من زواج غير العربي بالعربية..
وقلنا: إنه منع غير العرب من الإرث.. إلخ....

(١) تاريخ الأمم والملوك (ط ليدن) ج ٩ ص ١٩٧٤ وج ١٠ ص ٢٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٦ ص ١٤ و ١٥ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٩٥ والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٨ و ٦٤ والإمامة والسياسة ج ٢ ص ١١٤ و (تحقيق الزيني) ج ٢ ص ١١٤ و (تحقيق الشيري) ج ٢ ص ١٥٦ والنزاع والتخاصم ص ٤٥ و (ط أخرى) ص ١٣٥ والعقد الفريد ج ٤ ص ٤٧٩ و شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٦٧ وضحى الإسلام ج ١ ص ٣٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٠٣.

ونضيف إلى ما تقدم: أنه لما ولي قال: إنه لقبیح بالعرب أن يملك بعضهم بعضاً. وقد وسع الله عز وجل وفتح الأعاجم. واستشار في فداء سبايا العرب في الجاهلية والإسلام إلا امرأة ولدت لسيدها^(١).

قوله: ليس على عربي ملك^(٢).

(١) راجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٨٢ وتاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٥٤٩ وقضاء أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ص ٢٦٣ و ٢٦٤ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٢٥٠.

(٢) الأموال ص ١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ والإيضاح ص ٢٤٩ وقضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص ٢٦٤ وتاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٥٤٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٧٤ والمصنف للصنعاني ج ٧ ص ٢٧٨ والفايق في غريب الحديث ج ٣ ص ٢٥٨ والمصنف لابن أبي شيبه ج ٧ ص ٥٨٠ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٥٠ والمسترشد ص ١١٥ و (ط سنة ١٤١٥هـ) ص ٥٢٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ١٤٤ والمحلى لابن حزم ج ١٠ ص ٣٩ وسبل السلام للكحلاني ج ٤ ص ٤٥ وكنز العمال ج ٦ ص ٥٤٥ وغريب الحديث لابن سلام ج ٣ ص ٣٤١ والنهاية في غريب الحديث ج ٤ ص ٣٦١ والنظم الإسلامية لصبحي الصالح ص ٤٦٣ ولسان العرب ج ١١ ص ٦٣٢.

وقال: إني كرهت أن يصير السبي سنّة على العرب^(١).
وأعتق سبي اليمن وهن حبالى. وفرق بينهن وبين من اشتراهن^(٢).
وأعتق كل مصل من سبي العرب، وشرط عليهم أن يخدموا الخليفة
بعده ثلاث سنين^(٣).
وكان في وصيته: «أن يعتق كل عربي في مال الله. وللأمير من بعده
عليهم ثلاث سنوات، مثلما كان يليهم عمر»^(٤).
وحدد فداء العربي بعدد من الإبل، واختلفت فتاويه في مقداره: خمسة
أبصرة، أو ستة، أو نحو ذلك^(٥).

(١) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٣٩.

(٢) الإيضاح لابن شاذان ص ٢٤٩ والمثالب لابن شهر آشوب (مخطوط) ص ١٠٨.

(٣) المصنف للصنعاني ج ٨ ص ٣٨٠ و ٣٨١ و ج ٩ ص ١٦٨ وراجع: المسترشد
ص ١١٥ والشرح الكبير لابن قدامة ج ١٢ ص ٤٥١ والمحلى لابن حزم ج ٩
ص ١٨٥ والإستذكار ج ٧ ص ٤٢٠ وكنز العمال ج ١٠ ص ٣٥٩ والمغني لابن
قدامة ج ١٢ ص ٤٨٢ وبداية المجتهد لابن رشد الحفيد ج ٢ ص ٣١٤ وسبل
السلام ج ٤ ص ١٤٣.

(٤) المصنف للصنعاني ج ٨ ص ٣٨١ و ج ٩ ص ١٦٨ وكنز العمال ج ١٢ ص ٦٧٣.

(٥) راجع في ذلك: المصنف للصنعاني ج ٧ ص ٢٧٨ و ٢٧٩ و ج ١٠ ص ١٠٤ و ٣٠٢ و
١٠٣ وتاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٥٤٩ وشرح نهج
البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ١٤٤ والمحلى ج ١٠ ص ٣٨ وكنز العمال ج ٥ ص ٧٣٦.

ورد سبي الجاهلية، وأولاد الإماء منهم أحراراً إلى عشائريهم، على فدية يؤدونها إلى الذين أسلموا وهم في أيديهم.

قال: وهذا مشهور من رأيه^(١).

وأمر برد سبي مناذر وكل ما أصابوه منهم، على اعتبار أنها من قرى السواد^(٢).

ورد سبي ميسان، على الرغم من أن بعضهم قد وطأ جاريته زماناً. فردها، وهو لا يعلم إن كانت حاملاً منه أم لا^(٣).

كما أنه أخذ من نصارى تغلب العشر، ومن نصارى العرب نصف العشر^(٤).

(١) الأموال ص ١٩٧.

(٢) فتوح البلدان ص ٤٦٥ والأموال ص ٢٠٥ وكنز العمال ج ٤ ص ٤٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦١ ص ٢٨٩ ومعجم ما استعجم ج ٤ ص ١٢٦٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٣٣.

(٣) الأموال ص ٢٠٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٣٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ١٢٧.

(٤) المصنف للصنعاني ج ٦ ص ٩٩ وج ١٠ ص ٣٧٠ والمحلى لابن حزم ج ٦ ص ١١٤ و ١١٥ والمغني لابن قدامة ج ١٠ ص ٥٩٥ و ٥٩٨ ومسند ابن الجعد ص ٤٧ ونصب الراية ج ٢ ص ٤٣١ والشرح الكبير لابن قدامة ج ١٠ ص ٦٢٥ وراجع: التمهيد لابن عبد البر ج ٢ ص ١٣١.

وكان إذا بعث عماله شرط عليهم شروطاً منها:
لا تضربوا العرب فتذلوها.
ولا تجمروها فتفتنوها.
ولا تعتلوا عليها فتحرموها^(١).

خدمة الخليفة بعده: لماذا؟!!

ويستوقفنا ما تقدم من أن عمر اعتق سبي العرب المسلمين، مشروطاً عليهم خدمة الخليفة بعده. وأثبت ذلك في وصيته حتى بالنسبة لمن يعتقدون بعده..

ولعل هذا يؤيد، بل يؤكد: أنه كان يخطط لاستخلاف رجل بعينه وأنه كان على يقين من وصوله إلى مقام الخلافة، وأنه كان يسعى لجمع المؤيدين له ليعتضد به على ما نأواه..

(١) راجع: المصنف للصنعاني ج ١١ ص ٣٢٥ وتاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ٢٧٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٣٩ وج ١ ص ٢٧٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٤ ص ٢٧٧ والمسترشد ص ١١٥ والمستدرك للحاكم ج ٤ ص ٤٣٩ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٨٢ وكنز العمال ج ٣ ص ١٤٨ عن ابن أبي شيبة، والبيهقي و (ط مؤسسة الرسالة) ج ٥ ص ٦٨٩ والنظم الإسلامية لصبحي الصالح ص ٣١٠.

العرب لن تقتل عمر بن الخطاب:

وقد كان عمر مطمئناً إلى نتائج سياساته.. وأنها ستؤدي إلى حب جارف للخليفة لدى العرب، ومن هذه السياسات تفضيلهم وتقديمهم في كل ما ذكرناه آنفاً. ولأجل ذلك أمن عمر جانبهم، كما يدل عليه قوله حين طعنه أبو لؤلؤة: «قد كنت أظن أن العرب لن تقتلني»^(١).

وفي لفظ آخر: «ما كانت العرب لتقتلني»^(٢).

الرافد الأول والأساس:

وأخيراً.. فإن من الواضح: أن سياسات التمييز العنصري غريبة عن الاسلام، وبعيدة كل البعد عن تعاليمه، ومناقضة لتشريعاته. فهل تأثر رواد هذه السياسة وحماتها بغيرهم، ممن حرصوا عليها، حرصهم على أنفسهم، واعتبروها نهج حياة، وأساس تعامل؟! قد يجيب البعض بنعم، ويستدل على ذلك بأن كعب الأحبار، وابن سلام وغيرهم من مسلمة أهل الكتاب كان لهم تأثير في المحيط الذي

(١) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٧٦.

(٢) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٢٤٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ١٨٦ وكنز العمال ج ١٢ ص ٦٨١ - ٦٨٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٣٤٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٤ ص ٤١٤ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٣ ص ٩٠٣.

يعيشون فيه. وأهل الكتاب هم رواد هذا النهج، ولديهم نصوص دينية وتاريخية كثيرة تؤكد هذا الإتجاه فيهم، وقد قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ (١).

وهذه العقيدة وإن كانت في النصارى أيضاً كما هي في اليهود. ولكنها برزت في اليهود في نصوص أكثر صراحة ووضوحاً، فلاحظ ما يلي:
يقول اليهودي:

«قريب اليهود هو اليهودي فقط، وباقي الناس حيوانات في صورة إنسان. هم حمير، كلاب، وخنازير».

«إذا ضرب أميِّ إسرائيلياً، فكأنما ضرب العزة الإلهية»، «فالأمي يستحق الموت» (٢).

أما إعتبار اليهود أنفسهم شعب الله المختار، فلأن الله قد تزوج إسرائيل، وسجل عقد الزواج بينهما، وكانت السموات والارض شهوداً على هذا العقد (٣).

«ولليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم غير اليهود، والشعب المختار هم اليهود فقط، أما باقي الشعوب، فهم حيوانات.

(١) الآية ١٨ من سورة المائدة.

(٢) الكنز المرصود ص ٦٦ ومقارنة الأديان (اليهودية) ص ٢٧٢.

(٣) مقارنة الأديان (اليهودية) ص ٢١٢ و ٢١٣.

ويروى: أنه لما قدّم بخت نصر ابنته إلى زعيم اليهود ليتزوجها، قال له هذا الزعيم: «إني يهودي، ولست من الحيوانات إلخ...»^(١).

وجاء في تلمود أورشليم (ص ٩٤): إن النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان^(٢).

ويلزم المرأة أن تعيد غسلها إذا رأت عند خروجها من الحمام شيئاً نجساً، ككلب، أو حمار، أو مجنون، أو أمي، أو جمل، أو خنزير إلخ...^(٣).

وقالوا: «خلق الله الأجنبي على هيئة الانسان، ليكون لاثقاً لخدمة اليهود»^(٤).

وقالوا أيضاً: إن اليهود يعتبرون أنفسهم جزءاً من الله^(٥). بل يعتبرون أنفسهم مساوين للعزة الإلهية^(٦).

ويقولون:

(١) مقارنة الأديان (اليهودية) ص ٢٧٢. الكنز المرصود ص ٦٧ و ٦٨ وعن: التلمود شريعة إسرائيل ص ٢٥.

(٢) الكنز المرصود ص ٦٧ وراجع ص ٦٨.

(٣) الكنز المرصود ص ٦٧ وراجع ص ٦٨.

(٤) الكنز المرصود ص ٦٩.

(٥) الكنز المرصود ص ٦٦ واليهود قديماً وحديثاً ص ٦٩ ومقارنة الأديان (اليهودية) ص ٢٧٢.

(٦) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٧٢.

«نحن شعب الله في الأرض، وقد أوجب علينا أن نفرقنا لمنفعتنا، ذلك أنه لأجل رحمته ورضاه سخر لنا الحيوان الإنساني، وهم كل الأمم والأجناس، سخرهم لنا، لأنه يعلم: أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان: نوع أخرس - كالدواب، والأنعام، والطيور - ونوع ناطق، كالمسيحيين والمسلمين، والبوذيين، وسائر الأمم من أهل الشرق والغرب، فسخرهم، ليكونوا مسخرين لخدمتنا، وفرقنا في الأرض، لنمتطي ظهورهم، ونمسك بعنانهم إلخ..»^(١).

وفي بروتوكولات حكماء صهيون، البروتوكول الخامس عشر، والحادي عشر نصوص أخرى، فلترجع.. هذا عدا عما سوى ذلك، مما ورد في الموارد المختلفة.

وأخيراً..

فقد قال آدم متز: «كان أغلب تجار الرقيق في أوروبا من اليهود. وكان الرقيق يجلب كله - تقريباً - من المشرق الأدنى»^(٢).

هناك سبب آخر:

ونحن وإن كنا لسنا نرى أن لأهل الكتاب أثراً قوياً في سياسة التمييز العنصري هذه. غير أننا نرى أن علينا أن نضيف إلى ذلك ما يلي:

(١) اليهود قديماً وحديثاً ص ١٤ وتفسير الجواهر للطنطاوي ج ٢ ص ١٣٦.

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ٣٠١.

١- إن العرب في الجاهلية كانوا مجتمعاً عشائرياً قليلاً. وحين مجيء الإسلام تضاءل صوت القبلية والعشائرية إلى حد الخفوت، بصورة عامة. ولكنه بقي حياً وكامناً في أعماق الكثيرين، وبإمكان كل أحد أن يرى إطلاقاته المتكررة، كلما سنحت له الفرصة، وواتاه الظرف..

٢- إن الإنسان العربي قبل الإسلام لم يكن لديه - باستثناء البيت الهاشمي وما سبقهم من أنبياء عرب كما يقال في هود وصالح - لم يكن لديه - إلا الشاذ النادر، من الشخصيات الكبار، الذين يستطيع أن يباهي بهم، لم يكن لديه حضارة ولا تاريخ متميز، يمكنه أن يجد فيه ما يرضي غروره، وأن يبعث فيه الزهو والإعتزاز.

بل كان هذا المجتمع عبارة عن مجموعات بشرية، تعيش جاهليتها، وتجتر ضعفها، وترضى بانسحاقها، وتتوقعها في داخل محيطها الضيق، والخانق والقاتل.

وكانوا يتعاملون مع كل الأمم التي تحيط بهم، من موقع الحاجة، والضعف، والإستكانة، والفقير، فيقيسون ما هم فيه من ذل إلى ملك كسروي، وجبروت قيصري، فيرون البون الشاسع والفرق الكبير، فأين الثريا من الثرى. وأين الحضيض من السها. ثم هم ما بين ليلة وضحاها إنقلبت بهم الأمور، وأصبحوا هم الملوك على الناس، وصار مال الدنيا والملك بأيديهم. وقد وصف لنا قتادة حالهم قبل وبعد الإسلام فقال:

«كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلاً، وأشقاه عيشاً، وأبينه ضلالة، وأعراه جلوداً، وأجوعه بطوناً، معكومين على رأس حجر بين

أسدين: فارس، والروم. لا والله، ما في بلادهم يومئذ من شيء يجسدون عليه، من عاش منهم عاش شقيماً، ومن مات ردّي في النار، يؤكلون ولا يأكلون.

والله، ما نعلم قبيلاً يومئذٍ، من حاضر الأرض، كانوا فيها أصغر حظاً، وأدق فيها شأناً منهم، حتى جاء الله عزّ وجلّ بالإسلام، فورثكم به الكتاب وأحل لكم به دار الجهاد، ووضع لكم به من الرزق، وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس»^(١).

وهناك كلمات أمير المؤمنين «عليه السلام» المعبرة عن حالة العرب قبل الإسلام، وأنهم كانوا على: «شر دين، وفي شر دار، بين حجارة خشن، وحيات صم، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب إلخ..»^(٢).

وله «عليه السلام» كلمات أخرى تعبر عن حالة العرب.. فليراجعها من أرادها.. وليراجع أيضاً كلام المغيرة بن شعبة في هذا المجال^(٣). ولعمرو بن

(١) جامع البيان للطبري ج ٤ ص ٥٢ وضحي الإسلام ج ١ ص ١٨ عنه.

(٢) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ١ ص ٦٦ الخطبة رقم ٢٦. وراجع الخطبة رقم ١٨٧ أيضاً، وبحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٢٦ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٢٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ١٩.

(٣) تاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٣ ص ١٨ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٧ ص ٤٩ و (ط مكتبة المعارف) ج ٤ ص ٣٧ وراجع: الأخبار الطوال ص ١٢١ وحياة الصحابة ج ١ ص ٢٢٠.

العاص أيضاً كلام يشير إلى هذا الواقع، فمن أرادته فليراجعه^(١).

فجاء الإسلام فأيقظ هذه الأمة من سباتها، وبعث فيها الحياة رغم أنها قد رفضته وحاربه خلال سنين طويلة.

ولكنها حين وجدت في الإسلام كل هذا العطاء، وكل هذا الخير أسلمت وأسلمت إليه طرفاً من قيادها، ولكن ضمن الحدود التي تحفظ لها الكثير من مكوناتها الموروثة التي نشأت عليها في جاهليتها، وانقلبت الأمور، وأصبح العرب هم الحكام على الناس، وصار الملك والمال في أيديهم.. فأقبلوا على الدنيا، واستولوا عليها، واختصوا أنفسهم بكل مصادر الرزق والخير، والفضل والتقدم فيها..

ولكن ذلك لم يكن كافياً لإزالة عقدة التخلف والحقارة، والمهانة من نفوسهم بصورة حقيقية ونهائية. فكان من الطبيعي أن يكون استيلاؤهم على البلاد والعباد، ولا سيما على الإمبراطورية الكسروية، فضلاً عن غيرها، وصيرورتهم بين ليلة وضحاها أسياد العالم وحكامه، والمسيطرين على كل القدرات والإمكانات فيه، والمتصرفين بها كما يحلو لهم - كان من الطبيعي - أن يترك هذا الأمر أثراً في نفوسهم وعلى سلوكهم. لا سيما وأن

(١) مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢١٨ وج ٨ ص ٢٣٧ عن الطبراني، وحياة الصحابة ج ٣

ص ٧٧٠ عنه، ومسند أبي يعلى ج ١٣ ص ٣٣٨ وصحيح ابن حبان ج ١٤

ص ٥٢٢ وموارد الظمان ج ٥ ص ٣٦٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٦ ص ١٥٩

وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٧٠.

أكثريةهم الساحقة لم تكن قد تخلصت من مفاهيمها ورواسبها، وعصبياتها الجاهلية، ولم تكن قد تربت بعدُ على مفاهيم الحق والإيمان والإسلام، وإنما هي عاشت الإسلام بمستوى الشعار، والتوهج العاطفي، ولم يتجاوز ذلك إلى حد التأصل في وعيها، والتجذر في فكرها، والتمازج مع فطرتها، وملامسة ضميرها ووجدانها.

٣ - ومما زاد الطين بلة: أن الأمة قد تعرضت بعد وفاة نبيها لمسح إعلامي، ومسح تربوي وثقافي، عمل على إيجاد حالة جديدة، تستهدف تحويل الإتجاه في مرامي الطموح إلى مسار آخر، ينسجم مع المصالح الضيقة، والتغيرات العارضة، التي جاءت كنتيجة للتغيير غير الطبيعي الذي نال مركز القيادة بعد الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، فتسلّمت القيادة تلك الفئة التي خصّصت العرب بامتيازات ليست لهم، وما كانوا يفكرون فيها، ولا يحلمون بها.. فعكفوا على دنياهم، وغرقوا في زبارجها وبهارجها.

ولم يعد يهمهم، إلا أن يكرسوا لأنفسهم هذه الإمتيازات، ويحوظوها، ويحافظوا عليها، ثم أن يسعوا الحصول على المزيد منها، مهما كان ذلك ظالماً، ومدمراً للأخرين، أو مخالفاً للشرع، ولأحكام الدين، أو تمجه الأخلاق، وتآباه الفطرة..

٤ - وهناك أمر آخر أشارت إليه بعض الروايات، وفيها صرح النبي «صلى الله عليه وآله»: أن أهل بيته سليقون من بعده القتل والظلم والتشريد من قريش خاصة، ومن العرب عامة، وأن أكثر الناس سيرجعون بعده كفاراً.

وأشار إلى تأويل آية: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(١) بأن الله سوف يستبدل هؤلاء المرتدين بقوم آخرين، وقال: إنهم قوم سلمان.

ولعل كلام زياد لعمر حول سياسته مع الموالي قد زاده خوفاً من أن تؤدي سياسته إلى التفاف الموالي حول علي «عليه السلام»، وذلك يجعله يتقوى بهم على استعادة حقه. فزاده ذلك إصراراً على إضطهادهم، وتضعير شأنهم، وحرمانهم من أبسط الحقوق.

٥ - وحين جاء قرار التمييز والتفضيل للعرب على غيرهم من قبل رأس الهرم، وهو عمر بن الخطاب، كان من الطبيعي أن يصاب الكثيرون من العرب بداء الغرور والعنجهية، والكبرياء إلى حد الصلف في تعاملهم مع غير العرب، القائم على أساس الظلم، والتعدي، والإذلال، بل والإضطهاد إلى حد التفكير بإبادة جماعات من الذين كانوا بالأمس أسيادهم، وأصبحوا اليوم مواليتهم.

٦ - وبعد أن ملكوا الأموال، والضياع، والبلاد والعباد كان من المتوقع أن يسقطوا في حمأة الشهوات، وأن يستغرقوا بصورة بشعة، وغير معقولة ولا متزنة في الم لذات، ما حلّ منها، وما حرم. وأن تسحرهم الجواهر والمظاهر، وتأخذ عقولهم الدنيا وما فيها، من زبارج وبهارج.

ثم كان من الطبيعي في هذه الأجواء أن تبدأ ملامح شخصيتهم الإنسانية

(١) الآية ٥٤ من سورة المائدة.

بالإنحسار والتلاشي، ليرز عوضاً عنها ذلك المارد البهيمي الشرس، والضاري، الذي أفلت من القمقم، حين كان يعيش في ظلمات نفوسهم..

هذا المارد العتي، الذي لم يكن ليرحم أحداً يحاول أن يقف في وجهه، بل هو سوف يواجهه بالمزيد من المقت، والكرهية، والحققد، وبروح الإفناء والتدمير، لا يفرق بين نبي، أو ولي، ولا بين رسول ورسالة، ولا بين فضيلة أو تقوى، ولا بين فطرة أو عقل..

وهذا بالذات هو الذي يفسر لنا ما نال علياً «عليه السلام» وأهل بيته «عليهم السلام»، وشيعته، على مدى التاريخ. وما واقعة كربلاء عنا ببعيد.

وهو أيضاً يعطينا التفسير الدقيق لدوافع الحرب التي لا تزال تشن دون هوادة على الإسلام والقرآن، وعلى كل ما هو شرف ودين، وكمال وفضيلة..

ذلك أن علياً «عليه السلام» وأهل بيته «عليهم السلام» وشيعته، يلتزمون بتعاليم الإسلام، ويمثلون خط القرآن والإيمان، ويتحلون بفضائل الأخلاق، وكريم السجايا، ويهدون بهدى العقل والفطرة.

الفصل الخامس:

علي عليه السلام والتميز العنصري: سياسات ونائج

سياسات علي عليه السلام ومرتكزاتها:

وإذا عطفنا النظر إلى الإتجاه الآخر، فإننا نجد أن علياً «عليه السلام» وأهل بيته وشيعته ليس لهم سياسة تخصهم في هذا المجال، بل هم ساروا وفق التعاليم الإلهية، وعلى هدى القرآن والسنة النبوية، ووفق أحكام العقل والفطرة التي لخصتها الآية الكريمة: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (١).

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى» (٢).

وقد اعتبر «صلى الله عليه وآله»: أن كل من ولد في الإسلام فهو

(١) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

(٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٣ والعقد الفريد ج ٣ ص ٢٣٨ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١١١ ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٦٦ و ٢٧٢ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٨ ص ٨٤ والمعجم الكبير ج ١٨ ص ١٣ وزاد المعاد ج ٤ ص ٢٢ وراجع: شعب الإيمان ج ٥ ص ٢٨٦ والجامع الصغير ج ٢ ص ٤٦٣ ومسند أحمد ج ٥ ص ٤١١ والمعجم الأوسط ج ٥ ص ٨٦ ومسند ابن المبارك ص ١٠٦.

عربي^(١).

وروي نحو ذلك عن الإمام الباقر «عليه السلام» أيضاً^(٢).

وقد جاءت هذه البيانات - ولها نظائر كثيرة - متوافقة مع ما تقتضيه الفطرة، ويحكم به العقل. لأن جعل العرق أو اللون أو الجغرافيا، أو نحوها أساساً للتمييز والتفاضل بين البشر مما يأباه العقل، وترفضه الفطرة، ويدينه الوجدان. وذلك لما يلي:

أولاً: إن الإنسان هو أعلى ما في هذا الوجود، وقد سخر الله تعالى له ما في السماوات والأرض.. فلا يصح أن نضحى بإنسانية الإنسان وبكرامته من أجل أي شيء آخر. مهما غلا وعلا، فكيف إذا لم يكن كذلك، كما هو الحال في اللون، والجغرافيا، واللغة، والعرق، وما إلى ذلك..

وإذا ما شرفت بعض البقاع، فإنما هو لأن الله تعالى شرفها، لإسهامها في حفظ الإنسانية والكرامة للإنسان.

ثانياً: إن اللون والعرق، ونحوهما ليس من الأمور التي يصنعها الإنسان

(١) الجعفریات ص ١٨٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ٢٠٧ عنه، ومستدرک

الوسائل ج ١١ ص ١٢٦ عن روضة الكافي، ومجمع البحرين ج ٣ ص ١٤٦.

(٢) إقتضاء الصراط المستقيم ص ١٦٨ والكافي ج ٨ ص ١٤٨ و دعائم الإسلام ج ٢

ص ٣١٧ ومعاني الأخبار ص ٢٣٩ و ٤٠٤ و ٤٠٥ و شرح أصول الكافي ج ١٢

ص ١٥٥ وبحار الأنوار ج ٦٤ ص ١٧٩ و ١٨٠ و ج ٩٧ ص ٤٦ ومستدرک

سفينة البحار ج ٧ ص ١٤٢.

لنفسه، أو فقل: ليس من الأمور الاختيارية التي تسهم إرادة الإنسان في صنعها.

كما أن هذه الأمور وأمثالها ليست من أسباب تكوين كمالاته، وميزاته الإنسانية، ولا هي مما يقربه من هدفه الأسمى، وهو القرب من الله تبارك وتعالى، ونيل رضاه.. بل هي أمور مفروضة عليه، شاء ذلك أم أبى..
وحين يواجه الإنسان المشكلات، فإن هذه الأمور لا تسعفه في حلها، ولا تسهم في التغلب عليها.

ثالثاً: إن التفاضل إذا كان على أساس هذه الأشياء، فإنه سيكون من أسباب ظهور نزعات الكراهية بين الناس، وسيتهي الأمر إلى هدر كرامات وتضييع حقوق الكثيرين منهم، وتقويض مواهبهم، وإبطال خلاقيتهم، وطمس معالم الإبداع في عقولهم وأرواحهم، لأنها ستؤدي إلى معاملتهم بطريقة شاذة، لا يقرها عقل، ولا شرع، ولا ضمير.
وبدلاً من التعاون بين أهل الإيمان يكون التدابر والتنافر، وتدمير المنجزات، وهدر الطاقات، وتبديد القدرات.

وبدلاً من الإستقطاب والتعاون، والإتساع، واستجماع أسباب القوة، والتشبت بأنواع المعارف، يكون التفرق، والتجزئة والتمزق، وإحتكار كل الطاقات والأستثمار بالعلوم، والتقوى بها على الآخرين، والتفوق في ضمن دوائر ضيقة، وتجاهل كل ما يجمع ويقوي لصالح التشبت بالجزئيات التافهة، والتفاصيل والخصوصيات الميتة والعقيمة.

المعيار الصحيح:

وفي مقابل ذلك، فإن الإسلام قد أعطى الإمتيازات، وصنف الناس وفق محور عملي، من شأنه أن يعطي للإنسان نظرة شمولية جامعة، ويسهم في التكامل والتنامي، وبناء القوة، وتحقيق السعادة له، ويؤثر في حركته الدائبة نحو أهدافه الكبرى والسامية. وهو في نفس الوقت أمر اختياري، يستطيع الإنسان أن يسعى إليه، وأن يحصل عليه، ألا وهو التقوى، والعمل الصالح، والتحلي بالسجايا الفاضلة، والخصال الحميدة، بالإستناد إلى العلم النافع المعطاء، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ

(١) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

(٢) الآية ٩ من سورة الزمر.

(٣) الآيتان ٢٤ و ٢٥ من سورة إبراهيم.

عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا»^(١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾^(٢). وآيات كثيرة أخرى.

هذا بالإضافة إلى كلمات شريفة مروية عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعن الإئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، كلها تشير إلى هذه المعاني.

وبذلك يكون قد وضع الإنسان في حلبة التسابق نحو كل ما هو خير، وصلاح، وفلاح، ونجاح: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾^(٣)، ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤)، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾^(٥).

وهذه هي الحركة الطبيعية، المنسجمة مع فطرة الإنسان الصافية، ومع طموحاته الواقعية، ومع أمانيه الواسعة، وآماله العراض.

(١) الآية ٩٥ من سورة النساء.

(٢) الآية ١٠٠ من سورة المائدة.

(٣) الآية ١٤٨ من سورة البقرة، والآية ٤٨ من سورة المائدة.

(٤) الآية ١٣٣ من سورة آل عمران.

(٥) الآية ٣٢ من سورة فاطر.

مفردات عملية من سياسات علي عليه السلام:

ونذكر من مفردات سياسات علي «عليه السلام» في مواجهة التمييز العنصري، الذي كان يمارسه التيار الآخر بقوة وحماس، ما يلي:

١ - ما تقدم من أنه «عليه السلام» أعلن أن من أسلم من أهل السواد فنصيبه منه حر، وذلك بعد أن منع عمر من بيعهم بطريقة ذكية ورائعة.

٢ - لما ورد سبي الفرس إلى المدينة أراد عمر أن يبيع النساء، ويجعل الرجال عبيداً للعرب، وعزم على أن يحملوا الضعيف والشيخ الكبير في الطواف حول البيت على ظهورهم.

ولكن أمير المؤمنين «عليه السلام» فوت الفرصة عليه، حيث بادر إلى عتق نصيبه ونصيب بني هاشم، ففات على عمر ما كان أراد.

ونلاحظ هنا: أن علياً «عليه السلام» قد تصرف في نصيبه ونصيب بني هاشم، لأنه حين أعتق «عليه السلام» نصيبه، قال جميع بني هاشم: قد وهبنا حقنا أيضاً لك.

فقال لهم: اللهم أشهد أني قد أعتقت جميع ما وهبوني من نصيبهم لوجه الله تعالى.

فقال المهاجرون والأنصار: قد وهبنا حقنا لك يا أبا رسول الله.

فقال: اللهم اشهد أنهم قد وهبوا حقهم وقبلته. واشهد لي بأني قد أعتقتهم لوجهك.

فقال عمر: لم نقضت علي عزمي في الأعاجم؟! وما الذي رغبتك عن

رأيي فيهم؟!

فأعاد عليه ما قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» في إكرام الكرماء، وما هم عليه من الرغبة في الإسلام.

فقال عمر: قد وهبت لله ولك يا أبا الحسن ما يخلصني، وسائر ما لم يوهب لك.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: اللهم اشهد على ما قالوه، وعلى عتقي إياهم^(١).

٣ - «قال مغيرة: كان علي «عليه السلام» أميل إلى الموالي، وألطف بهم، وكان عمر أشدّ تباعداً منهم»^(٢).

٤ - كما أنه «عليه السلام» لم يكن يميز أحداً على أحد، لا في العطاء، ولا في غيره، معللاً ذلك بأنه لم يجد في القرآن لبني إسماعيل فضلاً على بني

(١) دلائل الإمامة (ط النجف) ص ٨١ و ٨٢ و (ط مؤسسة البعثة) ص ١٩٤ - ١٩٦ والعدد القوية ص ٥٧ و ٧٤ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٤٨ وبحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٥ و ١٦ و ج ٩٧ ص ٥٦ و ج ١٠١ ص ١٩٩ و ج ٤٥ ص ٣٣٠ و ج ٣١ ص ١٣٤ ونفس الرحمان ص ٥٧٠ وراجع: مستدرک الوسائل ج ١١ ص ١٣٢ و ج ١٥ ص ٤٨٤ والغارات للثقفى ج ٢ ص ٨٢٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ١٨٠ و ج ١٩ ص ٣٧٧ والدر النظيم ص ٥٨٠.

(٢) الغارات للثقفى ج ٢ ص ٤٩٩ و (تحقيق الأرموي) ج ٢ ص ٨٢٤ وبحار الأنوار ج ٣٤ ص ٣١٩ ومستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٤٦٥.

إسحاق، كما ورد في إجابته لتلك المرأة التي طالبت به بأن يفضلها على أخرى غير عربية^(١).

وقد كان ذلك من أهم أسباب تقاعد العرب عنه.

وقد أشير عليه بأن يميّز البعض من الناس على غيره، لكي تستقيم له الأمور، ففرض ذلك، حيث إنه لم يكن ليطلب النصر بالجور، على حد تعبيره صلوات الله وسلامه عليه^(٢).

-
- (١) راجع: الغارات للثقفى ج ١ ص ٧٠ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودى) ج ٢ ص ١٤١ والسنن الكبرى للبيهقى ج ٦ ص ٣٤٩ وتاريخ يعقوبى ج ٢ ص ١٨٣ والكافى ج ٨ ص ٦٩ وحياة الصحابة ج ٢ ص ١١٢ عن البيهقى، وبحار الأنوار ج ٣٢ ص ١٣٤ وج ٤١ ص ١٣٧ والغدير ج ٨ ص ٢٤٠ وبهج الصباغة ج ١٢ ص ١٩٧-٢٠٧ عن بعض من تقدم، وعن مصادر أخرى. وفي هامش الغارات عن: الوسائل ج ٢ ص ٤٣١ (ط أمير بهادر) وعن ثامن بحار الأنوار ٧٣٩.
- (٢) راجع: الأمالي للشيخ المفيد ص ١٧٥ و ١٧٦ والأمالي للشيخ الطوسي ج ١ ص ١٩٧ و ١٩٨ و (ط دار الثقافة) ص ١٩٤ و ١٩٥ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٦٥ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٨٣ و ٢٥٥ و ٣٥٧ وبحار الأنوار ج ٣٢ ص ٤٨ وج ٣٤ ص ٢٠٨ وج ٤٠ ص ٣٢١ وج ٤١ ص ١٠٨ و ١٢٢ وج ٧٢ =

وقد علمنا: أن من جملة ما نقمه عليه طلحة والزبير: أنه قد عدل عن سنة عمر بن الخطاب في العطاء، وذلك معروف عنه ومشهور^(١).

٥ - وسئل «عليه السلام»: أيجوز تزويج الموالي بالعربيات؟! فقال: تتكافأ دماؤكم، ولا تتكافأ فروجكم!^(٢).

وهذا.. على عكس ما كانت عليه سياسة عمر بن الخطاب في أمر النكاح،

= ص ٣٥٨ وج ٧٥ ص ٩٦ وج ٩٣ ص ١٦٥ والغارات للثقيفي ج ١ ص ٧٥ وج ٢ ص ٨٢٧ وبهج الصباغة ج ١٢ ص ١٩٦ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ١٠٧ و (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٨١ - ٨٢ والكافي ج ٤ ص ٣١ وتحف العقول ص ١٢٦ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص ١٨٥ والإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ١٩٧ و ٢٠٣ وج ٨ ص ١٠٩ ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٢ ص ٦ ومستدرك الوسائل ج ١١ ص ٩١ و ٩٣ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج ٢ ص ١٩٩ و ٢٠١ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ١٩٨ وج ١٤ ص ٩٠ ونهج السعادة ج ٢ ص ٤٥٣.

(١) راجع على سبيل المثال: المعياو والموازنة ص ١١٣ و ١١٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١١١ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٥٠ وج ٣٢ ص ٣٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٣ ص ١٠٢.

(٢) الإستغاثة ج ١ ص ٤٥ ومستدرك الوسائل ج ١٤ ص ١٨٦ والغارات للثقيفي ج ٢ ص ٨٢٨ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٣٦ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٠ ص ٧٤.

كما قدمناه..

٦ - وقد أتى الموالي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، فقالوا: نشكو إليك هؤلاء العرب: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يعطينا معهم العطايا بالسوية، وزوج سلمان، وبلالاً، وأبوا علينا هؤلاء، وقالوا: لا نفعل..

فذهب إليهم أمير المؤمنين، فكلّمهم.

فصاح الأعراب: أيينا ذلك يا أبا الحسن، أيينا ذلك.

فخرج وهو مغضب، يجر رداءه، وهو يقول: يا معشر الموالي، إن هؤلاء قد صيروكم بمنزلة اليهود والنصارى، يتزوجون منكم، ولا يزوجونكم، ولا يعطونكم مثل ما يأخذون، فاتّجروا بارك الله لكم إلخ..^(١).

٧ - وفي أيام خلافته «عليه السلام»، قال له الأشعث بن قيس وهو على

المنبر: يا أمير المؤمنين، غلبتنا هذه الحمراء على قربك!

قال: فركض على المنبر برجله.

فقال صعصعة: مالنا ولهذا - يعني الأشعث - ليقولن أمير المؤمنين

اليوم في العرب قولاً لا يزال يذكر!!..

(١) الكافي ج ٥ ص ٣١٨ و ٣١٩ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢٠ ص ٧١

والغارات للثقفى ج ٢ ص ٨٢٣ وحلية الأبرار ج ١ ص ٣٧٧ وج ٢ ص ٢٨٧ وجامع

أحاديث الشيعة ج ١٧ ص ١٢٠ وج ٢٠ ص ٧٧ وراجع: سفينة البحار (ط حجرية)

ج ٢ ص ١٦٥ ونفس الرحمان (ط حجرية) ص ٣٠ وبحار الأنوار ج ٤٢ ص ١٦٠.

فقال علي «عليه السلام»: من يعذرنى من هؤلاء الضيافة^(١)، يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار، ويهجر قوم للذكر، فيأمرني أن أطردهم إلخ..^(٢).

وتوقعات صعصعة، التي تحققت، تدل على أن ذلك كان معروفاً من رأي علي «عليه السلام» وطريقته. وكلمة علي «عليه السلام» تشير إلى أن الحديث هو عن المسلمين من

(١) الضيطر: هو الأحمر، العضل، الفاحش.

(٢) راجع: الكامل للمبرد ج ٢ ص ٦٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ١٢٤ وج ٢٠ ص ٢٨٤ والفائق ج ١ ص ٣١٩ وكنز العمال ج ٤ ص ٣٩٧ عن ابن أبي شيبة، والحارث، وأبي عبيد، والدورقي، وابن جرير وصححه، والبخاري وغيره الحديث ج ٣ ص ٤٨٤ والنهاية ج ٣ ص ٨٧ وراجع: تفسير العياشي ج ١ ص ٣٦٠ و ٣٦١ وبحار الأنوار ج ٣٤ ص ٣١٩ وج ٤١ ص ١١٨ والبرهان ج ١ ص ٥٢٧ ونور الثقلين ج ١ ص ٥٩٧ و ٥٩٨ وقاموس الرجال ج ٢ ص ٩٩ و نهج الصباغة ج ١٣ ص ٤٠٠ ومجلة نور علم، سنة ٢ عدد ٦ ص ٢٠ في مقال للعلامة المحقق الأحمدي الميانجي، عن بعض من تقدم، وعن نشر الدرر ج ١ ص ٢٩٩ و ٣٠٠ وعن تهذيب الكامل للسباعي ج ٢ ص ١١٦ وعن شرح الكامل للمرصفي ج ٤ ص ١٩٤. وراجع: كتاب الأم للشافعي ج ٧ ص ١٧٦ والغارات للثقفى ج ٢ ص ٤٩٨ و ٨٢٩ ومستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٤٦٥ و نهج السعادة ج ٢ ص ٧٠٣ ومسنَد أبي يعلى ج ١ ص ٣٢٢ وأمالي المحاملي ص ٢٠٠.

غير العرب. ويظهر أن التدين والعمل الصالح كان ظاهراً وشائعاً في الموالي أكثر منه في العرب.

ذرية علي عليه السلام تسير على نهجه:

وقد سار ولد علي أمير المؤمنين «عليه السلام» وأهل بيته على نفس هذه السياسة أيضاً، واعتمدوا عين هذا النهج، ويكفي أن نذكر:

١ - أن السجاد «عليه السلام» قد أعتق - على ما قيل - خمسين ألفاً^(١)، بل قيل: أعتق مائة ألف..^(٢).

٢ - وأعتق «عليه السلام» مولاته، ثم تزوجها، فكتب إليه عبد الملك بن مروان يعيره بذلك، فأجابه بكتاب جاء فيه: «..وقد رفع الله بالإسلام الخسيصة، وأتم به النقيصة، وأذهب اللوم، فلا لوم على امرئ مسلم، إنما اللوم لوم الجاهلية».

وقد اعترف عبد الملك حينئذٍ: بأن الإمام السجاد «عليه السلام» يرتفع من حيث يتضع الناس^(٣).

(١) زين العابدين، لعبد العزيز سيد الأهل ص ٤٧.

(٢) زين العابدين، لعبد العزيز سيد الأهل ص ٧.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٦٤ و ١٦٥ والكافي ج ٥ ص ٣٤٤ و ٣٤٥ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢٠ ص ٧٢ و (ط دار الإسلامية) ج ١٤ ص ٤٨ وراجع ص ٣٦١ وأئمتنا ج ١ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ عن: زين العابدين لعبد العزيز =

وقد نسبت هذه القضية للإمام الحسين مع معاوية^(١)، فلا بد من تحقيق ذلك، ولعل هذا الأمر قد تكرر لهما «عليهما السلام»، ولا مجال للإطالة في هذه العجالة..

٣ - وهناك رواية أخرى تقول: إن السجاد تزوج أم ولد عمه الحسن «عليه السلام»، وزوج مولاه أمه. (ونعتقد: أن المراد بكلمة «أمه» هنا مرضعته، لأن أمه قد توفيت، في نفاسها به)^(٢).

ويبدو أن مرضعته كانت عربية، ولعلها من بني هاشم، ولذلك أخذوا عليه أنه زوجها من مولى.

ويمكن أن يؤيد ذلك بمضمون جوابه لكتاب عبد الملك.

بل لعل كلمة أمه حرفت أو أبدلت في النسخ سهواً أو عمداً عن كلمة «أمته».

ولعل أمته كانت عربية فيكون أعتقها وزوجها مولاه فأخذوا عليه ذلك.

= سيد الأهل ص ٦٠. والعقد الفريد ج ٦ ص ١٢٨ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٠٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٠ ص ٧٩ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج ١٠ ص ٥.

(١) الإسلام والمشكلة العنصرية ص ٦٥ - ٦٦ عن: الموالي في العصر العباسي ص ٣٩.

(٢) عيون أخبار الرضا ح ٢ ص ١٢٨ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ١ ص ١٣٦ وبحار

الأنوار ج ٤٦ ص ٨ و ٩ وقاموس الرجال ج ١٢ ص ٢٨٦ وأعيان الشيعة ج ٧

ص ٣٥٣.

مع أنه قد لا يكون «عليه السلام» قد وطأ تلك الأمة، بل قد ملكها فقط..

وفي جميع الأحوال نقول: إنه لما بلغ ذلك عبد الملك هذا الأمر كتب إليه في ذلك، فكتب إليه السجاد:

فهمت كتابك، ولنا أسوة برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد زوج زينب بنت عمته زيدا مولاه. وتزوج مولاته صفية بنت حيي بن أخطب^(١).

٤ - ويكفي أن نذكر هنا: أن أمهات سبعة من الأئمة الإثني عشر «عليهم السلام» كن أمهات أولاد وهم:

الف - أم الإمام السجاد «عليه السلام» كانت فارسية.

ب - أم الإمام الكاظم حميدة كانت بربرية.

ج - أم الرضا «عليه السلام» سنديّة.

د - أم الإمام الجواد، قبطية أو نوبية.

هـ - أم الإمام الهادي أم ولد كانت مغربية.

و - أم الإمام العسكري أم ولد أيضاً.

(١) راجع: الكافي ج ٥ ص ٣٤٦ و ٣٦١. وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢١٤ وج ٤٦

ص ١٣٩ - ١٤٠ وج ١٠٠ ص ٣٧٤ والإسلام والمشكلة العنصرية ص ٦٦ عن

الموالي في العصر الأموي ص ٦٦ وكتاب الزهد للحسين بن سعيد الكوفي ص ٦٠

وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٠ ص ٨١.

ز- أم الإمام المهدي «عليه السلام» رومية.
وحسبنا ما ذكرنا، فإننا لسنا بصدد تتبع ذلك واستقصائه.

سلبيات سياسة العدل:

وبعد.. فإن هناك سلبيات فرضها أهل الباطل على أمير المؤمنين، بسبب إلتزامه بسياسة العدل التي أمر بها الله، وحكم بها العقل، ورضيت بها الفطرة. وقد تجلّى ذلك بصورة واضحة في موضوع العطاء، حيث استفز ذلك العرب وأغضبهم، فلاحظ النصوص التالية:

١- مساواة علي «عليه السلام» بين العرب وغيرهم، ولا سيما في العطاء، كانت من أهم أسباب الخلاف عليه، وكانت قسمته بالسوية أول ما أنكروه منه، وأورثهم الضغن عليه^(١).

وكان ذلك من أسباب خروج طلحة والزبير، ثم ما جرى في حرب الجمل^(٢).

وقد قال له عمار بن ياسر، وأبو الهيثم، وأبو أيوب، وسهل بن حنيف، وجماعة:

«إنهم قد نقضوا عهدك، وأخلفوا وعدك، ودعونا في السر إلى رفضك.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٧ ص ٣٧ وبحار الأنوار ج ٣٢ ص ١٨ والإمام علي

بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص ٦٦٦.

(٢) راجع: المعيار والموازنة ص ١١٣ و ١١٤.

هداك الله لرشدك، وذاك لأنهم كرهوا الأسوة، وفقدوا الإثرة، ولما آسيت بينهم وبين الأعاجم أنكروا إلخ..»^(١).

وكتب ابن عباس إلى الإمام الحسن «عليه السلام» يقول له:

«..وقد علمت أن أباك علياً، إنما رغب الناس عنه وصاروا إلى معاوية،

لأنه واسى بينهم في الفياء، وسوى بينهم في العطاء إلخ..»^(٢).

٢ - بل لقد كان للعرب، كل العرب موقف سلبي من علي «عليه

السلام»، عبر عنه هو نفسه، حينما كتب لأخيه عقيل:

«ألا وإن العرب قد أجمعت على حرب أخيك، إجماعها على حرب

رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقه،

وجحدوا فضله، وبادروه العداوة، ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كل

الجهد، وجروا إليه جيش الأحزاب إلخ..»^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٧ ص ٣٩ عن الأسكافي، وبهج الصباغة ج ١٢

ص ٢٠٠ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج ٢ ص ٢٧٧ والجمل لابن

شدقم ص ٦٨ وبحار الأنوار ج ٣٢ ص ١٩.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ١٤٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢٣

وراجع: حياة الإمام الحسن بن علي للقرشي ج ٢ ص ٢٦.

(٣) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج ١ ص ٥٤ و (تحقيق الشيري) ج ١ ص ٧٥

وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ١١٩ والغارات ج ٢ ص ٤٣١ وبحار

الأنوار ج ٢٩ ص ٦٢٢ وج ٣٤ ص ٢٣ و (ط قديم) ج ٨ ص ٦٢١ والدرجات =

سياسة علي عليه السلام:

وقد أثمرت سياسة العدل والمساواة لدى علي «عليه السلام» تعاطفاً وإحتراماً ومحبة من غير العرب، لأولئك الذين وجدوا فيهم التجسيد الحي لتعاليم الإسلام، وهم: علي، وأهل بيته «عليهم السلام»، وشيعته الأبرار، فقد كان من الطبيعي: أن تشدهم إليهم أواصر المحبة، وأن ينظروا إليهم بعين الإكبار، والإجلال، والتقدير الفائق، وأن يجدوا فيهم الملجأ والملاذ لهم، في جميع ما ينوبهم..

ويكفي أن نذكر هنا:

١ - أن الموالي كانوا هم أنصار المختار، في حركته التي كانت ترفع شعار الأخذ بثارات الحسين «عليه السلام»، وكان ذلك - على ما يبدو - هو السبب في تحاذل العرب عنه^(١).

٢ - كان لعثمان عبد، فاستشفع بعلي أن يكاتبه عثمان، فشفع له، فكاتبه^(٢).

= الرفيعة ص ١٥٦ ونهج السعادة ج ٥ ص ٣٠٢ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٥٨٠ والمعيار والموازنة ص ١٨٠ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٥٢٠ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ١ ص ٣٦٥.

(١) الخوارج والشيعة ص ٢٢٧ و ٢٢٨ وراجع: أنصار الحسين «عليه السلام» للشيخ محمد مهدي شمس الدين ص ١٩٥.

(٢) ربيع الأبرار ج ٣ ص ٢٢.

٣ - قال السيد أمير علي: «وقد أظهر الإمام علي منذ بداية الدعوة الإسلامية كل تقدير ومودة نحو الفرس، الذين اعتنقوا الإسلام. لقد كان سلمان الفارسي - وهو أحد مشاهير أصحاب الرسول - رفيق علي وصديقه. وكان من عادة الإمام أن يخصص نصيبه النقدي في الأنفال لأفتداء الأسرى. وكثيراً ما أقنع الخليفة عمر بمشورته، فعمد إلى تخفيف عبء الرعية في فارس.

وهكذا.. كان ولاء الفرس لأحفاده واضحاً تمام الوضوح»^(١).

٤ - ويرى فان فلوتن: أن من أسباب ميل الخراسانيين، وغيرهم من الإيرانيين إلى العلويين، هو أنهم لم يعاملوا معاملة حسنة، ولا رأوا عدلاً، إلا في زمن حكم الإمام علي «عليه السلام»^(٢).

٥ - وأخيراً.. فقد رأينا السودان - وهم ليسوا من العرب - يثورون ضد ابن الزبير، انتصاراً لابن الحنفية. وكان فيهم غلام لابن عمر اسمه رباح، فلما كلمه ابن عمر، متعجباً ومستفهماً عن سبب خروجه مع الثائرين، قال:

«والله، إنا خرجنا لنردكم عن باطلكم إلى حقنا..»^(٣).

هذا كله.. عدا عن أن هذه السياسة الإسلامية الخالصة، قد أسهمت

(١) روح الإسلام ص ٣٠٦.

(٢) السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات.

(٣) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٣ ص ٢٩٥.

في حفظ أصول الإسلام، وفي وعي تعاليمه، وترسيخ قواعده على المدى البعيد.. ثم في تعريف الناس على أولئك الذين يحملون هم الإسلام للإسلام، لا لأجل مصالحهم الخاصة، ولا لتحقيق مآربهم في التسلط والهيمنة على الآخرين واستغلالهم..

فهم يعيشون الإسلام قضيةً وفكراً، وطريقة، ومنطلقاً، وهدفاً، ويجسدونه رسالةً إلهيةً، وانسانيةً، تنبض بالحياة، وتزخر بالمعاني السامية، والغنية في مضامينها، كما هي غنية في عطائها، وروافدها.

وفاء.. وإبتلاء:

وقد ظهر مما تقدم: أن العرب كانوا أوفياء لمؤسس سياسة التمييز العنصري، وهو عمر بن الخطاب، وكانت المتاعب والمشكلات من نصيب علي «عليه السلام».

نعم.. إن رائد سياسة تفضيل العرب على غيرهم وتخصيص العرب بكل الإمتيازات الظالمة والفاشمة على حساب كل من هو غير عربي هو عمر بن الخطاب. وقد نسبت إليه كل تلك الفتوحات الواسعة والكبيرة، التي مكنت العرب من الدنيا وما ومن فيها، وإن كانت الحقيقة هي أن اصحاب علي «عليه السلام» هم أصحاب السهم الأوفر فيها، ولكن عمر قد خص نفس بفريق انتقاه بعناية: وكان أكثره من قريش ينفذ تلك السياسات، ويهيء الناس للطاعة، وللتعلق بصانعي تلك المنجزات، وأن يكونوا معهم وفي حزبهم. وقد أشار علي «عليه السلام» إلى ذلك بقوله وهو يتحدث عن قريش:

«ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الأمراء القائمين عليها، فتأكد عند الناس نباهة قوم، وخمول آخرين إلخ..» (١).

سلبات الفتوحات:

ويرد هنا سؤال: وهو أن من الواضح: أن الكثير من الممارسات التي حصلت في الفتوحات لم يكن مرضية من الناحية الشرعية، والإنسانية.. فهل يتحمل علي «عليه السلام» مسؤوليتها؟! فإن المفروض أن علياً وشيعته كانت لهم اليد الطولى فيها، إن لم نقل إن انجاز ما هو اساسي منها قد تم على أيديهم، وتدبيرهم، ومشاركتهم القوية والعميقة فيه..

ونجيب:

إن هناك فرقاً كبيراً من انجاز الفتح الكبير الذي اريد به تحصين أهل الإسلام من عدوان تلك الدولة القوية والخطرة على كل وجودهم.. فكان لا بد لحفظ الإسلام وأهله من ضرب تلك القوة التي يمكن أن تتركهم وشأنهم، مع حالة الحرب التي تفرض نفسها على المحيط كله..

أما الممارسات الخاطئة فهي اما حديث في حروب صغيرة كان يخوضها آخرون هنا وهناك.. أو أنها حصلت في دائرة الممارسات التي ظهرت بعد حصول الفتح وامسك الآخرون من أدوات الحكم بمقاليد الأمور.. ولم يعد لعلّي «عليه السلام» وشيعته أي دور عناصر غير منضبطة ولا مسؤولة

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢٠ ص ٢٩٩ والإمام علي بن أبي طالب «عليه

السلام» للهمداني ص ٧٢٨ والدرجات الرفيعة ص ٣٧.

من أو حصل اثناء الفتح من قبل الذين لا يلتزمون بنظام ولا يطيعون اوامر قادتهم، تماماً كما فعله خالد بن الوليد ببني جذيمة..

فكان من الطبيعي: أن يوجد ذلك التمييز والتفضيل للعرب، تياراً جارفاً من الحب، والتعظيم والتبجيل لذلك الذي كان السبب في حصولهم على كل ما حصلوا عليه، وأن يصبح رأيه فيهم كالشرع المتبع، وتصبح سنته فيهم هي السنة الماضية.

ويكفي أن نذكر: أنه قد بلغ من عظمة عمر بن الخطاب: أن علياً «عليه السلام» لم يستطع أن يمنع جنده من صلاة التراويح، حتى قال «عليه السلام»:

«..وتنادى بعض أهل عسكري، ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام، غيرت سنة عمر. ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً. ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري»^(١).

وفي نص آخر: أنهم سألوه أن ينصب لهم إماماً يصلي بهم نافلة شهر

(١) الكافي ج ٨ ص ٥٩ - ٦٣ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٨ ص ٤٦ و (ط دار الإسلامية) ج ٥ ص ١٩٣ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج ٢ ص ٦٢ والإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٣٩٢ - ٣٩٣ وبحار الأنوار ج ٣٤ ص ١٦٨ و ١٧٤ ج ٩٣ ص ٣٨٤ وجامع أحاديث الشيعة ج ٧ ص ٢١٣ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص ٧٣٥ والحدائق الناضرة ج ١٠ ص ٥٢٢ وجواهر الكلام ج ١٣ ص ١٤١.

رمضان، فزجرهم، وعرفهم: أن ذلك خلاف السنة، فتركوه، واجتمعوا لأنفسهم، وقدموا بعضهم، فبعث إليهم ولده الحسن ليفرقهم، «فلما رأوه تبادروا إلى أبواب المسجد، وصاحوا: واعمره»^(١).

ولعل أول من صاح بذلك هو قاضيه شريح^(٢).

وحينما أراد أن يعزل شريحاً عن القضاء، قال له أهل الكوفة: «لا تعزله، لأنه منصوب من قبل عمر، وقد بايعناك على أن لا تغير شيئاً قرره أبو بكر وعمر»^(٣).

وليس معنى هذا: أنهم قد صرحوا له بهذا الشرط، وقبله منهم. فحاشاه «عليه السلام» أن يفعل ذلك.. بل المقصود: أن هذا الأمر كان هو المرتكز في نفوسهم عند بيعتهم له. ولو عقلوا أنه سوف لا يفعل ذلك لما بايعوه.

(١) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٢٨٣ وج ١ ص ٢٦٩ والصرط المستقيم ج ٣ ص ٢٦ وتلخيص الشافي ج ٤ ص ٥٨ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٧ و ٨ وج ٣٤ ص ١٨١ و (ط قديم) ج ٨ ص ٢٨٤ والشافي في الإمامة ج ٤ ص ٢٢٠ وتقريب المعارف ص ٣٤٧ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٥٦٢ وإحقاق الحق (الأصل) ص ٢٤٧.

(٢) تنقيح المقال للمامقاني ج ٢ ص ٨٣ وقاموس الرجال ج ٥ ص ٦٧.

(٣) كشف القناع عن حجية الإجماع ص ٦٤ وراجع: تنقيح المقال للمامقاني ج ٢ ص ٨٣ وقاموس الرجال ج ٥ ص ٦٧.

ومن المعلوم: أنه «عليه السلام» لم يرض في الشورى بأن يتعهد لهم بالعمل بسنة أبي بكر وعمر، رغم محاولتهم ذلك، واصر على الإقتصار على كتاب الله، وسنة رسوله..

كما أن يزيد بن المهلب قد وعد الناس بالعمل بسنة العمرين^(١). وليس بسنة النبي «صلى الله عليه وآله»!!

وقد قال أمير المؤمنين «عليه السلام» لطلحة والزبير، الذين قاتلا أمير المؤمنين «عليه السلام» بأهل البصرة العراقيين:

«..ما الذي كرهتما من أمري، ونقمتما من تأميري، ورأيتما من خلافي؟!»

قالا: خلافاً عمر بن الخطاب، وأئمتنا، وحقنا في الفيء الخ..»^(٢).

ونادى أصحاب الجمل بأمر المؤمنين قائلين: «أعطنا سنة العمرين»^(٣).

(١) محاضرات الراغب المجلد الثاني جزء ٣ ص ١٨٨ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٣٣٦ والكامل في التاريخ ج ٥ ص ٧٦ وكتاب الفتوح لابن أعثم ج ٨ ص ٢٢٢.
(٢) المعيار والموازنة ص ١١٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٧ ص ٤١ وفضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ص ٩٤ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج ٢ ص ٢٨٠ والأماي للطوسي ص ٧٣٢ والجمل لابن شدقم المدني ص ٧٢ وبحار الأنوار ج ٣٢ ص ٢١ و ٣٠.

(٣) الكامل للمبرد (ط دار نهضة مصر) ج ١ ص ١٤٤ وراجع: الكافي ج ٨ ص ٥٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ٢٦٩ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٤٣ والأخبار الطوال ص ٢٠٧ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ =

وقال الخوارج لقيس بن سعد: «لسنا متابعيكم أو تأتونا بمثل عمر.
فقال: والله، ما نعلم على الأرض مثل عمر، إلا أن يكون صاحبنا».
وحسب نص الطبري: «ما نعلمه فينا غير صاحبنا، فهل تعلمونه
فيكم؟!»^(١).

وحينما أراد الخوارج إقناع بعض زعمائهم، وهو زيد بن حصين، بقبول
الولاية عليهم، اجتمعوا إليه، وقالوا له: «أنت سيدنا وشيخنا، وعامل عمر
بن الخطاب على الكوفة، تولّ إلخ..»^(٢).

كما أن نجدة بن عامر الحروري: قد تخلى عن فكرة مهاجمة المدينة، لما أن
«أخبر بلبس عبد الله بن عمر بن الخطاب السلاح، تأهباً لقتاله مع أهل
المدينة، ذلك أن نجدة، وسائر الخوارج، كانوا يوقرون أباه عمر بن الخطاب
توقيراً شديداً».

وقد اختاره نجدة للإجابة على مسأله، فكتب إليه نجدة يسأله عن

= ص ٣٧٠ - ٣٧١ وتنقيح المقال ج ٢ ص ٨٣ ومعاني القرآن للنحاس ج ٦

ص ٣٦٢ وتفسير السمعي ج ٥ ص ١٠٣ والبرهان للزركشي ج ٣ ص ٣١٢.

(١) الأخبار الطوال ص ٢٠٧ وتاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٦٢ والكامل لابن الأثير

ج ٣ ص ٣٤٣ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٣٧٠ و ٣٧١

وبهج الصباغة ج ٧ ص ١٤٣ والغدير ج ٢ ص ٨٣ وشرح إحقاق الحق

(الملحقات) ج ٣٢ ص ٥٣٣.

(٢) الثقات ج ٢ ص ٢٩٥ والخوارج والشيعة ص ٧١.

أشياء في الفقه، لكنها كانت أسئلة عويصة، فترك الإجابة عنها إلى ابن عباس^(١).

ويذكرون أيضاً: أن ابن عباس، قد أشار على أمير المؤمنين «عليه السلام» بإبقاء معاوية على الشام، واحتج لذلك بقوله: «فإن عمر بن الخطاب ولاه الشام في خلافته»^(٢).

وحينما عاتب أمير المؤمنين «عليه السلام» الخليفة الثالث عثمان بن عفان، في أمر تولي معاوية للشام، قال له عثمان: «أنكرت علي استعمال معاوية، وأنت تعلم: أن عمر استعمله؟!

قال علي «عليه السلام»: نشدتك الله، ألا تعلم أن معاوية كان أطوع لعمر من يرفاً غلامه؟! إن عمر كان إذا استعمل عاملاً وطأ على صماخه إلخ...»^(٣).

وفي نص آخر: إن عثمان قال له: «ألم يولّ عمر المغيرة بن شعبة، وليس هناك؟

قال: نعم.

(١) الخوارج والشيعة ص ٧١ و (ترجمة د. عبد الرحمن بدوي - ط دار الجليل) ص ٦٠ وراجع: مواقف الشيعة ج ٣ ص ٣٨٧.

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ (ط أولى) ص ٤٩ و (ط دار الحديث) ج ١ ص ٣٥٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٦٢٩.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ٢٤.

قال: أو لم يولّ معاوية؟!

قال: علي «عليه السلام»: إن معاوية كان أشد خوفاً وطاعة لعمر من يرفأ. وهو الآن يبتز الأمور دونك إلخ..»^(١).

هذا.. وقد احتج معاوية نفسه على صعصعة وأصحابه بنصب عمر له، فليراجع^(٢).

ولما خرجت الخوارج من الكوفة، أتى علياً أصحابه، وشيعته، فبايعوه، وقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، فشرط لهم فيه سنة النبي «صلى الله عليه وآله».

فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي، وكان شهد معه الجمل، وصفين، ومعه راية خثعم، فقال له: بايع على كتاب الله، وسنة رسوله.

فقال ربيعة: على سنة أبي بكر، وعمر..

فقال له علي «عليه السلام»: ويلك، لو أن أبا بكر وعمر عملاً بغير

(١) أنساب الأشراف ج ٥ ص ٦٠ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٥٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٧٧ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ قسم ٢ ص ١٤٣ والغدير ج ٩ من ١٦٠ عنهم، وعن تاريخ أبي الفداء ص ١٦٨، والنصائح الكافية ص ١٧٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ٢٦٥.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣١٦ والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٤٣ والغدير ج ٩ ص ٣٥ عن: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ١٥٨ - ١٦٠ وعن العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ص ٣٨٧ - ٣٨٩ وعن تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٦٨.

كتاب الله، وسنة رسوله، لم يكونا على شيء من الحق..

فبايعه ربيعة.

ونظر إليه علي «عليه السلام»، فقال: أما والله، لكأني بك، وقد نفرت مع هذه الخوارج، فقتلت، وكأني بك، وقد وطأتك الخيل بحوافرها..

فقتل يوم النهر.

قال قبيصة: فرأيته يوم النهران قتيلاً، قد وطأت الخيل وجهه، وشدخت رأسه، ومثلت به.

فذكرت قول علي، فقلت: لله در أبي الحسن، ما حرك شفتيه قط بشيء إلا كان كذلك^(١).

وقال الأشعث بن قيس لأمير المؤمنين «عليه السلام» فيما يرتبط بإرسال أبي موسى للتحكيم: «.. وهذا أبو موسى الأشعري، وافد أهل اليمن إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وصاحب مغنم أبي بكر، وعامل عمر بن الخطاب..»^(٢).

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤٦ و (تحقيق الزيني) ج ١ ص ١٢٦ و (تحقيق الشيري) ج ١ ص ١٦٧ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٥٦ و بهج الصباغة ج ٧ ص ١٧٩ والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٣٧ ونهج السعادة ج ٢ ص ٣٦٥.

(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣٠ و (تحقيق الزيني) ج ١ ص ١١٣ و (تحقيق الزيني) ج ١ ص ١٤٩.

غير العرب هم رواد العلم والثقافة:

ورغم أن السياسة الأموية القاسية تجاه غير العرب، والتي لم تكن إلا استمراراً لسياسة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب قد أرهقت غير العرب، وحرمتهم من أبسط الحقوق الإنسانية والشرعية.. فإن هؤلاء الناس قد اتجهوا نحو ما هو أهم ونفعه أعم، فحصلوا على المجد والرفعة عن طريق العلم والمعرفة، واقبلوا على الإسلام، وعلى النهل من معين معارفه، وآدابه، والغوص في بحار علومه وحقائقه بصورة مثيرة ومذهلة.

حتى أصبحوا في مدة وجيزة علماء الأمة، وقراء الإسلام، ودعاته، وللتدليل على ذلك نذكر هنا النصوص التالية:

١- قال أبو هلال العسكري عن الحجاج:

«..وهو أول من نقش على يد كل رجل اسم قريته، ورده إليها.

وأخرج الموالى من بين العرب..

إلى أن قال: وكان الذي دعاه إلى ذلك: أن أكثر القراء، والفقهاء، كانوا

من الموالى.

وكانوا جلّ من خرج عليه مع ابن الأشعث، فأراد أن يزيلهم من

موضع الفصاحة والأدب، ويخلطهم بأهل القرى، فيخمل ذكرهم.

وكان سعيد بن جبير منهم، وكان عبد رجل من بني أسد، اشتراه ابن

العاص، فأعتقه، فلما أتى به إلى الحجاج، قال: يا شقي بن كسير، أما قدمت

الكوفة، وما يؤم بها [إلا] (١) عربي، فجعلتك إماماً؟! إلخ..» (٢).

٢- روى الحاكم بسنده عن الزهري، قال:

«قدمت على عبد الملك بن مروان، فقال لي: من أين قدمت يا زهري؟!

قلت: من مكة.

قال: فمن خلفت بها يسود أهلها؟!

قلت: عطاء بن أبي رباح.

قال: فمن العرب أم من الموالي؟!

قال: قلت: من الموالي.

قال: وبم سادهم؟!

قلت: بالديانة والرواية.

قال: إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا.

قال: فمن يسود أهل اليمن؟!

قال: قلت: طاووس بن كيسان.

(١) هذه الكلمة ساقطة من كتاب الأوائل، لكنها موجودة في شذرات الذهب وفي

وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧٣.

(٢) الأوائل للعسكري ج ٢ ص ٦١ و ٦٢ وراجع: العقد الفريد ج ٣ ص ٤١٦ -

٤١٧، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٠٩. ولم يذكر في العقد قصة سعيد بن جبير.

وهي في وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٧٣.

قال: فمن العرب أم من الموالي؟!

قال: قلت من الموالي.

قال: وبم سادهم؟!

قلت: بما سادهم به عطاء.

قال: إنه لينبغي.

قال: فمن يسود أهل مصر؟!

قال: قلت: يزيد بن أبي حبيب.

قال: فمن العرب أم من الموالي؟!

قال: قلت: من الموالي.

قال: فمن يسود أهل الشام؟!

قال: قلت: مكحول.

قال: فمن العرب أم من الموالي؟!

قال: قلت: من الموالي، عبد نوبي، أعتقته امرأة من هذيل.

قال: فمن يسود أهل الجزيرة.

قلت: ميمون بن مهران.

قال: فمن العرب أم من الموالي؟!

قال: قلت: من الموالي.

قال: فمن يسود أهل خراسان؟!

قال: قلت: الضحاك بن مزاحم.

قال: فمن العرب أو من الموالي؟!

قال: قلت: من الموالي.

قال: فمن يسود أهل البصرة؟!

قال: قلت: الحسن بن أبي الحسن.

قال: فمن العرب أم من الموالي؟!

قال: قلت: من الموالي.

قال: فمن يسود أهل الكوفة؟!

قال: قلت: إبراهيم النخعي.

قال: فمن العرب أم من الموالي.

قال: قلت: من العرب.

قال: ويلك يا زهري، فرجت عني والله، ليسودن الموالي على العرب،

حتى يخطب لها على المنابر، والعرب تحتها!.

قال: قلت: يا أمير المؤمنين، إذاً هو أمر الله، ودينه، من حفظه ساد،

ومن ضيعه سقط^(١).

٣- وعن العباس بن مصعب، قال:

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ١٩٨ - ١٩٩ وتحفة الأحوذى ج ١ ص ٦٢ وج ٨

ص ٢١٦ ومقدمة ابن الصلاح ص ٢٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٠ ص ٣٩٣

وج ٥٦ ص ٣٠٤ وتهذيب الكمال ج ٢٠ ص ٨١ وسير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٨٥.

خرج من مرو أربعة من أولاد العبيد، ما منهم أحد إلا وهو إمام عصره:

عبد الله بن المبارك، ومبارك عبد.

وإبراهيم بن ميمون الصائغ. وميمون عبد.

والحسين بن واقد. وواقد عبد.

وأبو حمزة، محمد بن ميمون السكري، وميمون عبد^(١).

ثم ذكر الحاكم جماعة من كبار التابعين وأئمة المسلمين، كلهم من الموالي، فمن أراد الإطلاع على ذلك، فليراجع كتابه: معرفة علوم الحديث ص ١٩٩ - ٢٠٠.

٤ - ودخل محمد بن أبي علقمة على عبد الملك بن مروان، فقال: من سيد الناس بالبصرة؟!

قال: الحسن.

قال: مولى، أو عربي؟!

قال: مولى.

قال: ثكلتك أمك، مولى ساد العرب؟!

قال: نعم.

قال: بم؟!

(١) معرفة علوم الحديث ص ١٩٩ والأنساب للسمعاني ج ٣ ص ٥١٥.

قال: استغنى عما في أيدينا من الدنيا، وافتقرنا إلى ما عنده من العلم
إلخ..(١).

٥ - وقال ابن أبي ليلى: قال لي عيسى بن موسى، وكان دياناً، شديد
العصبية: من كان فقيه البصرة؟!

قلت: الحسن بن الحسن.

قال: ثم من؟!

قلت: محمد بن سيرين.

قال: فما هما؟!

قلت: موليان.

قال: فمن كان فقيه مكة؟!

قلت: عطاء بن رباح، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وسليمان بن يسار.

قال: فما هؤلاء؟!

قلت: موالي.

قال: فمن كان فقهاء المدينة؟!

قلت: زيد بن أسلم، ومحمد بن المنكدر، ونافع بن أبي نجيح.

قال: فما هؤلاء؟!

قلت: موالي.

(١) ربيع الأبرار ج ١ ص ٨١١.

فتغير لونه ثم قال: فمن كان أفقه أهل قباء؟!!

قلت: ربيعة الرأي، وابن أبي الزناد.

قال: فما كانا؟!!

قلت: من الموالي.

فأربد وجهه، ثم قال: فمن كان فقيه اليمن؟!!

قلت: طاووس، وابنه، وهمام بن منبه.

قال: فما هؤلاء؟!!

قلت: من الموالي.

فانتفخت أوداجه، وانتصب قاعداً، ثم قال: فمن فقيه خراسان؟!!

قلت: عطاء بن عبد الله الخراساني.

قال: فما كان عطاء هذا؟!!

قلت: مولى.

فازداد وجهه تربداً، واسود اسوداداً، حتى خفته، ثم قال: فمن كان

فقيه الشام؟!!

قلت: مكحول.

قال: فما مكحول هذا.

قالت: مولى.

فازداد تغيطاً وحنقاً، ثم قال: فمن كان فقيه الجزيرة؟!!

قلت: ميمون بن مهران.

قال: فما كان؟!؟

قلت: مولى.

قال: فتنفس الصعداء، ثم قال: فمن كان فقيه الكوفة؟!؟

قال: فوالله لولا خوفه لقلت: الحكم بن عتيبة، وعمار بن أبي سليمان.
ولكن رأيت فيه الشر؛ فقلت: إبراهيم، والشعبي.

قال: فما كانا؟!؟

قلت: عريان.

قال: الله أكبر. وسكن جأشه^(١).

٦ - وقال عبد الرحمان بن زيد بن أسلم: لما مات العبادلة: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص، صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي:
فقيه مكة: عطاء.

وفقيه اليمن: طاووس.

وفقيه اليمامة: يحيى بن أبي كثير.

وفقيه البصرة: الحسن البصري.

وفقيه الكوفة: إبراهيم النخعي.

وفقيه الشام: مكحول.

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ٤١٥ و ٤١٦.

وفقيه خراسان: عطاء الخراساني.

إلا المدينة، فإن الله حرسها بقرشي، فقيه غير مدافع: سعيد بن المسيّب الخ.. (١).

ولكن ذكر إبراهيم النخعي في جملة الموالي لا يصح، فإنه كان عربياً من النخع من مذحج.

وقد يجوز لنا أن نتساءل هنا، فنقول: لماذا كانت الحراسة بقرشي لخصوص المدينة؟! مع أن مكة أشرف منها وأقدس، لأن فيها الكعبة المشرفة، قبة المسلمين، وبيت الله. فلماذا لم يحرسها الله بقرشي؟! وأصل قریش منها.

ولعل الأصح: خصها، كما في معجم البلدان.

كما أننا نرى أن لنا الحق في تسجيل تحفظ فيما يرتبط بنسبة الفقاهة إلى أكثر العبادلة، الذين ذكرت أسماؤهم، ولمناقشة هذا الأمر موضع آخر.

٧ - وقال ياقوت عن أهل خراسان: «فأما العلم، فهم فرسانه، وساداته، وأعيانه. ومن أين لغيرهم مثل: محمد بن اسماعيل البخاري الخ..» (٢).

(١) شذرات الذهب ج ١ ص ١٠٣ ومعجم البلدان ج ٢ ص ٣٥٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٠ ص ٤٢٦ وج ٦٠ ص ٢١٤ وراجع: أعيان الشيعة ج ٧ ص ٢٥٠ وتحفة الأحوزي ج ١ ص ٦٣ ومقدمة ابن الصلاح ص ٢٢٥.

(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٣٥٣.

٨ - «ولما تكلم ابن خلدون في فصل: أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم من العجم، من مقدمة العبر إلخ..»^(١).

قال: «من الغريب الواقع: أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم، لا من العلوم الشرعية، ولا من العلوم العقلية^(٢)، إلا في القليل النادر. وإن كان منهم العربي في نسبته، فهو أعجمي في لغته، ومرباه، ومشيخته، مع أن الملة عربية، وصاحب شريعته عربي..».

إلى أن قال بعد ذكره أمثلة على ذلك: «..ولم يقدّم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم. وظهر مصداق قوله «صلى الله عليه وآله»: لو تعلق العلم بأكناف السماء لناله قوم من أهل فارس إلخ..»^(٣).

٩ - وقال الزمخشري:

قال قرشي: سألتني سعيد بن المسيّب عن أخوالي.
فقلت: أمي فتاة.

فنقصت في عينه، فأمهلت حتى دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر،
فقلت: من أمه؟!.

قال: فتاة.

(١) التراتيب الإدارية ج ٢ ص ٣١٨ والمحصول للرازي ج ١ ص ٢٩.

(٢) أي: سواء أكان من العلوم الشرعية، أو من العلوم العقلية، كما جرى عليه ابن خلدون في تعبيراته.

(٣) راجع: مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٣ - ٥٤٥.

ثم دخل القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، فقلت: من أمه؟!
قال: فتاة.

ثم دخل علي بن الحسين، فقلت: من أمه؟!
قال: فتاة.

ثم قلت: رأيتني نقصت في عينك، لأنني ابن فتاة!! أفمالي بهؤلاء أسوة؟!
فجللت في عينه^(١).

١٠ - ويذكرنا موقف هذا القرشي من سعيد بموقف زيد بن علي
«رضوان الله تعالى عليه» من هشام بن عبد الله الملك، حينما قال له هشام:
بلغني: أنك تطلب الخلافة، ولست لها بأهل.

قال: ولم؟!!

قال: لأنك ابن أمة.

قال: فقد كان إسماعيل ابن أمة، وإسحاق ابن حرة. وقد أخرج الله من
ولد إسماعيل سيد ولد آدم..

أهمية هذه النصوص:

والمراقب لهذه النصوص يلاحظ: أنها تتحدث عن العلماء الذين هم
يلتزمون بنفس الخط السياسي والإعتقادي، والفقهي الذي يلتزم به الحكام،
أي أن الموالي قد سيطروا على فكر غير الشيعة، وأصبحوا علماء ذلك الخط،

(١) ربيع الأبرار ج ٣ ص ٣١ ووفيات الأعيان لابن خلكان ج ٣ ص ٢٦٨.

وحكامؤه، ومراجعته في الفقه والدين.. ولا بد أن يكون هذا أشد إيلاماً لقلوب رواد السياسة العمرية تجاه غير العرب.

أما بالنسبة لغير الشيعة، فإن النبوغ والتميز فيهم لا يقتصر على طائفة دون طائفة، ولا يختص بفريق دون فريق، بل يمتد ويتسع ويستوعب كل من تشيع لعلي «عليه السلام» وسار على نهجه وهذه ميزة في هذا الخط لا تجدها فيما عداه حتى لو كان يتخذ الإسلام ديناً، ويجعله له شعاراً.

غير العرب.. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

هذا.. وقد رأينا أيضاً: أن غير العرب كانوا أكثر التزاماً لجانب الحق، وأشد تحريماً واجتهاداً، والتزاماً بالشرع وأحكامه، وقد تقدم كيف أن السودان - وهم ليسوا من العرب - يثورون ضد ابن الزبير، انتصاراً لابن الحنفية، وكان فيهم غلام لابن عمر، اسمه: رباح، فلما سأله ابن عمر عن الذي دعاه للخروج مع الثائرين.

قال: «..والله، إنا خرجنا لنردكم عن باطلكم إلى حقنا..»^(١).

(١) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٣ ص ٢٩٥.

الفهارس:

١ - الفهرس الإجمالي

٢ - الفهرس التفصيلي

١ - الفهرس الإجمالي

الفصل التاسع: أسئلة ملك الروم..... ٣٠-٥

الفصل العاشر: من أسئلة أهل الكتاب..... ٦٠-٣١

الباب السادس: حروب وفتوحات في عهد عمر

الفصل الأول: علي عليه السلام وعمر.. حدث وموقف..... ٩٦-٦٣

الفصل الثاني: المسير إلى القادسية في مشورة علي عليه السلام..... ١٢٠-٩٧

الفصل الثالث: علي عليه السلام والمسير إلى القدس..... ١٤٦-١٢١

الفصل الرابع: علي عليه السلام والمسير إلى نهاوند..... ١٨٤-١٤٧

الفصل الخامس: ذو الرقعتين.. وبساط كسرى..... ٢١٦-١٨٥

الباب السابع: من سياسات عمر..

الفصل الأول: الدواوين في عهد عمر..... ٢٣٦-٢١٩

الفصل الثاني: الدفاع عن السنة النبوية..... ٢٧٠-٢٣٧

الفصل الثالث: دفاع عن التاريخ الهجري..... ٢٨٢-٢٧١

الفصل الرابع: سياسات عمر في التمييز العنصري..... ٣٠٨-٢٨٣

الفصل الخامس: علي عليه السلام والتمييز العنصري: سياسات ونتائج..... ٣٠٨-٣٠٩

٢ - الفهرس التفصيلي

الفصل التاسع: أسئلة ملك الروم..

- رسالة لملك الروم وجوابها: ٧
- رسالة قيصر: ١٧
- جواب أمير المؤمنين عليه السلام: ١٩
- رسالة ثانية لقيصر: ٢٢
- جواب أمير المؤمنين عليه السلام: ٢٢
- حكم الله أم حكم الجاهلية: ٢٣
- لو غير علي عليه السلام يجيب: ٢٣
- تفسير دق الناقوس: ٢٤
- لماذا أسلم النصراني؟! : ٢٦
- الأسئلة تختلف وتتفق: ٢٧
- رسالة واحدة أم رسالتان: ٢٧
- أول من ارتد: ٢٨
- الحارث، أم جبلة ابن الأيهم؟! : ٢٨

الفصل العاشر: من أسئلة أهل الكتاب..

- ٣٣ نصراني يسأل عمر:
- ٣٥ اسئلة يهودي من أهل المدينة:
- ٤٠ علي عليه السلام وأسقف نجران:
- ٤٣ علي عليه السلام يكذب كعب الأخبار:
- ٤٧ علي عليه السلام يجدد تكذيب كعب:
- ٥٢ اليهود يناظرون عمر بن الخطاب:

الباب السادس: حروب وفتوحات في عهد عمر

الفصل الأول: علي عليه السلام وعمر.. حدث وموقف..

- ٦٥ عمر يخاف من الثعبان:
- ٧٠ المعجزات، والكرامات:
- ٧١ العتاب.. والخطوط الحمر:
- ٧٢ القوس: الثعبان:
- ٧٤ وتركت حقاً هولي:
- ٧٥ ما شأن علي عليه السلام بالثعبان؟!
- ٧٥ عمر يستجيب ويعتذر:
- ٧٦ لأنه ذكر شيعته:
- ٧٦ إربع على ظلعك:

- ٧٧ وإنك لها هنا؟!؟!
- ٧٨ من أين علم بالمال؟!؟!
- ٧٩ عمر يطمع بسلطان:
- ٧٩ معرفة سلمان بعلي عليه السلام:
- ٧٩ علي عليه السلام يصحح، ويوضح:
- ٨١ خطبة لعلي عليه السلام تنسب لعمر بن الخطاب:
- ٨٤ يسأل علياً عليه السلام ما نسي أن يسأل عنه النبي صلى الله عليه وآله:
- ٨٦ الذوق السليم:
- ٨٧ اعتدال المزاج:
- ٩١ من هو السفلة؟!؟!
- ٩٣ قبر يهودا، ودانيال، وهود:

الفصل الثاني: المسير إلى القادسية في مشورة علي عليه السلام

- ٩٩ مشورة علي عليه السلام في فتح القادسية:
- ١٠٠ يظهر الموافقة، ويضمم خلافها:
- ١٠١ البلاذري يعكس الأحداث:
- ١٠٢ روايات سيف:
- ١٠٢ إستشارة العامة لماذا؟!؟!
- ١٠٣ المشير بإرسال سعد إلى القادسية:
- ١٠٤ علي عليه السلام يشير بسعد بن أبي وقاص:

- ١٠٥ مشورة المهاجرين والأنصار:
- ١٠٦ مشورة علي عليه السلام:
- ١٠٧ منزلة سعد بن أبي وقاص:
- ١١١ استخلاف علي عليه السلام على المدينة:
- ١١٣ إقترح تولي علي عليه السلام حرب الفرس:
- ١١٧ اقترح عثمان إرسال علي عليه السلام:
- ١١٨ عطفاً على ما سبق:

الفصل الثالث: علي عليه السلام والمسير إلى القدس

- ١٢٣ عمر يستشير علياً عليه السلام في حرب الروم:
- ١٢٨ هل ثمة خلط بين الأحداث؟!:
- ١٣٠ أين هي رغبة عمر؟!:
- ١٣١ مضامين مشورة علي عليه السلام:
- ١٣٣ العباس يعسكر بالناس:
- ١٣٤ موت العباس وظهور الشر:
- ١٣٥ لماذا يريد النصارى حضور عمر؟!:
- ١٣٦ ما قاله علي عليه السلام في غزو الروم:
- ١٣٧ استخلاف علي عليه السلام على المدينة:
- ١٣٩ أمين الأمة:
- ١٤٦ مشورة علي عليه السلام:

الفصل الرابع: علي عليه السلام والمسير إلى نهاوند

- ١٤٩ علي عليه السلام يشير في أمر نهاوند:
- ١٥٠ نص ابن أعثم:
- ١٥٧ نص الطبري:
- ١٦٢ الرعب القاتل:
- ١٦٢ الله إختار عمر للخلافة:
- ١٦٣ يا أمير المؤمنين:
- ١٦٤ في القادسية، أم في نهاوند؟!:
- ١٦٤ خطورة المسير لحرب الفرس:
- ١٦٥ أصلهم نار الحرب دونك:
- ١٦٦ رأي عثمان:
- ١٦٧ تشابه الأحداث!!:
- ١٦٧ كثرة المشيرين:
- ١٦٩ مكان القيم بالأمر:
- ١٧٠ عناصر القوة في كلام الإمام علي عليه السلام:
- ١٧١ العرب في عهد عمر:
- ١٧١ السؤال المحير:
- ١٧٣ من المشير بالنعمان بن مقرن؟!:
- ١٧٤ شيعة علي عليه السلام في الفتوحات:

- ١٧٥ جند الله الذي أمده وأعدده:
- ١٧٨ سلبيات الفتوحات:
- ١٧٩ خيار الصحابة رضوا بعمر:
- ١٨٠ عمر يفند مشورة عثمان:
- ١٨٠ مدائح علي عليه السلام لعمر:
- ١٨١ الرعدة والنفضة والرأي المكنون:
- ١٨٣ إختلاف يهدف إلى تجميع الحقيقة:
- ١٨٤ العباس يتتقد الرأي لعمر:
- الفصل الخامس: ذو الرقعتين.. وبساط كسرى..
- ١٨٧ ورع عمر في الأموال:
- ١٩٥ علي عليه السلام لعمر: عفتت فعفت الرعية:
- ١٩٦ ذو الرقعتين:
- ١٩٧ بشر الوارث:
- ١٩٩ الرفاهية في عهد علي عليه السلام:
- ٢٠٢ عمر يجبس الأموال:
- ٢٠٤ حلي الكعبة:
- ٢٠٥ التاريخ يعيد نفسه:
- ٢٠٨ المال القليل لصاحبه، كالمال الكثير:
- ٢١١ لماذا هند دون ذي الرقعتين؟!:

بساط كسرى: ٢١٤

الباب السابع: من سياسات عمر..

الفصل الأول: الدواوين في عهد عمر..

علي عليه السلام وتدوين الدواوين: ٢٢١

تفاصيل ديوان عمر: ٢٢٣

المعيار في هذا الديوان: ٢٢٦

سواد العراق فيء، وليس غنيمة: ٢٢٩

منع بني هاشم من سهم ذوي القربى: ٢٣٣

منع بني هاشم من الفيء: ٢٣٥

منع بني هاشم من الخمس: ٢٣٥

الفصل الثاني: الدفاع عن السنة النبوية..

علي عليه السلام والسنة: بداية وتوطئة: ٢٣٩

المنع من الحديث ومن تدوينه: ٢٤٣

لمن الفتوى؟! ومن البديل؟!: ٢٤٨

من البدائل أيضاً: ٢٤٨

آثار ونتائج: ٢٥٠

لماذا هذه السياسات؟!: ٢٥٣

وعلي عليه السلام ماذا يقول: ٢٥٧

- ٢٥٩ علي عليه السلام أكثر الصحابة حديثاً:
- ٢٦٢ محاولة فاشلة:
- ٢٦٣ لا يقطعون أمراً دون علي عليه السلام:

الفصل الثالث: دفاع عن التاريخ الهجري..

- ٢٧٣ علي عليه السلام ووضع التاريخ الهجري:
- ٢٧٨ الرأي الأمثل:
- ٢٧٨ من المشير بمحرم؟!:
- ٢٨١ ما فعله عمر:

الفصل الرابع: سياسات عمر في التمييز العنصري

- ٢٨٥ بداية:
- ٢٨٥ سياسة عمر تجاه غير العرب:
- ٢٨٩ سليم بن قيس يتحدث:
- ٢٩٢ الحبل الذي طوله خمسة أشبار:
- ٢٩٣ سياسات عمر تجاه العرب:
- ٢٩٧ خدمة الخليفة بعده: لماذا؟!:
- ٢٩٨ العرب لن تقتل عمر بن الخطاب:
- ٢٩٨ الرافد الأول والأساس:
- ٣٠١ هناك سبب آخر:

الفصل الخامس: على عِلَلِ السَّلَاةِ والتميز العنصري: سياسات ونتائج

- سياسات على عِلَلِ السَّلَاةِ ومركزاتها: ٣١١
- المعيار الصحيح: ٣١٤
- مفردات عملية من سياسات على عِلَلِ السَّلَاةِ: ٣١٦
- ذرية على عِلَلِ السَّلَاةِ تسير على نهجه: ٣٢٢
- سلبيات سياسة العدل: ٣٢٥
- سياسة على عِلَلِ السَّلَاةِ: ٣٢٧
- وفاء.. وإيتلاء: ٣٢٩
- سلبيات الفتوحات: ٣٣٠
- غير العرب هم رواد العلم والثقافة: ٣٣٨
- أهمية هذه النصوص: ٣٤٨
- غير العرب.. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٣٤٩
- الفهارس:

- ١- الفهرس الإجمالي ٣٥٣
- ٢- الفهرس التفصيلي ٣٥٥